الإمـــارات
THE EMIRATES

مُـــراوِد

مجلة منوعة تعنى بالتراث الثقافي

العدد 45 – أغسطس 2022، السنة السادسة

ملف العدد

البرامج التعليمية في معهد الشارقة للتراث

السياسات والمخرجات

حاكم الشارقة

يتفقد عدداً من المواقع التراثية بمنطقة فلي

أحمد مرسي

قطب التراث وحارس الذاكرة

عبدالعزيز المسلّم يستقبل ابنة الشاعر الكويتي محمد الفايز

العدد 45 – أغسطس 2022، السنة السادسة

MARAWED Issue, 45, (AUG 2022), The Sixth year

MARAWED

Issue, 45, (AUG 2022), The Sixth year

Magazine Concerned With The Cultural Heritage

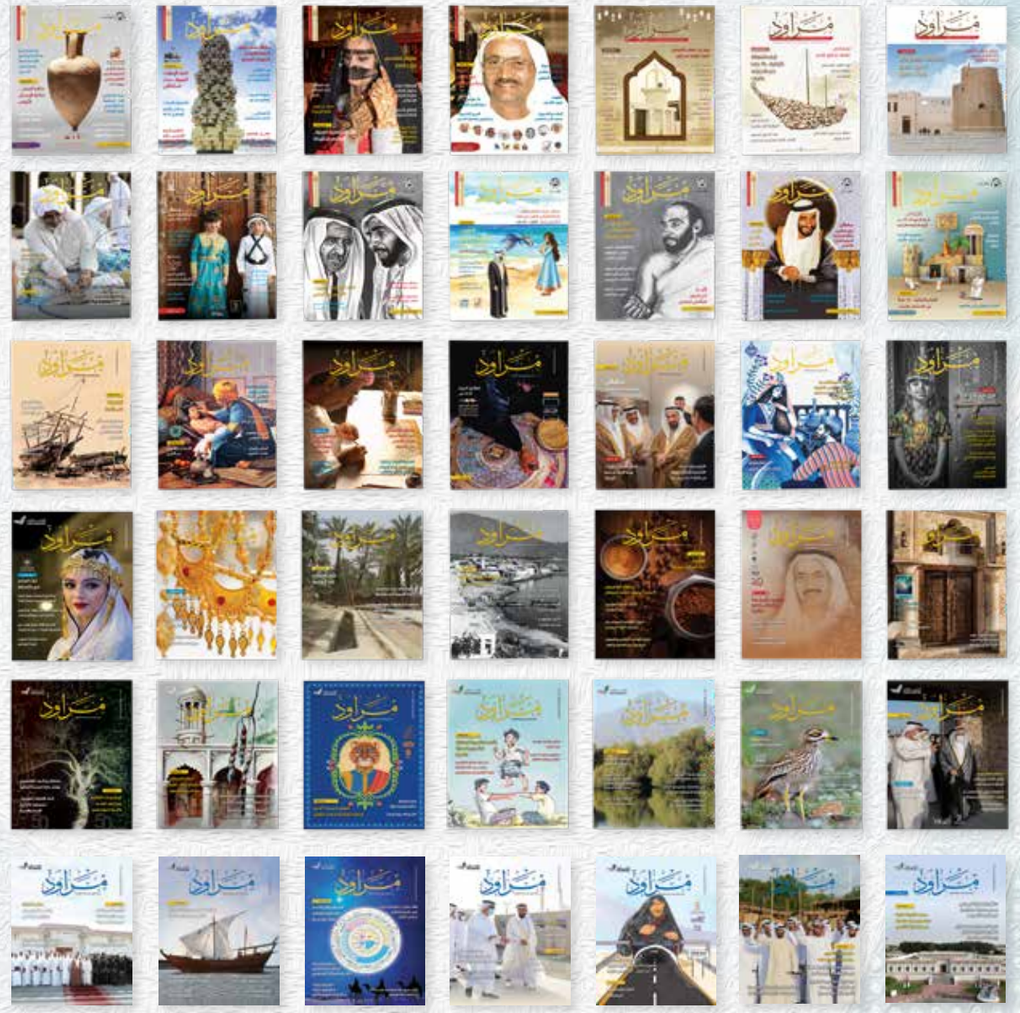

إدارة المحتوى والنشر
Content and Publishing Department

unesco Centre Under the auspices of UNESCO

معهد الشارقة للتراث
SHARJAH INSTITUTE FOR HERITAGE

عام الخمسين
YEAR OF THE FIFTIETH
1971 UAE

سياسة النشر

تعنى مجلة «مراود» بالتراث الثقافي الإماراتي بالدرجة الأولى، ثم العربي والعالمي، وتسعى من خلال أبوابها إلى الاضطلاع بتلك الغاية، والتركيز على موضوعات تراثية تتّسم بالجدة والموضوعية والتنوّع والشمول، ومقاربة التراث، بحثاً وتوثيقاً ودراسةً وتدقيقاً، كما تعمل المجلة على تتبّع تجليات التراث الثقافي في الأعمال الإبداعية الإماراتية والعربية من خلال الاحتفاء والتوظيف والاستحضار لمختلف عناصره ورموزه.

وتركّز المجلة على الموضوعات الثقافية والتراثية والإعلامية التي تلامس مختلف جوانب التراث الثقافي من مهن وحرف وألعاب وحكايات وأزياء وزينة وحلي وفنون وموسيقى.. وكل ما يتّصل بفروع التراث الثقافي وعناصره، محلياً وعربياً وعالمياً.

ويشترط في المواد المقدّمة للنشر:

- الجِدّة والأصالة، وألا يكون سبق نشرها أو مقدّمة للنشر لدى مجلات أخرى.
- الموضوعية في الطرح والمصداقية في التناول.
- سلامة اللغة، وسلاسة الأسلوب.
- التوثيق العلمي وعزوُ كل قول إلى قائله.
- ألا تتضمن المواد ما ينافي المبادئ الأخلاقية والمقدسات الدينية أو يخدش الحياء، أو ينافي الذوق العام.
- ترفق مع المواد صور عالية الدقة والجودة.
- يراعى في ترتيب المواد المقدّمة للنشر الجانب الفني والموضوعي وفق رؤية هيئة تحرير المجلة.
- يحق لهيئة التحرير التصرف في صياغة المواد، متى كان ذلك ضرورياً، لتتماشى مع سياسة النشر، ومع الطرح الإعلامي المناسب للقارئ.
- إدارة التحرير غير ملزمة بشرح أسباب رفض نشر المواد ولا إرجاعها.
- المواد المنشورة لا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة، وإنما عن رأي كتّابها.
- تستقبل المواد والمشاركات على بريد المجلة الإلكتروني: marawed@sih.gov.ae

للتواصل مع إدارة التحرير:

0097165014898 - 00971567927270

marawed@sih.gov.ae

مراود

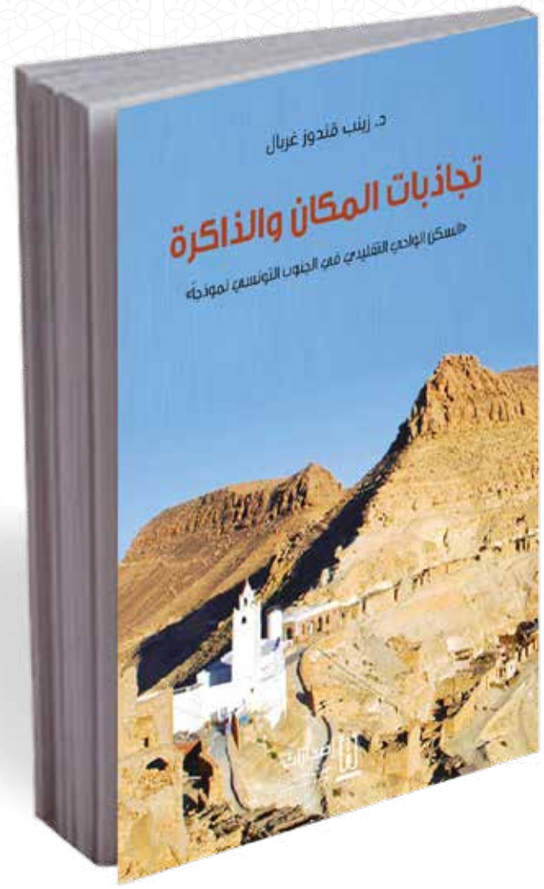

السياسات التعليمية البرامج والمخرجات

د. عبدالعزيز المسلّم
رئيس معهد الشارقة للتراث
رئيس التحرير
az.almusallam@gmail.com

درج معهد الشارقة للتراث، منذ تأسيسه، على المواءمة بين الأهداف والاختصاصات، وفق خطة استراتيجية مكينة، تعمل على الاضطلاع بالأهداف المنشودة، وإيصال رسالة المعهد إلى الجمهور المستهدف من الباحثين والدارسين وغيرهم، وبما أن العملية التعليمية تعتبر ركناً مكيناً وأساساً قويماً في سياسات المعهد، فقد أولى المعهد هذا المجال عناية خاصة، واهتماماً كبيراً، وذلك من خلال صياغة برامج تعليمية تلامس مختلف الجوانب التراثية، ويجد فيها الدارس ضالته وبغيته الأساسية، حيث تمزج البرامج التعليمية في المعهد بين العناصر التراثية كافة، ففيها يتلقى الدارس أو المتعلّم معارف تراثية متنوّعة، في مجالات التراث الثقافي غير المادي، وطرائق صونه والمحافظة عليه، والأساليب الحديثة في إدارة المؤسسات الثقافية والتراثية، وكيفية إدارة المتاحف التراثية، والترويج السياحي، كما يتعرّف إلى مناهج وأدوات المحافظة على التراث العمراني، بما يكفل صونه وإحياءه واستدامته، بالإضافة إلى حفظ وترميم المخطوطات والوثائق. وقد حظيت هذه البرامج الخمسة بإقبال كبير، وتفاعل مثمر، توّج باعتماد أربعة مؤهلات مهنية، منها «شهادة المستوى الخامس» من قبل المركز الوطني للمؤهلات، التابع لوزارة التربية والتعليم بدولة الإمارات العربية المتحدة، وهي: جمع وتدوين وصون التراث الثقافي غير المادي، وترميم المخطوطات وصيانتها، والأعمال الإدارية في المؤسسات الثقافية والتراثية، والتسويق والإرشاد المتحفي، في حين يعتبر البرنامج الخامس حول التراث العمراني معتمداً محلياً من قبل حكومة الشارقة. وثمة برامج أخرى نتطلع إلى اعتمادها، منها برنامج «الإعلام الثقافي»، بالتعاون مع الجامعة القاسمية.

بالإضافة إلى ذلك، تقدّم الإدارة الأكاديمية في المعهد حزمة من البرامج التعليمية والورش التكوينية، التي تتسق مع رؤية المعهد، وتخدم أهدافه في التعريف بالتراث وصونه، والمحافظة عليه، وهذا ما حدانا إلى إفراد هذا العدد الخاص، لتسليط الضوء على جهود المعهد في مجال التعليم والتدريب والتكوين، تماشياً وتكاملاً مع اختصاصاته الأخرى.

وفي العدد موضوعات متنوعة، تبرز ثراء التراث الثقافي العربي عامة، والإماراتي خاصة، وأهمية العناية به ودراسته وتمحيصه ونشره، بالإضافة إلى النوافذ المشرّعة على تراث العالم، بما يشمله من غنى وتنوّع.

محتويات العدد

ملف العدد

البرامج التعليمية في معهد الشارقة للتراث

السياسات والمخرجات

34

أخبار ومتابعات

حاكم الشارقة

يتفقد عدداً من المواقع التراثية بمنطقة فلي

8

الافتتاحية

د. عبدالعزيز المسلّم

3

ملف العدد

فهد علي المعمري

48

أحمد مرسي

قطب التراث وحارس الذاكرة

12

ملف العدد

فاطمة سلطان المزروعي

54

ملف العدد

مريم سلطان المزروعي

58

موسيقا الشعوب

علي العبدان

62

فنون شعبية

علي العشر

66

دراسة

محمد عبدالله نور الدين

68

زاوية

د. فهد حسين

72

فضاءات

حسين الراوي

75

خواطر

طلال سعد الرميضي

78

82 قراءة أدبية
خالد عمر بن ققة

86 تنبيهات
سعيد يقطين

88 رؤية
عائشة مصبح العاجل

89 ذاكرة مكان
أسماء الزرعوني

90 قراءة في كتاب
ظافر جلود

95 أماكن ومعالم
د. أماني محمد ناصر

102 حوار العدد
محمد هجرس

106 التراث والزخرفة
الزبير مهداد

114 إضاءة
إيهاب الملاح

134 العمارة التراثية
وفاء داغستاني

148 شرفة
د. منّي بونعامة

معهد الشارقة للتراث
SHARJAH INSTITUTE FOR HERITAGE

800TURATH

هاتف: 5092666 6 971+

انستغرام: marawed_sih

الموقع الالكتروني: www.sih.gov.ae

ISBN 978-9948-37-768-9

مراود

مجلة منوعة تعنى بالتراث الثقافي

رئيس التحرير
د. عبد العزيز المسلم
رئيس معهد الشارقة للتراث

مستشار التحرير
د. ماجد بوشليبي
رئيس جمعية المكتبات والمعلومات

مدير التحرير
د. منّي بونعامة
مدير إدارة المحتوى والنشر

هيئة التحرير
أ. علي العبدان
أ. عتيج القبيسي
أ. عائشة الشامسي
أ. سارة إبراهيم

سكرتير التحرير
أحمد الشناوي

التصميم والإخراج الفني
منير حمود

التدقيق اللغوي
بسام الفحل

التصوير
قسم الإعلام

حاكم الشارقة

يتفقد عدداً من المواقع التراثية بمنطقة فلي

تفقد صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، عدداً من المواقع التراثية في منطقة فلي. واستمع سموه خلال زيارته إلى شرح مفصل حول طريق فلي، والقلعة الأثرية وتاريخها، وأثرها في المنطقة سابقاً، وما تتضمنه من آثار تحفظ تاريخ المكان، وإسهامه في الحياة التجارية، وحركة العابرين والمسافرين في العصور السابقة، وبما يمثله من أهمية تراثية وتاريخية مهمة.كما اطلع سموه على عدد من الخرائط الخاصة بالمواقع التراثية بمنطقة فلي، وخطط الأعمال الإنشائية الجارية لترميمها، وذلك ضمن مشروع تراثي وسياحي مميز، لتكون زيارة المنطقة مساراً واحداً متصلاً، يربط المقهى

مروراً بمسارات المياه عبر الثقاب ومداخل الأفلاج، إلى مركز الشرطة القديم والقلعة التي بجانبه، وصولاً إلى القلعة الأخرى الأثرية على قمة التلة، ما يسهّل حركة الزوار والسياح والمهتمين بتراث وتاريخ المنطقة للتعرف إليه.

واستمع صاحب السمو حاكم الشارقة، خلال الجولة، إلى شرح عن أعمال الترميم الجارية بقلعة فلي التراثية، حيث شاهد سموه عرضاً مرئياً مباشراً للمنطقة المحيطة بالمواقع التراثية بكاملها، كما اطلع سموه على المخططات الموضوعة لترميم المواقع التراثية، وما سيتم من مشروعات تطويرية مستقبلية، وذلك ضمن خطط التنمية السياحية والاقتصادية والمعرفية للمنطقة، وحفظ وإحياء تراثها القديم. وتكمن أهمية منطقة فلي في كونها كانت أكبر مكان لتجمع المياه، وتتوزع منها المياه إلى بقية المناطق عبر الأفلاج، كما كانت مركزاً للرحالة والمسافرين عبر القوافل التجارية، ويعود تاريخ المنطقة إلى مرحلة تاريخية بعيدة منذ القرن التاسع عشر وما قبله، حيث كان طريق فلي هو الأهم في المنطقة، ويعمل معهد الشارقة للتراث، بالتعاون مع عدد من الدوائر الحكومية، على تطوير وإعادة إحياء وترميم المنطقة لتكون مزاراً سياحياً وتعريفياً بهذا الموقع التاريخي المهم.

رافق سموه خلال الجولة كل من المهندس علي بن شاهين السويدي، رئيس دائرة الأشغال العامة، والمهندس صلاح بن بطي المهيري، رئيس هيئة تنفيذ المبادرات (مبادرة)، والدكتور عبدالعزيز المسلم، رئيس معهد الشارقة للتراث، وعدد من أعيان المنطقة.

أقام المعهد العديد من الندوات والبرامج والفعاليات خلال هذا الشهر، وكان لبشارة القيظ أثرها ووقعها على الجمهور، من خلال فعاليات الدورة الخامسة عشرة، التي انطلق تحت شعار «الفرصاد» التوت البري المعروف في تراثها الإماراتي، بالإضافة إلى الاحتفاء باليوم العالمي للأرشيف تحت شعار: «أنت الأرشيف»، وأمسية شعرية وموسيقية وغيرها من الفعاليات.

«الشارقة للتراث» يشارك في «مغرب الحكايات 19»

شارك معهد الشارقة للتراث في فعاليات النسخة التاسعة عشرة من مهرجان مغرب الحكايات في المملكة المغربية، الذي نظّمته جمعية لقاءات للتربية والثقافة، بالشراكة مع وزارة الشباب والثقافة والتواصل، وولاية الرباط سلا القنيطرة، تحت شعار «الكلمة لإفريقيا، تراث مشترك»، بين 24 و30 يونيو الماضي، تنفيذاً لرؤية وتوجيهات صاحب السموّ الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، التي تهدف إلى المشاركة في الفعاليات والأنشطة التراثية في الوطن العربي والعالم.

عبدالعزيز المسلّم يستقبل ابنة الشاعر الكويتي محمد الفايز

ضمن تجهيزات «ملتقى الشارقة الدولي للراوي»، للدورة الـ22، استقبل سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث، والأستاذة عائشة الحصان الشامسي، مديرة مركز التراث العربي المنسق العام لملتقى الشارقة الدولي للراوي، الأستاذة شذى محمد الفايز، ابنة الشاعر الكويتي محمد الفايز، وهو أبرز شعراء منطقة الخليج العربي في مرحلة الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين، ومن أعلام المدرسة الشعرية الحديثة في الكويت، وهو صاحب ديوان «مذكرات بحّار» 1962م.

وتناول اللقاء الذي جمعهما في مقر المعهد مختلف أوجه التعاون في ملتقى الشارقة الدولي للراوي – الدورة الـ22.

«الشارقة للتراث» ينظم برنامج «مخيم الراوي الصيفي»

انطلقت فعاليات وبرامج وأنشطة «مخيم الراوي الصيفي»، التي ينفذها مركز التراث العربي، التابع لمعهد الشارقة للتراث، في قاعة المحاضرات بالمركز، حيث تستمر الورش والفعاليات التي تستهدف الأطفال من 8 إلى 12 سنة، حتى الرابع من أغسطس، من الاثنين حتى الخميس من كل أسبوع.

وتتميز الورش بتشكيلة جاذبة من أجل أن يكون الأطفال على تماس مباشر مع المواهب والإبداعات، خصوصاً فيما يتعلق بالتراث، ويأتي هذا البرنامج المهم ضمن استعدادات المعهد لملتقى الشارقة الدولي للراوي، في نسخته الثانية والعشرين.

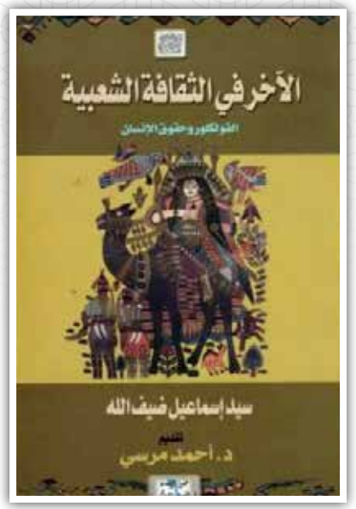

*

«التراث هو الماضي الذي يعيش في الحاضر، ويمكن أن يستمر في المستقبل»

أحمد مرسي
قطب التراث وحارس الذاكرة

* رسم الفنان حبيب الرحمن

أحمد مرسي

مسيرة حافلة في حماية التراث وإعداد أجيال من الباحثين

برحيل الأستاذ الدكتور أحمد مرسي، فقدنا عموداً مهماً من أعمدة التراث الثقافي العربي، فقد كان التراث يتكئ عليه، ويستظل بظله، ويستضئ بضوئه، فهو الحاري والراعي والمنقذ، لا يهدأ له بال، ولا يرتاح إن كان هناك خطر يحدق بالتراث.

د. عبدالعزيز المسلّم
رئيس معهد الشارقة للتراث

لقاؤنا الأول مع الدكتور أحمد مرسي كان في ديسمبر 1985، عندما التحقت مع مجموعة من شباب الخليج العربي في الدورة التدريبية الأولى لإعداد باحثين في تراث الخليج، والتي نظمها مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربي، وقد استمرت الدورة حتى يناير 1986، وقد كانت دورة عامة شاملة، شارك فيها عدد كبير من الأساتذة والخبراء العرب من الشرق والغرب، أحاطت مواد تلك الدورة بكل جوانب التراث، كالأدب الشعبي والعادات

والتقاليد والمعارف الشعبية والمأثور الصوتي والحركي والثقافة المادية، وتم تقسيم المتدربين في تلك الدورة إلى أربع مجموعات، حسب تخصصاتهم، وأول تلك المجموعات كانت مجموعة الأدب الشعبي، التي كان يترأسها الدكتور مرسي، وقد كنت أنا عضواً في تلك المجموعة.

في أيام الدورة تلك اقتربنا أكثر من الدكتور مرسي، واطلعنا على مدى علمه وثقافته، وكذلك حرصه الشديد على التراث الثقافي، وتعدد أساليبه في الدراسات والبحوث، وقد استطاع بحنكته جعل تلك المجموعة تعمل بروح الفريق الواحد، وأن تكون أميز المجموعات في نتاجها ومبادراتها المتعددة، كما أنه استطاع في مدة وجيزة من توسيع مداركنا، وإلى جعل التراث الثقافي ميداناً لعملنا وابتكاراتنا، وقد ارتبط جميع الدارسين به ارتباطاً ودياً وثيقاً، وإلى أن انتهت مدة الدورة التدريبية، ظل الدكتور مرسي يمثل أجمل علاقة ودية بين أستاذ وطلابه،

لكن رغم انتهاء تلك الدورة التدريبية، إلا أن علاقته ظلت مستمرة مع غالبية طلابه، وأنا على رأسهم، بحكم أنني كنت أعمل في مجال الثقافة، وتخصصت في حقل التراث الثقافي، سواء في دائرة الثقافة في الشارقة، أو في لجنة الجرد الوطنية في الإمارات، والتي ترأستها لفترة من الزمن.

تمر بضع سنين، وفي منتصف التسعينيات من القرن العشرين، تشكل وزارة الثقافة في الإمارات وفداً شبه دائم للتراث الثقافي، لحضور اجتماعات منظمة اليونسكو (منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة)، وقد كنت عضواً شبه دائم في ذلك الوفد، وكنت في كل زيارة أقابل الدكتور مرسي هناك في باريس، بصفته رئيس وفد جمهورية مصر العربية لـ«اليونسكو» وتتجدد في لقاءاتنا تلك العلاقة الجميلة بين الأستاذ وتلميذه، وكنت أتلقى منه كثيراً من التوجيهات والنصائح والإرشادات.

في عام 1999 التقيت الدكتور مرسي من جديد في مبنى

«اليونسكو»، وأهديته كتابي الأول في التراث، وكان بعنوان «الذاكرة الشعبية»، ففرح به كثيراً، وأخذ يقدمني لزملائه في الوفد المصري، ولآخرين من الوفود العربية، ويقول لهم: هذا تلميذي النجيب الذي أفتخر به، وكم كانت تفرحني تلك الكلمات، ويفرحني ذلك الاحتفاء الجميل الذي يزفني به.

وتوالت لقاءاتنا في أوروبا وآسيا وإفريقيا، وفي الإمارات بالطبع، فقد كنت أطرح اسمه دائماً للمشاركة في المحافل العلمية والمؤتمرات والمنتديات التي تقيمها الإمارات، فكنا نلتقي دائماً، ولم ينقطع تواصلنا على مدى السنين، إلا في بعض الظروف القاهرة التي كانت تلمّ بي أو به.

أستاذي الجليل علي عبدالله خليفة، الذي كان عضواً في المنظمة الدولية للفن الشعبي، اتصل بي ذات يوم، وطلب مني أن ألتحق بالمنظمة، وأن أسافر بعد شهر من ذلك الاتصال إلى إيطاليا لحضور اجتماع الجمعية العمومية للمنظمة، والمساعدة على تعديل مسار الانتخابات لمصلحة الدول العربية، بالفعل سافرت مع مجموعة من الزملاء، وهناك فوجئنا بوجود الدكتور مرسي حاضراً للدعم والمؤازرة، وهذا ديدنه، وقد كان ما تمنيناه، فقد رجحت كفة العرب، وتم انتخاب الأستاذ علي عبدالله خليفة، رئيساً للمنظمة، والدكتور أحمد مرسي، عضواً في المجلس العلمي للمنظمة، وهكذا استمرت علاقتنا في النماء.

عام 2014 تم تحويل احتفالية يوم الراويين الشارقة إلى «ملتقى الشارقة الدولي للراوي»، وضمن برنامج الملتقى تم استحداث تكريم شخصية علمية لها إسهامات كثيرة في مجال التراث الثقافي، فتمت تسمية الدكتور أحمد مرسي كأول شخصية لذلك التكريم، وتم الإعلان عن ذلك وفي حفل الافتتاح، الذي كان تحت رعاية وحضور صاحب السموّ الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، وتم تكريم الدكتور مرسي من قبل صاحب السموّ، وفي حديث جانبي مع سموّه، بحضور الدكتور مرسي، قال لي سموّه: هل تعرف الدكتور أحمد مرسي عزّ المعرفة؟ قلت: نعم، هو أستاذي، وله أفضال كثيرة، فقال سموه إذاً عيّنه مستشاراً عندكم في معهد الشارقة للتراث، لتستفيد منه قدر المستطاع، ويكون بقربك، وقد رحب الدكتور بذلك، لكنه طلب مهلة لإنهاء بعض الارتباطات في مصر، بعدها عاد للقاهرة، وبعد فترة أرسل لي دعوة لحضور الحفل الخمسيني لمجلة التراث الشعبي المصرية، فحضرت الاحتفال، وكرّمني بدرع الجمعية المصرية للمأثورات الشعبية، باعتباره رئيساً لها، وفي عام 2017 تم تعيينه بالفعل مستشاراً في المعهد، وبقي الدكتور مرسي لمدة ثلاث سنين معنا ناصحاً ومرشداً وموجهاً، وبعد اكتمال مدة التعاقد، لم يرغب في المواصلة بسبب مرض زوجته، فقرر السفر إلى إسبانيا لمتابعة حالة زوجته هناك، لكنه تعب في إسبانيا وتكشف أثناء الفحوص أنه مرض مرضاً خطراً، كانت رحلة معاناته معه طويلة ومؤلمة.

في شهر يناير من هذا العام 2022، كانت مشاركتي معه في ندوة بعنوان «تراثنا.. مستقبلنا»، من تنظيم إدارة معرض القاهرة الدولي للكتاب، في القاعة الرئيسة للمعرض، وقد حضر تلك الندوة، وهو على كرسيه المتحرك، ومكمّم بجهاز المساعدة على التنفس، وقال للحضور: أنا صحتي لا تسمح بمثل هذه المشاركات هذه الأيام، ولكن تقديراً لابني وتلميذي الدكتور عبدالعزيز المسلّم، جئت، ولن أتخلف عن موقع هو فيه، فكانت تلك الكلمات وساماً وتقديراً ليس له مثيل من أستاذ وقامة علمية كبيرة.

اليوم التالي لتلك الندوة، أعد لنا الدكتور أحمد مرسي وليمة كبيرة في بيته العامر، وقد احتفى بي أنا ومجموعة من الزملاء احتفاء كبيراً، وعبر عن سعادته الكبيرة بلقائنا، وكأنه كان لقاء الوداع الأخير معه، رحمه الله.

لا أعلم هل تلك الكلمات تفي تاريخ تلك العلاقة الطويلة التي تعدت الثلاثة عقود مع الراحل الكريم، لكن الراسخ في قناعاتي أن منهجه العلمي ورسالته ستمضي بوساطتنا نحن تلاميذه إلى الأمام، وستمتد مسيرته من خلالنا، وستصل إلى الأجيال الأخرى، محققين رسالته، ومستلهمين من حكمته وفكره.

عرّاب الأدب الشعبي

عائشة راشد الحصان الشامسي
مديرة مركز التراث العربي

وترجّل فارس آخر من فرسان الأدب الشعبي، وأحد أعلامه الكبار، تاركاً خلفه مسيرة حافلة بالإنجازات، شكلت علامة فارقة في التراث الثقافي المصري، وأدبها الشعبي.

مازلت أذكر لقائي بالأستاذ الدكتور أحمد مرسي – رحمه الله – عندما كان مستشاراً لمعهد الشارقة للتراث، وزيارته لي بمركز التراث العربي، التابع للمعهد، والذي ينم عن تواضع عظيم من قامة كبيرة لها ثقلها الثقافي، ليس فقط في مصر، بل على الصعيد الإقليمي والعالمي، جاء وهو يضع خلاصة خبراته، ليسهم في تدريب الباحثين، والعاملين في الجمع الميداني، وتأهيلهم وبناء قدراتهم في مجال التراث الثقافي، وكيفية جمع عناصره؛ لتوثق وتحفظ وتصنف في أرشيف يضم كل ما جمع من هذه العناصر، بأسلوب علمي رصين.

لقد كان عمله الدؤوب، ووصاياه الدائمة، تنبئ عن شخصية العالم، الذي يحمل على عاتقه مسؤولية نقل كل ما لديه من علم، لتلامذته، على اختلاف أجيالهم وأعمارهم، بل كان راوياً باقتدار، يحمل في صدره موروثاً ثقافياً عظيماً لا يستهان به، استطاع بما يملكه من ذكاءٍ اجتماعي أن يتواصل مع الجميع؛ لإيمانه القوي بضرورة تواصل الأجيال، وبالتالي نقل الموروثات الثقافية، والذي بدوره يسهم في ديمومتها واستدامتها.

إن الأستاذ الدكتور أحمد مرسي كان عالماً، وكنزاً بشرياً، وأباً روحياً لجميع تلامذته؛ أي كان أمة وحده.

فرحمات الله عليك أستاذنا القدير، وإن غادرنا الجسد، فلم تغادرنا روحك، وإرثك باقٍ، تتناقله الأجيال، وستبقى كلماتك الحانية ووصاياك حية في نفوس تلامذتك، ومحبيك.

سِفْر الخالدين

رحيل أحمد مرسي

خسران لا يعوّض

جئت القاهرة منتصف يوليو 1980، عانياً التعرف إلى الأستاذ الدكتور أحمد علي مرسي، طالباً تعاونه في أمور أكاديمية استشارية، تحضيراً للأعمال الميدانية التي ينوي مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية وقتها القيام بها، لجمع وتدوين وتحقيق وتوثيق التراث الشعبي لمنطقة الخليج والجزيرة العربية.

د. علي عبدالله خليفة
رئيس المنظمة الدولية للفن الشعبي

جئت لذلك دون سابق معرفة شخصية، ومن دون تحضير مسبق للزيارة، سوى قراءاتي مؤلفاته، وسمعته الأكاديمية الرائجة من خلال جهوده التأسيسية لمركز الفنون الشعبية، وإشرافه على رسائل الماجستير والدكتوراه لطلبة من الخليج العربي، إلى جانب مقالاته في مجلة «الفنون الشعبية» المصرية، فلم يتعذر عليّ الوصول إليه بكلية الآداب بجامعة القاهرة. ومنذ ذلك اللقاء الأول، امتدت بيننا صداقة الأستاذ لتلميذه، ومن

ثم رفقة عمر حافلة، ظل خلالها الرجل ودوداً.. كريماً.. مُسعفاً.. مُثرياً.. ومتواضعاً تواضع العلماء. هذه الرفقة الأخوية الحميمة زادتها الأيام والتجارب المشتركة فهماً وعمقاً، واستطعنا معاً أن نعمل متكاتفين لخدمة ما آمنا به من ضرورة الاهتمام بالثقافة الشعبية كمكوّن أساس للهوية العربية.

تولى الدكتور مرسي في البداية صفة استشارية لسنوات بمركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية، واستطعنا معاً تنظيم العديد من المؤتمرات العلمية الدولية الكبرى ذات القيمة التأسيسية، إلى جانب دورات وورش عمل تدريبية لكوادر خليجية، يتبوأ عدد منها الآن مراكز اختصاص مهمة في بلدانها. ومن خلال معرفة الدكتور مرسي عدداً لا يحصى من العلماء وأساتذة الاختصاص في مصر، وفي أغلب بلدان العالم، فقد ساعد على أن يوطد الصلات بينهم وبين العاملين من العرب في هذا الحقل، وأن ينشر ويوثق هذه الصلات لخدمة ميدان الاختصاص، وقد نجح، رحمه الله، في خلق حلقة تشارك وتواصل واسعة، كنت شخصياً أحد من جنى ثمارها، وإنني لأشعر بالفخر والاعتزاز بأنني تلميذ المدرسة المصرية في علم الفولكلور، فقد تتلمذت على مؤلفات الدكاترة عبدالحميد يونس، وفوزي العنتيل، ورشدي صالح، وحسن الشامي، ونبيلة إبراهيم، ومحمد رجب النجار، ومحمد الجوهري، وصفوت كمال، وعلياء شكري، لسهولة وصول تلك المطبوعات إلينا في الخليج العربي.

وقد امتد التعاون العلمي التخصصي، والإخاء العميق بيني وبين الدكتور مرسي، كأستاذ وموجه وصاحب أفضال، إلى أن ترافقنا العمل بالمنظمة الدولية للفن الشعبي في تسعينيات القرن الماضي (IOV)، وتشاركنا حضور العديد من المؤتمرات والندوات والمهرجانات الفولكلورية بمختلف دول العالم، أهمها الندوات العلمية التي تقيمها «اليونسكو» بانتظام، فكان الدكتور مرسي أحد أهم الخبراء العرب في مجال التراث الثقافي غير المادي، بصفته أبرز الحكماء بالمنظمة الدولية للفن الشعبي، التي أتولى رئاستها منذ العام 2016، فقد كانت صفته بهذه المنظمة استشارية عالمية عليا حتى رحيله. كان، رحمه الله، متشبثاً بمواصلة إصدار مجلة «الفنون الشعبية» المصرية التي شاركني همومها، وتقلبات ظروف مشكلاتها.

ولا يمكنني أن أنسى دوره العلمي التخصصي في المساعدة عام 2007 على وضع الخطوط العريضة لتأسيس مجلة «الثقافة الشعبية»، التي نصدرها من مملكة البحرين بست لغات، والتي ظل مستشاراً علمياً لها حتى رحيله المؤسف.

لقد فقد الوطن العربي كفاءة علمية أكاديمية متميزة، وخبرة تجارب ميدانية عديدة ومتنوعة، جاهد في استثمارها، وتنويع تقديمها إلى الآخرين بالعديد من الوسائل.

لقد فقدت شخصياً أخاً وصديقاً ممن لا يجود بمثله الزمان كل حين. «لا حول ولا قوة إلا بالله».

أحمد مرسي.. مسيرة حيّة

د. أحمد بهي الدين
أستاذ مشارك – كلية الآداب، جامعة حلوان

أحمد مرسي الإنسان الأستاذ، والأستاذ الإنسان، تركيبة إنسانية فريدة، ينصهر فيها السمت الإنساني بالوقار، والجِدّة الأكاديمية، رحلة عمر ملؤها الإخلاص والمحبة لناسه، آمن بتخصصه حتى اقترنا ببعضهما اقتراناً لافتاً، فعندما يُذكر أحمد مرسي تُذكر الدراسات الشعبية والعكس.

لم يأتِ هذا خبط عشواء، وإنما هو مسار آمن به، وارتضاه لنفسه، أخلص له، رغم عثرات كان يمكنها أن تجعله يسلك مساراً أكاديمياً مغايراً. فكان له أن انتقل بالدراسات الشعبية إلى مرحلة جديدة، يمكن أن يؤرّخ لها تفصيلاً فيما بعد، ركيزتها الأساسية توثيق التراث الثقافي غير المادي، أو ما كان يُعرف بالمأثورات الشعبية

توثيقاً علمياً، والاهتمام برواته وممارسيه والارتقاء بهم، لما قدموه من إبداع حقيقي وصادق، يمكننا به أن نسهم في بناء المعرفة الإنسانية. وبالفعل قاد مرحلة جديدة، استطاع فيها أن يُعبّد الطريق للتخصص علمياً، ويرسّخه أكاديمياً، ويؤسّس مدرسة علمية جادة، عقيدتها: تراثنا العربي، هو بوابتنا إلى المستقبل.

كان أحمد مرسي حكّاء باقتدار، لا تَمل حديثه الذي يتسم بلغة رائقة سهلة، يروي بها حكايات الناس والوطن، تعكس احترامه لناسه الذين صاحبهم ووثّق مأثورهم الشفاهي، وتعلّم منهم، تحمل حكاياته قيمنا الراسخة في وجدانهم وسلوكهم، ومقدرتهم على الخلق والإبداع، فلم يكُ غريباً أن يكون أول من يشركهم في اللجان العليا للمجلس الأعلى للثقافة، وأن يقدمهم أمامه عرفاناً بدورهم ومعارفهم، وكان ينقل ذلك إلى تلاميذه، وفي حكايته ما يجعل السامع يذعن لمساره.

أما حكايات الوطن التي تفيض محبة له، ويقيناً فيه، فهي مصقلة بوعي بقيمة الوطن المكان والإنسان، كان للتراث فضل فيه. حكايات الوطن لم تكن تقليدية أو تاريخاً معروفاً، بل ما لم تكتبه مدوّنات التاريخ الرسمي، فهي ما حفظته لنا الذاكرة الشفاهية، وفي مكنونها معرفة وخبرة هي جوهر الحياة، فكنا نرى الوطن كما لم نره، فكل حكاية هي تجديد ولاء له. كان التراث هو الأداة الفاعلة في ذلك، فالتراث لدى أحمد مرسي ليس ميراثاً ماضوياً متحفياً، وإنما هو حيّ فينا، ومتجذّر في جيناتنا، وقادر على تشكيل هويتنا الوطنية وحمايتها ضد أخطار مرامها محو هويتنا العربية.

كان هناك مشروع لم يكتمل بعد، دشّنه أحمد مرسي في

عشرات المقالات والكتب، التي لم تكن موجهة للقارئ المتخصص وحده، رغم صرامتها العلمية؛ بل لعموم الناس، فهي من الناس وإليهم. وسعى إلى تأسيس مدرسة علمية، ومؤسسات يمكنها أن تحمل الراية، كالجمعية المصرية للمأثورات الشعبية، وأرشيف الحياة والمأثورات الشعبية المصري، وكان يحدوه الأمل أن نصل يوماً ما إلى أرشيف جامع لتراثنا العربي، حماية لهويتنا، وصوناً لمعارفنا، وحفاظاً على وجودنا واستمراريتنا.

أحمد مرسي
أنموذج يحتذى به

أ.د. مصطفى جاد
عميد المعهد العالي
للفنون الشعبية بالقاهرة

التقيت الدكتور أحمد مرسي للمرة الأولى عام 1980، كنت وقتها أعمل سكرتيراً لأستاذنا الدكتور عبدالحميد يونس، نظراً لظروف كفّ بصره.. كان الدكتور مرسي في هذا الوقت نجماً ساطعاً في عالم الثقافة والسياسة، وكانت صورته الشهيرة في الصفحة الأولى بالأهرام مع أنور السادات، كأمين عام الشباب بالحزب الوطني الديمقراطي، جعلته واحداً من نماذج الأساتذة اللامعين في الجامعة وفي عالم السياسة.. واستطاع في هذا الوقت أن يقنع السادات بإصدار قرار جمهوري بإنشاء

المعهد العالي للفنون الشعبية، وكان أول عميد للمعهد الذي أشرف بعمادتي له الآن.

في هذا الوقت كان أحمد مرسي شاباً في مقتبل الأربعينيات من العمر، وعُرف دائماً بوجوده مع الكبار، ونبوغه المبكر.. وكان الطالب الوحيد في كلية الآداب الذي تخرج في قسم اللغة العربية بتقدير عال، وهو الذي اختار تخصص الأدب الشعبي... وقد حصل على الليسانس في سن مبكرة، ولمس فيه أستاذنا الدكتور عبدالحميد يونس نبوغاً وتفوقاً منذ البداية، فأولاه الرعاية العلمية والروحية المنتظرة، وأشرف على رسالته في الماجستير، وفي الدكتوراه، ومنحه خبرته العلمية في مجال الفولكلور... فكانت دراسات أحمد مرسي في الأغنية الشعبية رائدة في هذا المجال الذي كان لايزال بكراً في هذا الوقت من منتصف الستينيات، وأصبح الدكتور أحمد مرسي نموذجاً يحتذى في علاقة التلميذ بأستاذه من ناحية التواصل والإضافة.

وبحكم عملي مع الدكتور يونس، كنت أشاهد أحمد مرسي في كثير من المناسبات.. وسط أعلام الفكر والفن في مصر: المخرج أحمد كامل مرسي، ودكتور مجدي وهبة أستاذ الأدب الإنجليزي، والأستاذ عبدالمنعم عامر (شقيق المشير عبدالحكيم عامر)، والدكتور شكري عياد أستاذ النقد الأدبي، وفاروق خورشيد، وصلاح عبدالصبور، ومحمد الجوهري، ومكرم محمد أحمد، وأمين العيوطي، كان أحمد مرسي متألقاً وسط هؤلاء، وحضوره كان يضفي مذاقاً خاصاً، وأستاذنا الدكتور يونس كان يفخر دائماً بتلميذه.. ويعرف جيداً هذه المرونة التي تتسم بها طبيعة شخصيته... فيعلق على ذلك قائلاً: «إن طريقتك في الحديث - يا أحمد - تجعلني أحسب كلامك مادة شعبية تستحق الدراسة».

ثم تطورت علاقتي بالدكتور أحمد مرسي بعد ذلك.. ومع مرور السنين لأجلس إلى جانبه في المؤتمرات واللجان العلمية، ومناقشة الأطروحات الجامعية، وورش العمل... إلخ. وكان آخر لقاء جمعني به في «أيام الشارقة»، إبريل الماضي، أما إنتاجه العلمي ومسيرته العلمية في مجال الأدب الشعبي، وكتابه الأشهر «الأغنية الشعبية»، وكتابه التأسيسي «مقدمة في الفولكلور»، ومسيرته في «اليونسكو» واتفاقية التراث اللامادي، ومسيرته تحت قبة الجامعة.. فتحتاج لكثير من المساحات حتى نوفيه حقه.. أما آخر كتاب صدر له فكان عن فن العديد بعنوان «كل يبكي على حاله»، وكأنه يصف حالنا، بعد أن فارقنا، رحمه الله.

أحمد مرسي

وجهوده في صون تراث الأوطان والموروث الشعبي للبسطاء

د. حنان الشرنوبي
ناقدة وأكاديمية - مصر

كانت البداية من أسرة ريفية شعبية بسيطة، وميلاد أحد أفرادها عام ١٩٤٤، ثم التحاقه بكلية الآداب – قسم اللغة العربية، وتخرجه فيها عام ١٩٦٣، بعد أن درس فيها مادة الأدب الشعبي، فاكتشف أن الأغاني التي كان يسمعها في بيئته الريفية بعد عودته من المدرسة لجمع القطن من الأرض، وفي الأفراح والمواسم، والحواديت التي كانت تسرد له، والأمثال التي تلقى على مسامعه ولا يهتم بها؛ إنما هي علم يدرس هذا المجال.

بين مرسي وعبدالحميد يونس

لم يكن هناك متخصصون في دراسة تلك المأثورات الشعبية التي تضم الأدب الشعبي والعادات والتقاليد والحرف والفنون... فاختار أن يتخصص فيها، تحت إشراف الدكتور عبدالحميد يونس، فقررت حينها الدكتورة سهير القلماوي، أن يلزم كل طالب أستاذه في

مرحلتي الماجستير والدكتوراه؛ من أجل دقة التخصص، فلزم الدكتور أحمد مرسي أستاذه الدكتور عبدالحميد يونس، ورافقه سنوات طويلة، فذكر له قبل أي شيء أن الأستاذ العظيم يصبح كذلك على يد طالب علم عظيم. ثم أخبره كلمة أستاذه الشيخ أمين الخولي، بأن الطالب يعني الإضافة العلمية لأستاذه؛ أي يتبعه، ثم يتجاوزه بخطوة زمنية، فيجب ألّا يقل أو يتخلف عنه، أو يتساوى معه، فيصبح نسخة ثانية من أستاذه؛ ولكن لابد من الإضافة في مجال البحث.. وهكذا قام بتوجيهه للعمل الميداني، فكان د. مرسي أول من قام بالبحث ميدانيّاً في الجامعة المصرية دون معرفة سابقة.. فكم واجه من صعوبات وإحباطات في مجال

> «التراث هو الماضي الذي يعيش في الحاضر، ويمكن أن يستمر في المستقبل».
> د. أحمد مرسي

لم يكن معروفاً حينها! فعمل على رصد المؤثرات التي تتشكل في مصر، والمراحل الانتقالية التي تشكل ثقافة الشعب ووعيه. وكيفية المشاركة في بناء الإنسان. فجمع التراث في كلمات (مصر مبدعةُ الحضارة، والمحافِظة عليها، والمضيفة إليها)؛ أي أن مصر هي التي أنشأت حضارتها، واستوعبت حضارات أخرى، وحافظت عليها، وأضافت إليها.

خزانة من الخبرات

وقد استقى الدكتور أحمد مرسي خبرته وتعلّم من المواطن المصري البسيط أضعاف ما اكتسبه من الكتب العربية والإسبانية والتراجم، بجانب مشاركاته في المؤتمرات، وعمله في الجامعات العالمية.. وظل محافظاً على روح مصر الشعبية بداخله، في تأكيد على أن

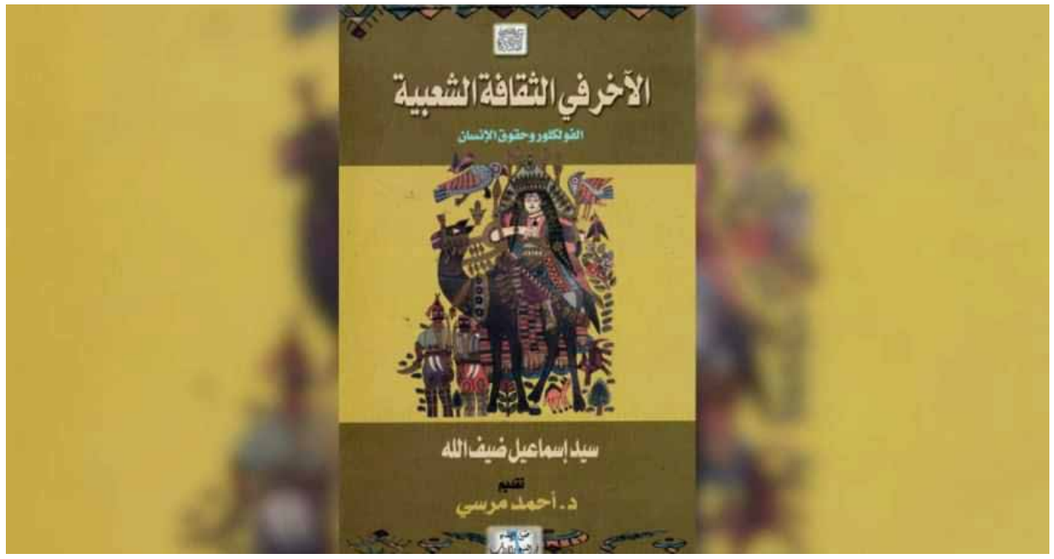

المصري يحمل بداخله زخماً حضارياً وثقافياً يبحث عمّن يستخرجه «ليبني في كل حارةٍ هرماً».

وكمعظم الباحثين، اعتبر عالمنا الجليل رسالته في الماجستير هي الأقرب إلى نفسه، وعنوانها «الأغنية الشعبية في بحيرة البرلس»، حيث أستأجر من أجلها حجرة متواضعة على بحيرة البرلس؛ ليصطاد مع الصيادين، ويشاركهم أغانيهم وطقوسهم واحتفالاتهم.

مخاطر سيادة التفكير الخرافي

أما أصعب ما واجهه فهو البحث عن «العديد»، وهي بكائيات ترثي المتوفى.. فكيف سيجمعها من بين نساء يبكين أحبّاء فارقوهن.. وعن أخطر ما طرحه، ففي كتاب «الخرافة في حياتنا»، رصد عبر ربع قرن كيف يسري التفكير الخرافي الذي يعزّزه البعض..

والخرافة توجد في أكثر البلاد تقدماً، حيث يوجد فيها من يقرأ (الطالع)، فيتفاءل به، أو يتشاءم منه.. وعلى الباحث أن يحلل الظاهرة ويرصدها بعيداً عن نظرة الدين لها. ويرى مرسي أن الخطر الحقيقي هو سيادة التفكير الخرافي في المجتمع، والأخطر هو أن يسند هذا التفكير الخرافي بنصوص دينية لا علاقة لها بهذا التفكير.

والتراث الشعبي كذلك قد يمثل خطراً على المجتمع، إذا أُهمل، ولم يجد من يهتم به، وينقّه من الشوائب الدخيلة.. فقد يُستغل هذا التراث ضد بناء الإنسان والمجتمع، عن طريق تغيير السياق؛ لذلك علينا رصد ما كان وتوثيقه على كل المستويات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.. كذلك توثيق كل ما هو حديث؛ لأنه سيصبح تراثاً فيما بعد، ولذلك ينبغي التنبّه إلى هذا.

ولقد ذكر في إحدى ندواته، أنه لا يوجد ما يسمى بالفولكلور، بل التراث الشعبي، أو المأثورات الشعبية، كما أن مصطلح الفنون الشعبية قد جرى حصره في فنون الرقص والغناء الشعبي، وأن المغنين الشعبيين قد دخلوا الأوبرا، بعدما كان الأمر حلماً جال بخاطر أستاذه الدكتور عبدالحميد يونس، الذي أخبره برغبته في تحقيق هذا الحلم.

أما حلم الدكتور أحمد مرسي نحو التراث فيتمثل في أمنية خروج باليه ذات الهمة، وأن الثقافة العربية هي الوحيدة التي أنتجت سيرة كاملة لامرأة، وأنه إذا كانت هناك أوبرا عايدة، ففي المقابل يمكن أن تكون هناك أوبرا ذات الهمة، كما أن عروض الأوبرا هي في الأساس مستقاة من التراث الشعبي، وأن كورساكوف على سبيل المثال قدّم ألف ليلة وليلة وسندباد وغيرهما من قصص التراث الشعبي، وبالتالي فمن المنطقي أن نكون نحن أولى بتراثنا، وأن ننقله نحن إلى الأوبرا.

ولقد شغل الدكتور أحمد مرسي مناصب أكاديمية عدة، منها عمادة كلية الآداب بجامعة بني سويف، وعمادة المعهد العالي للفنون الشعبية، كما عمل أستاذاً زائراً في العديد من الجامعات خارج مصر، كما في هارفارد وبنسلفانيا بالأمريكتين.

دراسات ومؤلفات وجوائز

للدكتور مرسي العديد من المؤلفات، منها:

- الأغنية الشعبية: دراسة ميدانية في منطقه البرلس، عام 1966.
- المأثورات الشعبية الأدبية: دراسة ميدانية في منطقة الفيوم، عام 1969.
- دراسات في الفولكلور (مع آخرين)، عام 1971.
- الأغنية الشعبية، عام 1971.
- مقدمة في الفولكلور، عام 1975.
- الفولكلور والإسرائيليات، عام 1976.
- الأغنية الشعبية: مدخل إلى دراستها، عام 1982.
- المأثورات الشفاهية (ترجمة)، عام 1982.
- الأدب الشعبي وفنونه، عام 1985.
- عالم نجيب محفوظ (بالإسبانية) مع آخرين، مدريد، عام 1989.
- كما نشر له الكثير من المقالات والأبحاث في المجالات المتخصصة.

كذلك حصد الكثير من الجوائز والأوسمة التي شرفت به، منها:

- جائزة الدولة التشجيعية في الفنون من المجلس الأعلى للثقافة، عام 1985.
- نوط الامتياز مصر، عام 1991.
- وسام الاستحقاق المدني إسبانيا، عام 1992.
- وسام الفنون الجميلة إسبانيا، عام 1993.
- جائزة الدولة للتفوق في الآداب من المجلس الأعلى للثقافة، عام 1999.
- جائزة جامعة القاهرة التقديرية (جائزة نجيب محفوظ للإبداع الفكري والأدبي)، عام 2006.
- جائزة الدولة التقديرية في الأدب من المجلس الأعلى للثقافة عام 2006.

وبهذا أصبح واحداً من أهم من بحث وجمع التراث الشعبي الشفهي وحقّقه، فقدم الكثير من المعارف التي كانت غائبة عن تراثنا وثقافتنا الشعبية التي توارثتها أجيال، ومن بعدها أجيال، فتأثرت بمتغيرات كثيرة، فقدم لموروثنا قيمة كبيرة، بعد أن حافظ على هويتنا على مدى عقود طويلة.

وبعد هذه الحياة الحافلة، والمعاناة الأخيرة، يترجل الفارس عن صهوة جواده، وتفقد الأمة قامة ثقافية شامخة، وقيمة أكاديمية متفرّدة فجر الأربعاء 20 يوليو 2022 عن عمر ناهز 78 عاماً من العطاء الثقافي والأدبي المنتمي لتراث البسطاء.

«التراث هو الماضي الذي يعيش في الحاضر، ويمكن أن يستمر في المستقبل».

د. أحمد مرسي

أحمد مرسي

(حارث التراث)

رحل عن عالمنا الدكتور أحمد مرسى، أستاذ الأدب الشعبى والفولكلور بجامعة القاهرة، بعد تعرضه لوعكة صحية، أدت لدخوله أحد المستشفيات.
وشارك الدكتور أحمد مرسي بإسهامات عديدة في العمل الثقافى، نستعرض أهمها من خلال السطور الآتية:

ضياء حامد
كاتب- مصر

- ولد في محافظة كفر الشيخ في 1 يناير 1944.
- بدأ أحمد مرسي حياته العملية معيداً في قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة القاهرة عام 1963، ثم مدرساً في القسم ذاته عام 1970، بعدها أستاذاً مساعداً عام 1975، ثم أستاذاً عام 1981، ورئيساً للقسم بين 1993–1994، وبين عامي 2000 و2003.

- تولى عمادة المعهد العالي للفنون الشعبية من 1981 حتى 1987، كما تولى عمادة كلية الآداب بجامعة بني سويف عام 2005.
- عمل أستاذاً زائراً في العديد من الجامعات خارج مصر، منها: جامعة هارفارد، وجامعة بنسلفانيا، وجامعة فيلادلفيا بالولايات المتحدة الأمريكية، وجامعة كامبردج البريطانية، وجامعة الكويت، وجامعة الكومبلتنسي في إسبانيا، وجامعة الإمارات العربية المتحدة.
- أنشأ المعهد العالي للفنون الشعبية بأكاديمية الفنون عام 1981، وكان أول عميد له في الفترة من 1981 حتى 1987.
- عمل مستشاراً ثقافياً في السفارة المصرية، ومدير البعثة التعليمية في روما بإيطاليا، ومستشاراً ثقافياً في السفارة المصرية، ومدير البعثة التعليمية، ومدير المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد بإسبانيا.
- حصل د. أحمد مرسي عبر مسيرته العلمية على العديد من الجوائز والأوسمة، منها: «وسام الاستحقاق المدني من إسبانيا – جائزة الدولة للتفوق في الآداب – جائزة جامعة القاهرة التقديرية – جائزة الدولة التقديرية في الآداب».

العمل الثقافي:

تولى إدارة مركز الفنون الشعبية بوزارة الثقافة المصرية (ندباً) من عام 1976 حتى 1987.

عمل على إعادة إصدار مجلة الفنون الشعبية عام 1987، بعد توقفها في عام 1970، وتولى رئاسة تحريرها.

عمل مستشاراً لمركز التراث الشعبي لدول مجلس التعاون الدولي (الخليج العربية من عام 1984 حتى عام 2004).

عمل مستشاراً لوزير الثقافة لشؤون التراث الشعبي عام 1997.

تولى رئاسة الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية من عام 2003 حتى عام 2005.

إسهاماته في حفظ التراث وتوثيقه:

- للدكتور مرسي العديد من الإسهامات في حفظ التراث المادي وغير المادي وتوثيقه، حيث شارك في صياغة اتفاقيتي اليونسكو (صون التراث الثقافي غير المادي)، و(تعزيز التنوع الثقافي).
- عمل على إدراج «السيرة الهلالية» ضمن مشروع «اليونسكو» للحفاظ على «روائع التراث الشفاهي للإنسانية»، وقد حصل مشروع جمع السيرة وتوثيقها على جائزتي الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، والشيخ شاكر بن زيد.

- شارك في إصدار أول أطلس للمأثورات الشعبية المصرية عام 2006.
- مشروع توثيق وتنمية فن التلي، بالتعاون بين المجلس القومي للمرأة والجمعية المصرية للمأثورات الشعبية.

إسهاماته الفكرية

أثرى الدكتور أحمد مرسى المكتبة العربية بالعديد من الإصدارات والمؤلفات، منها: «الأغنية الشعبية دراسة ميدانية في منطقة البرلس»، و«المأثورات الشعبية دراسة ميدانية في منطقة الفيوم»، ودراسات في الفولكلور (مع آخرين).

و«مقدمة في الفولكلور»، و«الأغنية الشعبية مدخل إلى دراستها»، و«المأثورات الشفاهية»، كما قام بتأليف «الأدب الشعبي وفنونه»، و«عالم نجيب محفوظ بالإسبانية» (مع آخرين)، و«الأدب الشعبي وثقافة المجتمع» و«الخرافة في حياتنا»، و«الإنسان والخرافة»، وكتاب «الأغنية الشعبية» الذي يوضح الدكتور أحمد مرسي من خلاله الأنواع المختلفة للمواويل الشعبية والأغاني التي سميت بالشعبية لوجود فئة كبيرة من الشعب تتغنى بها، وتتنوع هذه المواويل وتختلف في مصطلحاتها، أو في طريقة غنائها تبعاً للفئة التي تتغنى بها، وفي المجتمعات الشعبية يكثر الغناء للفئة الذكورية عن الفئة النسوية؛ لتمجيد الذكر، كما يكثر مدح الرسول في المواويل الدينية، والتي تكثر في ربوع وقرى مصر، وهكذا فهو يضرب الأمثلة لمختلف المواويل التي توجد في مختلف المناسبات، وكذلك الحركات والإيقاعات التي تمارس في تلك المناسبات.

من مؤلفاته أيضاً كتاب بعنوان «كان ياما كان.. احكِ لأولادك»، من خلال هذا الكتاب يدرك د. مرسي مخاطر العولمة الثقافية وهيمنة التكنولوجيا الحديثة، وانحسار دور الفلسفة من خلال تجربته الكبيرة مع الأدب الشعبي، وعمله في المؤسسات الدولية ذات الصلة، ولذلك يقدم دعوته في هذا الكتاب إلى صون التراث الثقافي المصري غير المادي (ضمان استمرار هذا التراث وانتقاله من جيل إلى جيل)، في مجال التقاليد وأشكال التعبير الشفهي من حكايات (حواديت) وأغانٍ وألغاز ونكات، ويرى أن الحكي هو الحضور الإنساني الذي يصنع التواصل بين الإنسان والإنسان، بما يمثله؛ لأن الحاكي يكشف عن طبيعته الإنسانية وحضوره المباشر، وبخاصة بالنسبة لمرحلة الطفولة التي تشكل أهم المراحل في تكوين الإنسان وإعداده لمواجهة الحياة، ومساعدته على أن يفهم ذاته، وأن يفهم الآخرين، واكتشاف العالم الذي يعيش فيه.

يتضمن الكتاب مجموعة من الحكايات الشائقة، منها: «حكاية الصياد والعفريت»، من حكايات «ألف ليلة وليلة»، وحكاية «ست الحسن والجمال والملك برق الإزاز»، وحكاية «كشكول ذهب»، ومجموعة من الحواديت المجموعة من الميدان، وحواديت الفوازير وبعض النوادر.

عاش الدكتور أحمد مرسى يكافح منذ خمسينيات القرن الماضي، ويقف حائط صد ضد تزييف وسرقة «الفولكلور المصري»، واختار التاريخ الشفاهي الذي لا يكذب، والذي دائماً يكمل الصورة في أحداث التاريخ الرسمي، فالوعي الجمعي عنده يكشف عن القيم الإنسانية والثقافية التي يغفلها التاريخ.

للدكتور مرسي مشروعه الحضاري الخاص به، وهو الأهم في مسيرته، وهو «تأسيس قاعدة بيانات لأول أرشيف فولكلوري بشكل مؤسسي»، فكانت الجمعية المصرية للمأثورات الشعبية التي سعى إليها من منطلق أن الإبقاء على هذه المأثورات في صدور الذين أوتوا فنها لم يعد حافظاً لها من الاندثار، وإنما استثمار التكنولوجيا لخدمة هذه المأثورات والحفاظ عليها، فالفنون على إجمالها عناوين حضارية ومتحضرة للشعوب، وهي الجوهر الحقيقي لها، ومن هنا استحق وبجدارة لقب «حارس التراث».

ملف العدد

البرامج التعليمية في معهد الشارقة للتراث
السياسات والمخرجات

36 البرامج التعليمية في معهد الشارقة للتراث
السياسات والمخرجات

42 الإدارة الأكاديمية مصنع للكوادر الوطنية
لحماية التراث الثقافي

48 البرامج التعليمية التراثيّة
احترافٌ وتخصصيّة

54 معهد الشارقة للتراث
نموذج أكاديمي شامل ومتكامل

58 معهد الشارقة للتراث
صرح أكاديمي ينافس أفضل جامعات العالم

ترفد سوق العمل بكوادر شابة مدرّبة في مجال التراث الثقافي

البرامج التعليمية في معهد الشارقة للتراث

السياسات، المخرجات

يعمل معهد الشارقة للتراث، من خلال الإدارة الأكاديمية، على تمكين المجتمع بفئاته وشرائحه كافة، من التعرف إلى التراث الثقافي، والإلمام بمختلف مجالاته وأجناسه، وطرح برامج تعليمية وتدريبية؛ لتزويد الدارسين بخبرات علمية، ومعارف نظرية وتطبيقية، في عدد من التخصصات ذات الصلة الوثيقة بالتراث الثقافي، الأمر الذي يسهم في إعداد الكوادر المتخصصة بهذا المجال المعرفي، ويعزز من دعم عناصر الهوية الوطنية، ويرسّخ أسس الثقافة الوطنية، بما توفره المعرفة التراثية المحلية من مشاعر الألفة والتضامن، وتقوية أواصر التماسك الاجتماعي بين مكونات المجتمع الواحد.

إن السياسة التعليمية التي ينتهجها المعهد تساعد الدارسين على الاستمرار في تطوير ذواتهم علمياً وثقافياً، وتزوّدهم بالمعارف المختلفة، وتدفعهم إلى المشاركة الاجتماعية في قطاعات وفعاليات العمل الثقافي كافة في الدولة.

ويطرح المعهد من خلال الخطة الدراسية والتدريبية عدداً من البرامج التعليمية المهنية المتوسطة في تخصصات عدة، ذات صلة وثيقة بالتراث الثقافي. كما يطمح المعهد إلى طرح برامج علمية وتعليمية في مستويات عليا، تتضمن الدراسات العليا الجامعية، وفي مستوى الماجستير، باعتباره الجهة المنوط بها تدريس علوم التراث الثقافي والعلوم ذات الصلة بهذا المجال.

وهناك خطة دراسية سنوية، تحتوي على عدد كبير من الورش والدورات التدريبية التخصصية في مختلف مجالات التراث الثقافي في دولة الإمارات، والتي تأتي في إطار استراتيجية المعهد الطموحة لحفز الدارسين من مختلف الأعمار والتخصصات والمستويات التعليمية؛ للنهل من معين التراث الثقافي، ومختلف المعارف الثقافية.

البرامج التعليمية والتدريبية

ترتكز البرامج التعليمية والتدريبية في أساسها على المؤهلات المعتمدة من المركز الوطني للمؤهلات بأبوظبي، وهي:

شهادة المستوى الخامس في جمع وتدوين وصون التراث الثقافي غير المادي

تشتمل هذه الشهادة على المساقات الدراسية (الوحدات المعيارية) وعدد الساعات المعتمدة لكل منها وفق الجدول التالي:

التسلسل	اسم المساق	عدد الساعات
1	التراث الثقافي وفنونه وطرق صونه	3
2	مدخل الى المخطوط	3
3	الترميم الالي للمطبوعات	3
4	الترميم اليدوي للمخطوط	3
5	المعالجة الكيميائية للمخطوطات والمطبوعات	2
6	عمليات التغليف والتجليد للمخطوطات والمطبوعات	2
7	عمليات التصوير الرقمي والأرشفة الإلكترونية للمخطوط	2
8	تطبيق عملي لترميم وصيانة وأرشفة مخطوط	5
	مجموع الساعات المعتمدة	23

شهادة المستوى الخامس في ترميم المخطوطات وصيانتها

تشتمل هذه الشهادة على المساقات الدراسية (الوحدات المعيارية) وعدد الساعات المعتمدة لكل منها وفق الجدول التالي:

التسلسل	اسم المساق	عدد الساعات
1	التراث الثقافي وفنونه وطرق صونه	3
2	الأنثروبولوجيا الثقافية	3
3	أشكال التعبير الشفوي	3
4	فنون الاداء الشعبي	3
5	الحرف والصناعات التقليدية ومهاراتها	3
6	الجمع الميداني لعناصر التراث الثقافي غير المادي	3
7	التطبيق العملي	5
	مجموع الساعات المعتمدة	23

شهادة المستوى الخامس في الأعمال الإدارية في المؤسسات الثقافية والتراثية

تشتمل هذه الشهادة على المساقات الدراسية (الوحدات المعيارية) وعدد الساعات المعتمدة لكل منها وفق الجدول التالي:

التسلسل	اسم المساق	عدد الساعات
1	التراث الثقافي وفنونه وطرق صونه	3
2	الاسس والوظائف الادارية والسياسات الثقافية للمؤسسات الثقافية والتراثية	3
3	الموارد البشرية للمؤسسات الثقافية والتراثية	2
4	تسويق موارد التراث الثقافي	3
5	السياحة الثقافية	3
6	ادارة المهرجانات والفعاليات التراثية	2
7	تمويل مشاريع التراث الثقافي	2
8	مشروع بحث تطبيقي (ادارة مشروع ثقافي بسيط)	5
	مجموع الساعات المعتمدة	23

شهادة المستوى الخامس في الإرشاد المتحفي:

تشتمل هذه الشهادة على المساقات الدراسية (الوحدات المعيارية) وعدد الساعات المعتمدة لكل منها وفق الجدول التالي:

التسلسل	اسم المساق	عدد الساعات
1	أساسيات علم المتاحف	3
2	الادارة المتحفية	3
3	مبادئ علم السياحة	3
4	الارشاد السياحي والمتحفي	3
5	توثيق وعرض المقتنيات المتحفية	3
6	التسويق المتحفي	3
	مجموع الساعات المعتمدة	18

بالإضافة إلى تلك البرامج ثمة برامج أخرى معتمدة على المستوى المحلي (حكومة الشارقة)، وهي:

برنامج التراث العمراني

يشتمل هذا البرنامج على المساقات الدراسية (الوحدات المعيارية) وعدد الساعات المعتمدة لكل منها وفق الجدول التالي:

التسلسل	اسم المساق	عدد الساعات
1	مدخل إلى التراث العمراني	3
2	مبادئ فن العمارة	3
3	منظمات ومواثيق دولية	3
4	مناهج في الصيانة والترميم	3
5	استدامة المناطق التراثية	3
6	تاريخ التخطيط الحضري المستدام	3
7	التطبيق العملي	7
	مجموع الساعات المعتمدة	25

اللائحة التنظيمية الأكاديمية

الكتب التعليمية

الإدارة الأكاديمية

مصنع للكوادر الوطنية لحماية التراث الثقافي

تقوم الإدارة الأكاديمية في معهد الشارقة للتراث بطرح برامج عدة معتمدة عن التراث الثقافي، واعتماد مؤهلات مهنية وإدارية، وترميم مخطوطات لحفظ التراث، مع تهيئة وتخريج كوادر وطنية مهنية متدربة على حماية التراث الثقافي وتلبية احتياجات سوق العمل.

وأكد عدد من القائمين على الإدارة الأكاديمية، أنّها تهيئ الكوادر التعليمية الخاصة بمعهد الشارقة للتراث من منتسبيها، منوهين باستخدام نظام التعليم الهجين خلال فترة التعليم عن بعد بسبب انتشار فيروس «كوفيد 19»، وطرح أكثر من 60 محاضرة وورشة عمل عن بُعد لنشر الوعي الثقافي.

وأشار القائمون إلى أنّ الإدارة الأكاديمية في معهد الشارقة للتراث، حصلت على اعتماد لشهادة المستوى الخامس من المركز الوطني للمؤهلات في «الإرشاد المتحفي»، مؤكدين أنّ التعليم والتدريب من أبرز مقومات الارتقاء بالعنصر البشري؛ لتحقيق التنمية المستدامة للتراث الثقافي.

بدرية الحوسني

سياسة الإدارة الأكاديمية تساعد الدارسين على الاستمرار في تطوير ذاتهم علمياً وثقافياً

قالت الأستاذة بدرية الحوسني، مديرة الإدارة الأكاديمية، إن سياسة الإدارة الأكاديمية بمعهد الشارقة للتراث، تساعد الدارسين على الاستمرار في تطوير ذاتهم علمياً وثقافياً، وتزودهم بالمعارف المختلفة، وتدفعهم إلى المشاركة الاجتماعية في كل قطاعات وفعاليات العمل الثقافي بالدولة.

ويطرح المعهد، من خلال الخطة الدراسية والتدريبية للإدارة الأكاديمية، عدداً من المؤهلات المهنية المعتمدة على المستوى الاتحادي (شهادة المستوى الخامس)، وهي: مؤهل جمع وتدوين وصون التراث الثقافي غير المادي، وترميم المخطوطات وصيانتها، والأعمال الإدارية في المؤسسات الثقافية والتراثية، والإرشاد المتحفي، بالإضافة لبرنامج التراث العمراني المعتمد على مستوى إمارة الشارقة.

وهناك خطة دراسية سنوية تحتوي على عدد كبير من الورش والدورات التدريبية التخصصية في مختلف مجالات التراث الثقافي في دولة الإمارات العربية المتحدة، والتي تأتي في إطار استراتيجية المعهد الطموحة لحفز الدارسين من مختلف الأعمار والتخصصات والمستويات التعليمية؛ للنهل من معين التراث الثقافي ومختلف المعارف الثقافية.

والمؤهلات المهنية المطروحة في معهد الشارقة للتراث، تم اعتمادها من المركز الوطني للمؤهلات، التابع لوزارة التربية والتعليم بدولة الإمارات العربية المتحدة.

د. بسمة كشمولة

الإدارة الأكاديمية بمعهد الشارقة للتراث، من الإدارات الخلّاقة والمبدعة

قالت الدكتورة بسمة وليد كشمولة، نائب مدير الإدارة الأكاديمية في معهد الشارقة للتراث، إنّ الإدارة الأكاديمية بمعهد الشارقة للتراث، من الإدارات الخلّاقة والمبدعة، فهي تمارس نشاطها منذ شهر أغسطس 2016، بطرح العديد من البرامج الخاصة بالتراث الثقافي المعتمدة من معهد الشارقة للتراث، والعديد من ورش العمل والمحاضرات.

وأضافت أنّه في منتصف عام 2020، اعتُمدت مؤهلات مهنية عند المستوى الخامس في جمع وتدوين وصون التراث الثقافي غير المادي، ومؤهل الأعمال الإدارية في المؤسسات الثقافية والتراثية، ومؤهل ترميم المخطوطات وصيانتها؛ لتطوير 3 مهن على المستوى الوطني في التراث الثقافي وهي «فنيو المعارض والمتاحف والمكتبات، اختصاصيو الوثائق والمحفوظات (الأرشيف) والمتاحف، مديرو الخدمات التخصصية الأخرى غير المصنفة ومنها مديرو المتاحف والمكتبات ومراكز الفنون» بحسب التصنيف العالمي وتوصيف المهن «الإيسكو 08»، ودليل المنظومة الوطنية للمؤهلات لدولة الإمارات العربية المتحدة في قطاع الفنون والثقافة والترفيه.

وأكدت أنّه من هذا المنطلق استُقبل أكثر من 11 دفعة من الدارسين في الفترة ما بين 2016 إلى 2022، وفي شهر أكتوبر 2021 استُقبلت الدفعة الأولى من الدارسين في المؤهلات المعتمدة على المستوى الاتحادي، وعددهم 71 دارسًا موزّعين على المؤهلات والبرامج التدريبية التخصصية، مشيرة إلى أنّه خلال عامي 2021-2022 تمّ تهيئة الكوادر التعليمية الخاصة بمعهد الشارقة للتراث من منتسبيها؛ للحصول على شهادة مقيم مهني معتمد ومدقق داخلي من معهد جستن للمعلمين المهنيين في المملكة المتحدة والمعاهد، والمعتمد من المركز الوطني للمؤهلات التابع لوزارة التربية والتعليم في دولة الإمارات العربية المتحدة.

وأشارت إلى أنّه في ظل جائحة كورونا ما بين عامي 2020-2022، استُخدم نظام التعليم الهجين، وطُرحت أكثر من 60 محاضرة وورشة عمل عن بُعد لنشر الوعي الثقافي؛ لتحقيق رؤية ورسالة معهد الشارقة للتراث، بمشاركة أكثر من 1800 مشارك من دولة الإمارات العربية المتحدة، ومملكة البحرين، والكويت، والمملكة العربية السعودية، والعراق، وسوريا، وموريتانيا، والمغرب، والجزائر، وتونس، والهند، وفرنسا، والمملكة المتحدة، وتركيا، والسودان، والمملكة الأردنية الهاشمية وغيرها، إذ إنّ المنهاج التعليمي عن بُعد ساهم في نشر الوعي الثقافي للكثير من الباحثين في التراث الثقافي من الدول السابقة، إذ إنّ معظم المشاركين هم باحثون وطلاب دراسات عليا في التراث الثقافي، ومن محبي التراث بجميع تخصصاته.

وتابعت وقّع المعهد اتفاقات أكاديمية؛ لتشجع التعاون الأكاديمي والتعليمي مع جامعة الشارقة، والجامعة القاسمية، وجامعة باليرمو «مالطا»، وجامعة الصين الصناعية، مشيرة إلى أنّ هناك برنامجين مشتركين في طور الإطلاق في صيف 2022، وهما برنامج التدريبي التخصصي المشترك في «الإعلام الثقافي» مع الجامعة القاسمية، والبرنامج التخصصي المشترك في «تهيئة مرشدين سياحيين ثقافيين» مع هيئة الإنماء التجاري والسياحي في الشارقة، كما أنّ إدارة الأكاديمية تستعد لاستقبال الدارسين حضوريا في شهر سبتمبر 2022.

د. صابر يحيى

> التعليم والتدريب من أبرز مقومات الارتقاء بالعنصر البشري

من جهته، قال الدكتور صابر يحيى مرزوقي حمد، إنّ التعليم والتدريب من أبرز مقومات الارتقاء بالعنصر البشري؛ لتحقيق التنمية المستدامة للتراث الثقافي، وهو ما يتطلب ضرورة توافر بعض الجهات والمؤسسات التي تضطلع بمهمة إعداد البرامج التعليمية والتدريبية التخصصية التي يشرف على إعدادها وتقديمها وتطويرها مجموعة من الخبراء والمتخصصين في مختلف مجالات التراث الثقافي.

وأضاف أنّ ذلك يبرز أهمية البرامج التعليمية والتدريبية التي يقدمها معهد الشارقة للتراث بهدف تنمية وتطوير المهارات التخصصية للعاملين في مختلف

مجالات التراث الثقافي، وكذلك تهيئة كوادر بشرية جديدة مؤهلة ومدربة لاستكمال مسيرة حفظ وصون التراث الثقافي عبر الأجيال المتعاقبة، علاوة على أهمية هذه البرامج التعليمية والتدريبية في نشر الوعي الثقافي والمعرفي بأهمية الثقافة والتراث بين جميع فئات المجتمع.

وأشار إلى أنّ الإدارة تقدم برنامج شهادة المستوى الخامس في الإرشاد المتحفي، الذي يهدف إلى تزويد المتدربين بالمعارف والمهارات والكفايات الضرورية لممارسة الأعمال الإدارية المختلفة في المتاحف، مثل توثيق وعرض المقتنيات المتحفية، وتسويق المتاحف، وتقديم الإرشاد السياحي والمتحفي، وعند إكمال المتدرب لهذا البرنامج بنجاح، وسيكون قادراً على أن يوثّق ويعرض المقتنيات المتحفية، ويسوّق للمتاحف، ويظهر معرفة بمهام ومسؤوليات وإجراءات مختلف إدارات المتحف، ويلتزم بقواعد ومبادئ الإرشاد السياحي والمتحفي، ويظهر معرفة بعلم المتاحف وأنواع المتاحف وبالمنظمات الدولية للمتاحف، ويظهر معرفة بمبادئ ومقومات صناعة السياحة وبتأثيراتها المختلفة.

ونوّه بأنّ جهود إدارة المعهد وفريق عمل الإدارة الأكاديمية نجحت في تنفيذ متطلبات اعتماد البرنامج، وحصل البرنامج على موافقة باعتماده في يونيو 2022 تحت مسمى «شهادة المستوى الخامس في الإرشاد المتحفي»، ويستعد المعهد وفريق عمل الإدارة الأكاديمية خلال الفترة المقبلة؛ ليتم البدء في التسويق للبرنامج والتواصل مع مختلف المؤسسات الثقافية والتراثية للتعريف للبرنامج، على أن تبدأ الدراسة به مع بداية العام الأكاديمي 2022 - 2023.

د. أحمد رفيق

> الإدارة الأكاديمية تعتمد أحدث الطرق لإعداد البرامج المهنية

وأكد الدكتور أحمد عارف رفيق، عضو هيئة التدريس في معهد الشارقة للتراث، إنّ إدارة المؤسسات الثقافية والتراثية تُعد محل اهتمام الطلاب والموظفين والممارسين العاملين في دراسات التراث والمحافظة عليه، في حين تعتبر الإدارة تطبيقًا احترافيًا، وتهدف الإدارة الأكاديمية إلى تقديم أساس نظري سليم ذي صلة بمجموعة المعرفة المرتبطة بإدارة أماكن التراث الثقافي، ومن هنا برزت الحاجة إلى تقديم برامج مهنية وأكاديمية لإدارة المؤسسات الثقافية والتراثية، لكي تسهم في عمليات التخطيط والمتابعة والتحسين للمخرجات الثقافية والتراثية، وكذلك تقديم تحليلات شاملة للحفاظ على التراث الثقافي.

وأشار إلى أنّ الإدارة الأكاديمية تعتمد أحدث الطرق والممارسات المحلية والدولية في إعداد البرامج المهنية والأكاديمية المتعلقة بإدارة المؤسسات التراثية و الثقافية، حيث تساعد هذه البرامج في فهم التغييرات التي تحدث في أنماط التفكير حول التراث كجزء من التحولات الحضرية المعقدة بشكل متزايد، كما تأخذ هذه البرامج في الاعتبار كيف يجب أن يتفاعل الدارسين مع الممارسات المهنية ودعمها بالنظريات الإدارية الحديثة؟ والتي تطبق في مجالات الثقافة والتراث.

م. وفاء داغستاني

> نتيح للطلبة التعرف على التراث وكيفية الحفاظ عليه واستدامته

وأضافت المهندسة المعمارية وفاء عدنان داغستاني، عضو هيئة تدريس في معهد الشارقة للتراث، أنها قامت بتدريس عدة مساقات منها استدامة المناطق التراثية، فنون العمارة الإسلامية، تاريخ التخطيط العمراني، مبادئ في العمارة/تاريخ العمارة، عن طريق التعلم الهجين (عن بعد) بسبب جائحة كورونا، إضافة إلى التواصل مع الطلبة عبر مواقع التواصل للحصول على معلومات أكثر، والإجابة على استفساراتهم وتساؤلاتهم ومناقشة تقاريرهم المطلوبة منهم، ويُعد هذا البرنامج بمثابة همزة الوصل بين الماضي والحاضر كي يتعرف هذا الجيل على تراث الأجداد العريق.

واستكملت: «بدورنا ووفق هذا البرنامج التخصصي نتيح للطلبة التعرف على هذا التراث وكيفية الحفاظ عليه واستدامته وصونة من الضياع، حيث قدمت عدة محاضرات وورش عن بعد، متعلقة بالتراث ضمن الفعاليات التي نظمها المعهد بشكلٍ عام، والتي نظمتها الإدارة الأكاديمية بشكل خاص كأيام الشارقة التراثية، وملتقى الشارقة الدولي للراوي، ومهرجان ضواحي 10 وغيرها».

د. صالح هويدي

> تزويد الدارسين بالمعارف والمهارات والكفايات

وقال الدكتور صالح هويدي تقدّم الإدارة الأكاديمية برامج تعليمية مهنية، في ضوء أهداف المعهد ورسالته، وانبثاقاً من توجيهات صاحب السموّ الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، وحرصه البالغ على الموروث، والنهوض به ترسيخاً للهوية، وإعادة إنتاجه للأجيال الحالية، ونشره على المستوى الدولي.

وتكمن أهمية هذه البرامج في أنها من البرامج الرائدة على مستوى الدولة؛ لأنها برامج مؤهلات مهنية متخصصة، تنهض بها جهة معتمدة من المركز الوطني للمؤهلات في أبوظبي.

أما هذه البرامج والمؤهلات المعتمدة من قبل المركز الوطني، فهي أربعة:

- شهادة المستوى الخامس في جمع وصون التراث الثقافي غير المادي.
- شهادة المستوى الخامس في ترميم المخطوطات وصيانتها.
- شهادة المستوى الخامس في الأعمال الإدارية في المؤسسات الثقافية والتراثية.
- شهادة المستوى الخامس في الإرشاد المتحفي.

وثمة برنامج معتمد على المستوى المحلي لحكومة الشارقة، خاص بالتراث العمراني الذي يهدف إلى تزويد الدارسين بالمعارف والمهارات الخاصة بالتراث العمراني، ومعرفة معايير تصنيف العمارة التراثية. كما تسعى الإدارة إلى طرح دبلومات أطول زمنياً في المراحل القادمة.

أما هدف هذه البرامج فيتمثل في تزويد الدارسين بالمعارف والمهارات والكفايات التي تؤهلهم للنهوض بالأعمال المنوطة بهم في مؤسساتهم بمهارات متقدمة. وقد كان لقيادة المعهد غير التقليدية، ودعمها غير المحدود، الأثر الكبير في تحقيق طموحات الإدارة ومنجزها.

د. مهى الدوري

> العمل الميداني يساهم في ترسيخ المعلومات الأساسية

وأكدت الدكتورة مهى الدوري، أنّها قامت بتدريس مساقات دبلوم التراث الثقافي غير المادي ومنها مدخل لدراسة التراث غير المادي، والأنثروبولوجيا الثقافية، والحرف والصناعات التقليدية في دولة الإمارات عن طريق التعلم عن بعد من خلال تطبيق زووم، واللقاءات الثقافية مع الطلبة، كما قامت بوضع تقييمات المساقات وعمل التدريبات الأدبية الثقافية للطلبة من خلال طرح الأسئلة، واستخدام أسلوب العصف الذهبي، وفتح باب الحوار بين الطلبة لطرح آرائهم ورؤاهم للمستقبل لنشر التراث الثقافي وترسيخه في أذهان الأجيال القادمة.

وأوضحت أنّ مساق تدريب العمل الميداني، الذي أشرف عليه، ساهم في ترسيخ هذه المعومات الأساسية من خلال إجراء المقابلات مع الحرفيين والأدبيين للتعرف على ماضي الحرف والفنون والآداب وكيفية الحفاظ عليها، مشيرة إلى أنّها قامت بإلقاء محاضرات عن التراث الإماراتي وعراقته وأصالته ودور التراث في التصدي لتحديات العولمة والحرف، وكيفية الحفاظ عليها لازدهار الاقتصاد، والسعي لتطوير العمل الأكاديمي بطرح الآراء المساهمة في عملية التطوير، ومنها عمل شراكة أكاديمية مع مؤسسات ذات تخصص في التراث الثقافي، وعمل البحوث المتخصصة التي من شأنها نشر التراث الثقافي في ميادين مختلفة.

البرامج التعليمية التراثيّة
احترافٌ وتخصصيّة

فهد علي المعمري
باحث – الإمارات

إن الحديث عن التراث لهُو حديث ذو شجون، حديث يفوح بعبَق الماضي، وألق الحاضر، وأصالة المستقبل؛ والمضي في طريق أسّسه لنا الآباء والأجداد لهُو حقيق بأن نسلكه، وحقيق بأن نأخذ منه ويأخذ منّا، وأن نكتشف مكامنه ومطامنه، وأن نعرف مجاهله ومآهله؛ لأنه هو الأصل، والأصل دائماً يحب أن يُتّبع.

لذا كان لزاماً على كل مَن أراد الولوج إلى عوالم التراث؛ أن يكون جديراً بحمل هذه الأمانة، التي كُتب لها البقاء في الحياة، والخلود في عالم الدنيا، ولكن للبقاء والاستمرار ثمّة أمور، وثمّة قواعد يجب أن تُؤخذ بعين الاعتبار، وتُولى أهمية قصوى حتى يُكتب لها البقاء الخالد.

من هنا نبدأ، ومن هنا نرسم خريطة الطريق، الطريق الذي يضمن لنا استمرارية التراث، وحفظه وصونه وتدوينه وتوثيقه. وعلاوة على ذلك أن نتعلّم التراث ونفهمه ونحيط بأسراره، ونسبر أغواره، حتى تتجلّى لنا عظمة هذا الإرث الذي أخذناه كابراً عن كابر على مَرّ الأزمان وتعاقب الإنسان، ومن هذا المبدأ، ومن هذه الرؤية، ومن هذا المنطلق، يبدأ الحديث الذي تقاطعت أشجانه، وتفرّعت أغصانه، وبرز لنا ميدانه. وإذا أراد الله لأمر أن يتمّ سخَّر له من يقوم به، وينشط له، حتى يكتمل ذلك الأمر، وما نعنيه ونتحدث عنه هو تلك النجمة اللامعة في سماء التراث، تلك النجمة هي معهد الشارقة للتراث؛ هذا المعهد الذي أخذ على عاتقه منذ اليوم الأول لانطلاقته أن يكرّس أدواره ومهامّه وخدماته في خدمة التراث الشعبي، وأن يستثمر كل طاقاته في الارتقاء بهذا الميدان.

سوف يكون حديثنا عن البرامج الأكاديمية لمعهد الشارقة للتراث، عبر البرامج التراثيّة والثقافيّة، ودوره من خلال هذه البرامج الأكاديميّة في تخريج كوكبة من الشباب والشابات المهتمين بالتراث، والواعين والمدركين لما هم مقدمون عليه، تلك البرامج التي أصبحت أحد المشاريع الرائده التي يقدمها المعهد للراغبين في الاحترافيّة والتخصص، ونهل المزيد من نهر التراث الجاري؛ هذه البرامج الأكاديميّة التي ارتكز عليها معهد الشارقة للتراث، واستقدم لها خيرة المدربين ليُفرغوا خبراتهم الطويلة لفئة واعدة استفادت من قبل، وهي اليوم تفيد الآخرين.

ولتحقيق تلك المآرب والمقاصد التي خطط لها القائمون في المعهد، كانت البداية إدراج إدارة معنية ومتخصصة بهذا الشأن، وأن تعمل على تحقيق الرؤى والغايات المتعلقة بالبرامج الأكاديميّة، لتأخذ هذه الإدارة زمام العمل والمبادرة في تحقيق الهدف المنشود، وقد برزت هذه الإدارة كواحدة من الإدارات التي تندرج تحت الهيكل التنظيمي للمعهد، وأخذت الإدارة الأكاديمية تعمل – من خلال برامج تعليمية هادفة، وأنشطة تدريبية متنوّعة – على تزويد الدارسين والمتدربين بالمعارف العلمية والمهارات التطبيقية والأكاديمية في مجال التراث الثقافي، والمجالات التخصصية الأخرى ذات الصلة، التي تمكّنهم من إدارة مؤسسات التراث

الثقافي، ونشر الوعي بمكونات عناصر التراث، ودورها في الحفاظ على الهوية الوطنية، وإحداث التنمية الثقافية في المجتمعات المحلية، وتهيئة وتطوير كوادر بشرية ملمّة بالتراث الثقافي، وأساليب حمايته وإدارته، وحفظه وصونه من خلال الدبلومات المهنية الخمسة، وهي:

1. جمع وتدوين وصون التراث الثقافي غير المادي.
2. ترميم المخطوطات وصيانتها.
3. الأعمال الإدارية في المؤسسات الثقافيةوالتراثية.
4. إدارة المتاحف.
5. برنامج التراث العمراني.

وتهدف هذه المؤهلات إلى تزويد المتدرّب بالمعارف والمهارات والكفايات اللازمة لتنفيذ الأعمال الإدارية الرئيسة في المؤسسات الثقافية والتراثية، من حيث التعرف إلى الأسس والوظائف الإدارية، والسياسات الثقافية، وإظهار معرفة ومهارة في توفير وتنويع مصادر الدعم المالي، والرعاية المالية للمؤسسات الثقافية والتراثية والفنية، ومعرفة إجراءات إدارة الموارد البشرية في المؤسسات الثقافية والتراثية، وتسويق المنتج الثقافي وأوجهه في المؤسسات الثقافية والتراثية والفنية، إلى جانب تعزيز المعرفة والمهارة في إدارة السياحة الثقافية وأسسها الدولية، وفهم المهرجانات والفعاليات التراثية والثقافية، وآلية تنظيمها.

كما تمنح البرامج الخريجين معارف ومهارات علمية وميدانية وتطبيقية في مختلف حقول التراث الثقافي، وتدعمهم في المجالات الثقافية والتربوية والسياحية والإعلامية، إضافة إلى أن هذه البرامج التخصصية ترفد المجال التعليمي الأكاديمي بالمعارف العلمية النظرية والتطبيقية، وبمجموعة المهارات المعرفية اللازمة لتخريج باحثين قادرين على فهم واستيعاب أقسام التراث، وإدارة مشروعاته، وبالتالي يبقى العمل في مجال التراث مكسباً وغايةً، وما بين المكسب والغاية هو الاهتمام بالتراث.

وبهذه المساعي الحثيثة، وبالإدارة الأكاديميّة، وبهذه البرامج، فإن المعهد يقوم بمهماته ووظائفه وواجباته، حيث يتكامل دوره الميداني والعلمي، ويتميّز بتنوع هائل للأنشطة والبرامج التي تغطي مختلف جوانب وميادين

التراث في ظل دعم لامحدود من صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة. ويعمل معهد الشارقة للتراث على ترسيخ المعارف التراثية والفنون الشعبية من خلال البرامج المهنية التي أطلقها تنفيذاً لتوجيهات صاحب السمو حاكم الشارقة. وفي سبتمبر 2016 كانت البداية والانطلاقة للبرامج الثقافيّة والتراثيّة، وشملت عدداً من التخصصات المهمة في مجال التراث الثقافي، وبإشراف نخبة من الأكاديميين والخبراء والمتخصصين في هذا المجال، بهدف تكوين كوادر مدربة ومتسلحة بالمعارف النافعة في شتى فروع التراث الثقافي، لسد الفراغ الكبير في مجال التأطير العلمي والتكوين المنهجي في التراث.

وجاءت هذه البرامج لتتّصل بالتراث الثقافي بشقيه المادي وغير المادي، وهي الأولى من نوعها في العالم العربي، وتهدف إلى تهيئة وتدريب وتأهيل كوادر مهنية

تُعنى بحفظ التراث الخليجي والعربي، في ظل طموح المعهد إلى أن يكون المؤسسة المتخصصة وطنياً وإقليمياً ودولياً في رفد الميدان الثقافي والتربوي والسياحي بكوادر بشرية مزوَّدة بالمعارف والمهارات اللازمة لإدارة فعَّالة للتراث الثقافي وحفظه وصونه، وتعزيز الوعي بأهميته، من أجل المساهمة في بناء المعرفة الإنسانية وتنمية الاقتصاد الثقافي، ولتكون الإدارة الأكاديميّة في المعهد وجهة علمية وثقافية تختص بالتراث الثقافي، وتجمع الخبراء والمهتمين بالتراث الثقافي في فضاء رحب يؤمن لهم المناخ والدعم اللازم للنهوض بالعمل في هذا المضمار.

ولأن هذا الميدان هو الحقل الأهم لحصد وجني التراث الثقافي؛ فقد دأب الباحثون والخبراء في التراث على الاعتماد على الميدان لالتقاط ما يمكن التقاطه من مواد ثقافية من الكنوز البشرية الحية، وكذلك فرق العمل المتخصصة للمساعدة في عمليات الجمع والتدوين، وقد رافق المنجز من الأعمال الميدانية حاجة للاهتمام بأمور أخرى، كالوثيقة والمخطوط والمقتنيات التراثية والبناء التقليدي، وكل ذلك كان يتطلب إيجاد مختصين في الجمع والتدوين وإدارة التراث الثقافي، وترميم الوثائق والمخطوطات وإدارة المتاحف وحفظ التراث العمراني، ويتوج جميع ذلك إدارة المؤسسات الثقافية.

وتأتي الشهادات لهذه الدراسات الأكاديميّة معتمدةً من المعهد، بينما الترخيص الأولي من الهيئة الوطنية للمؤهلات في أبوظبي، فيما تمنح الدراسة فرصة للحصول على التحصيل العلمي والتطبيق العملي

في معهد الشارقة للتراث، كما أن هناك حزمة من الأهداف الفرعية لكل دبلوم مهني، منها على سبيل المثال: أن الأهداف الخاصة بالدبلوم المهني في ترميم المخطوطات والوثائق التراثية هي التعرف إلى مفهوم المخطوط ومكوناته وعناصره واختلافاته لكل حقبة زمنية معينة، وإتقان ممارسة العمل على المخطوط في مجال الترميم، والتعرف إلى التجارب العالمية في مجال ترميم المخطوطات وتعقيمها وحفظها ومعالجتها وتخزينها لاجتياز مرحلتي الماجستير والدكتوراه في مجال ترميم المخطوطات والوثائق التراثية.

ولو أخذنا نموذجاً حيّاً للبرامج الأكاديمية للعام الدراسي المنصرم 2021–2022، واخترنا الدبلوم المهني في إدارة المتاحف، فقد نُفّذ برنامج دبلوم علم المتاحف، عبر 5 مساقات هي:

1. مساق الإدارة المتحفيّة.
2. مساق التسويق المتحفي.
3. مساق توثيق المقتنيات.
4. مساق العرض المتحفي وأساليبه.
5. مساق طرق التخزين المتحفي.

والتحق بهذا البرنامج 15 طالباً وطالبة قضوا فترة البرنامج خلال 3 أشهر ونصف الشهر، عبر 14 أسبوعاً، بواقع حصة واحدة لكل أسبوع، ومدة كل حصة 3 ساعات، وبعد الانتهاء من هذه المساقات النظرية، تم نقل الطلاب المشاركين إلى المساق الميداني بواقع 4 أسابيع، لينتهي البرامج كاملاً في 18 أسبوعاً.

وبعد سبع سنوات من انطلاق دورة الدفعة الأولى التي بدأت في 2016، تشرَّف المشاركون بحضور صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، الذي كرَّم طلاب الدفعة الأولى، وأكد سموّه أهمية البرامج الأكاديميّة التي طرحها معهد الشارقة للتراث، وأصبحت رافداً محلياً وعربياً وإقليمياً في حفظ التراث وصونه، وتخريج جيل مثقّف ومتخصص بعلوم التراث الشعبي والتراث الثقافي والمؤسسات الثقافيّة.

نحو التوجه لمنهجية التراث ودراسته

معهد الشارقة للتراث

نموذج أكاديمي شامل ومتكامل

فاطمة سلطان المزروعي
رئيس قسم الأرشيف الوطني

الاهتمام بالتراث –من دون شك– مطلب يتزايد إلحاحاً، ويتعاظم مع سطوة التطور التكنولوجي والتقدم البشري، وفي الإمارات تحديداً العناية بتراث الآباء والأجداد جزء من التنمية، وجزء من الخطط الطموحة نحو المستقبل والتطور؛ ولذا نشاهد الهيئات المتخصصة والمراكز التي تولي العناية والاهتمام بهذا الإرث الإنساني.

أشير إلى السبق الغربي في العناية بتركة الماضي، حيث تُعتبر المحافظة على التراث الإنساني شاملةً لكل تفاصيله وعلومه، وتُعَدّ دراسته جزءاً من التفكير العام؛ فالغرب يعتبر التراث بمختلف أنواعه على درجة عالية من الأهمية؛ لأنه يتضمن قيماً ومبادئ تجب دراستها وحفظها؛ ولذا نشأ في دول أوروبية عدة علم يقوم على المصادر التراثية، ولا سيما

في إنجلترا وإيطاليا وفرنسا وإسبانيا، ونجد مثل هذا التوجه حاضراً في جامعات عدة؛ حيث توجد بين أروقتها أقسام علمية تدرس وتبحث في هذا المجال؛ وأيضاً تتولى هذه الأقسام العلمية الحفاظ على التراث من الاندثار وصونه من التلف، وتحفظ مصادره ومراجعه وحمايته من التدمير الذي يحصل في أحيان بأيدي الإنسان نفسه، وأيضاً تهتم هذه الأقسام العلمية بجعل التراث موجوداً في ظل التطور التقني والحضاري الذي تعيشه البشرية، وتعمل على أن يكون جزءاً من هذا الحاضر.

منظمة عالمية مثل اليونسكو خير مثال لهذا الحضور؛ فمهمتها الرئيسة هي حماية التراث العالمي من الاندثار، وصونه ورعايته، وسن القوانين التي تعمل على حمايته.

لقد استطاع معهد الشارقة للتراث أن يتبوأ مكانة قيّمة؛ لكونه مؤسسة أكاديمية بحثية، ومركزاً علمياً للتراث الثقافي المادي وغير المادي معاً، وتم إنشاؤه في عام 2014. ويُعتبر المعهد إحدى أكبر المؤسسات الثقافية والعلمية الأكاديمية التي تعمل على حفظ التراث الثقافي الإماراتي، والعربي، غير المادي، وصونه وتوثيقه، والتعريف به على أوسع نطاق. ويضطلع المعهد، منذ إنشائه، بمهام دراسة التراث وتدريسه، وحفظه، ونشره، بالإضافة إلى الاهتمام بالترميم والصيانة، كما أن لدى المعهد فعاليات تراثية منها: ملتقى الشارقة الدولي للراوي، وأيام الشارقة التراثية، وملتقى الشارقة للحرف التقليدية، وأسابيع التراث الثقافي العالمي، وغيرها من الفعاليات؛ هذا إلى جانب تنظيم سلسلة متواصلة من الندوات والمحاضرات المتخصصة على مدار العام، من أجل التوعية والتثقيف والتعريف بأهمية التراث وحمايته وحفظه.

كما أسهم معهد الشارقة للتراث في مجال النشر، وأصدر مئات الكتب التراثية والتاريخية، ويصدر المعهد دوريّتين هما "مراود"، و"الموروث".

واهتمام المعهد بالدراسة الأكاديمية واضح من خلال طرحه ستة برامج أكاديمية متخصصة تتّصل بالتراث

الثقافي بشقيه المادي وغير المادي، وتصل مدة الدراسة في كل برنامج إلى 35 ساعة. ويضم المعهد الآلاف من المنتسبين إلى هذه البرامج الأكاديمية التي تسعى إلى تخريج نواة لعلماء المستقبل في مختلف الشؤون التراثية.

ويشمل برنامج إدارة التراث الثقافي، ويهدف إلى فهم الأسس النظرية في مجال صيانة التراث العمراني، وشرح التجارب العالمية في مجال التراث العمراني وصيانته، وتطبيق استراتيجيات الحماية والصيانة والترميم لمواقع التراث الثقافي. أما برنامج جمع وصون وتدوين التراث الثقافي غير المادي، فيهدف إلى فهم التراث الثقافي المادي وغير المادي، وشرح الحرف والصناعات التراثية الوطنية.

ويركز برنامج ترميم المخطوطات والوثائق التراثية على ترميم المخطوطات وصيانتها، والتعريف بمفهوم المخطوط وعلومه وفنونه، ومكوناته وعناصره واختلافاته لكل حقبة زمنية معينة، بالإضافة إلى إتقان ممارسة العمل على المخطوط في مجال الترميم والتحقيق والفهرسة، والتعرف إلى التجارب العالمية في مجال ترميم المخطوطات، وتعقيمها وحفظها ومعالجتها وتخزينها.

ويهدف برنامج إدارة المتاحف إلى فهم علم المتاحف ونشأته وتطوره، ووصف وظائف المتاحف وأنواعها؛ في حين يهدف برنامج الدبلوم المهني في الأعمال الإدارية في المؤسسات الثقافية والتراثية، إلى فهم الفلسفة النظرية الإدارية، والتعرف إلى السياسات الثقافية في مجال إدارة الموارد البشرية، وتطبيقاتها في المؤسسات الثقافية.

والهدف من اعتماد تلك الدبلومات يكمن في رفد التعليم المهني بالمعارف العلمية والتطبيقية، ومجموعة المهارات المعرفية اللازمة لتخريج باحثين قادرين على فهم واستيعاب أقسام التراث الثقافي. وأغلب البرامج تؤهل المنتسبين للحصول على درجتي الماجستير والدكتوراه في المجالات التراثية، فضلاً عن توفيرها كوادر متخصصة ومتنوعة في مختلف المجالات التراثية. كما أن جميع المنتسبين للدبلومات لديهم فرصة للحصول على التدريب والتطبيق العملي عبر التسهيلات المتوافرة في المعهد، الذي يسعى إلى توفير الإمكانات اللازمة كافةً للدارسين في جميع التخصصات.

لقد حان الوقت الآن لإدراج دراسات التراث ضمن المنظومة التعليمية في عالمنا العربي؛ وأن تكون هناك

أقسام علمية معترف بها، تُعنى بتأهيل جيل متعلم يدرك كيفية التعامل مع الموروث البشري، وكيفية حمايته واستثماره وتقديمه للجمهور، ليصبح جزءاً من واقع الناس، وليس منفصلاً عنهم.

وأعتقد أن التطور الذي نعيشه في هذا العصر، بما فيه انتشار الهواتف الذكية والتطبيقات الإلكترونية، وسطوة مواقع التواصل الاجتماعي، يُحتّم مثل هذا التوجه نحو علمية التراث ودراسته، لأن هذا التوجه هو الذي سيُولد الأفكار والابتكارات لجعل هذا الموروث جزءاً من الناس؛ ومن دون العلم لا يمكن نقل هذا التراث ليصبح ذا حضور كبير في الهواتف الذكية والتطبيقات المتنوعة، بل لا يمكن أن يصبح له حضور في عمق التقنية التي يتعامل معها الناس، وسنجد بعد بضع سنوات أنه -أي التراث- معزول في المتاحف أو في الكتب وفي عمق المكتبات، وأن المواقع التراثية لا أحد يعرف أين مقرها، وهذا الانفصال يحدث بشكل تدريجي وبطيء، ويجب أن نستلهم تجربة معهد الشارقة للتراث التي نجحت في جعل تراث الآباء والأجداد جزءاً من التنمية والتطور، من خلال دمج ذلك الموروث مع الناس وطبيعة حياتهم، ولتصبح المواقع التراثية بمنزلة حدائق للترويح عن النفس، وجزءاً من برنامج الناس المعيشي؛ فقد نجح ذلك حتى في تحقيق المكسب المادي من خلال زيارات الناس والسياح.

والذي نحتاج إليه ويُعتبر من أولى الخطوات نحو مثل هذا التوجه، هو العمل على تخريج فتيات وشباب مؤهلين علمياً، ويملكون المعرفة، ويعرفون دورهم ورسالتهم لحماية تراثنا.

معهد الشارقة للتراث

صرح أكاديمي ينافس أفضل جامعات العالم

يُعَدّ معهد الشارقة للتراث إحدى المؤسسات الثقافية والأكاديمية والعلمية الرائدة والمعروفة؛ ويُعنى بصون وحفظ التراث الثقافي المادي وغير المادي، والعمل على توثيقه والتعريف به على نطاقات كبيرة واسعة، من خلال حزمة من الفعاليات والأنشطة الثقافية إلى جانب إعداد سلسلة من الندوات والمحاضرات والملتقيات العلمية والفكرية التي تنظم على مدار العام، والغرض منها التوعية والتثقيف بأهمية التراث وحفظه وصونه من الضياع والاندثار.

مريم سلطان المزروعي
كاتبة – الإمارات

وقد تأسس معهد الشارقة للتراث بموجب المرسوم الأميري رقم 70 لسنة 2014، الذي أصدره صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى للاتحاد حاكم الشارقة؛ وأتى تأسيسه انسجاماً مع رؤى وتوجيهات سموه.

ويُعَد المعهد من ضمن المشروعات المؤسسية الكبرى التي أطلقها سموه ليكون صرحاً ثقافياً وعلمياً يسهم في إعداد كوادر من الباحثين الإماراتيين والعرب المدربين على صون تراثهم الثقافي، وعلى إجراء المسوح الميدانية لحصر التراث الثقافي وحفظه وتوثيقه، وإجراء البحوث والدراسات باستخدام مناهج البحث العلمي.

كما تتمحور رؤية ورسالة المعهد في رفد الميدان الثقافي والتربوي والسياحي بأطر مزودة بالمعارف والمهارات اللازمة لإدارة فعالة للتراث الثقافي، وصونه وتعزيز الوعي بأهميته.

وقد أوضح سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلم، رئيس معهد الشارقة للتراث، في أحد لقاءاته أن خطة المعهد خطة طموحة تم إعدادها في بدايات التأسيس، والغرض منها تحقيق إنجازات ونجاحات لافتة على مستوىً كبير وطموح عالٍ لتأسيس برامج الدبلومات وتنفيذها، وأن هذا لا يأتي إلا بالعمل الجاد والمتواصل في ظل دعم بلا حدود من قِبَل صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، وهذا الدعم يشكل عاملاً حيوياً لمزيد من العطاء والأداء المميز وتحقيق نجاحات بناءة، وهذا النهج الذي يتبعه المعهد الغرض منه صون التراث وحفظ الهوية الأصيلة، بما فيها من أفكار وقيم ومعتقدات، كما يدعم سوق العمل بالخريجين المؤهلين بتخصصات معينة، إلى جانب دوره في تأهيل الكوادر المتخصصة بالمجالات الثقافية والتراثية التي تسهم في صقل العملية التعليمية، وتطوير مسارها وتحقق الفائدة الأكبر منها، وهذا يعزز نجاحات الدولة وجهودها في صون وحفظ الإرث الإنساني لدى الشعوب.

لقد سعى المعهد إلى توفير برامج أكاديمية على مستوى عالٍ، سواء من برامج تعليمية تخصصية، أو برامج

البرامج مهنية؛ وتتوزع البرامج على خمسة دبلومات هي البرنامج المهني في الأعمال الإدارية في المؤسسات الثقافية والتراثية، والبرنامج المهني في جمع وصون وتدوين التراث الثقافي غير المادي، والدبلوم المهني في إدارة المتاحف، والدبلوم المهني في التراث العمراني، والدبلوم المهني في ترميم المخطوطات وصيانتها؛ حيث تمنح هذه البرامج الخريجين معارف ومهارات علمية مهنية وميدانية وتدعمهم في المجالات الثقافية والتربوية والسياحية والإعلامية.

ومن ضمن سلسلة البرامج التعليمية والأكاديمية الأخرى في مركز فعاليات التراث الثقافي "البيت الغربي"، الذي تُعقد فيه دورات ثقافية متنوعة تبين دور التراث المادي وغير المادي، وتعزز الوعي بأهمية الهوية الوطنية، وإن مجال التراث وتعليمه مجال مستمر ومتجدد. كما تم توقيع اتفاقية في بيت الحكمة مع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)، التي تعترف بقدرات وإمكانيات المعهد، للعمل على إيجاد شراكة في المشروعات الثقافية الضخمة، ولذلك تم إنشاء مركز دولي متخصص ببناء القدرات في مجال التراث الثقافي غير المادي في الدول العربية كلها في معهد الشارقة للتراث، الذي أصبح مقراً لها، وهكذا أصبح المعهد أول مؤسسة ثقافية عربية، وهنا جاء نظرة ورؤية اليونسكو التي ارتأت أن معهد الشارقة للتراث له دور في بناء المراكز المُؤهّلة للقدرات، والاضطلاع بأدوار التدريب والتأهيل، وتخريج الكوادر المدربة والمؤهلة للعمل في مجال التراث الثقافي.

إن معهد الشارقة للتراث له خطط مستقبلية؛ فهو يعمل على زيادة عدد الدبلومات الأكاديمية، وكذلك زيادة اتفاقيات التعاون الأكاديمي المشترك مع الجهات الأكاديمية، سواء داخل الدولة أو خارجها، إلى جانب

أنه في أحد اللقاءات الصحفية ذُكر أن المعهد يسعى إلى عقد شراكة بينه وبين هيئة الإنماء التجاري والسياحي لصياغة واعتماد دبلوم في الإرشاد السياحي.

إن معهد الشارقة للتراث بوابة ثقافية وتعليمية، وقد بذل جهداً كبيراً في إحياء التراث، وله دور كبير في صونه، كما يقوم المعهد بعقد الكثير من الجلسات الثقافية الحوارية وسلسلة من المحاضرات التراثية المهمة. ويستطيع الشباب أن يلتحقوا بالدبلومات المهنية المختصة التي أطلقها المعهد؛ فهي تمنحهم معارف ومهارات علمية وميدانية وتطبيقية، وتدعمهم في حياتهم بشكل عام وفي مجالات مختلفة، سواء تربوية أو سياحية أو إعلامية.

ومن الملاحظ أن هذه البرامج الأكاديمية بحاجة إلى دعاية وتسويق بشكل أكبر، بهدف استقطاب شريحة كبيرة من المهتمين والمختصين، كما يفضل أن يكون هناك تعاون بين المعهد والجهات التعليمية الأكاديمية الأخرى كجامعة زايد وكليات التقنية العليا، وعمل دراسات واستبيانات لمعرفة ما يحتاجه الشباب والجهات المعنية المهتمة لضمان التعاون فيما بين الطرفين، وكذلك لإنشاء حلقة وصل بين المعهد وسوق العمل؛ فالهدف في النهاية هو تعزيز الهُوية الوطنية، والمحافظة على التراث من الضياع والاندثار.

مشاكل البحث الميدانيّ في علم الموسيقا العِرقيّ

بالرغم من أن علماء الموسيقا العِرقية مثل غيرهم من الباحثين، يُجرون أبحاثهم في المكتبات ومراكز حفظ الوثائق وغيرها، إلا أن أهم مكانٍ يقومون فيه بالبحث هو ما يُسمّى بـ «الميدان» أو «الحقل» – Field، وهو سياقٌ حقيقيٌّ من الحياة الموسيقية لمجتمعٍ ما، يُمثلُ واقعاً مهماً، جديراً بالتسجيل والدراسة لفهم لماذا وكيف يُنتج البشر الموسيقا، لكنّ العملَ الميدانيّ لم يخلُ من صعوباتٍ ومشاكلَ تعترضُ طريقَ الباحثين في التراث الموسيقيّ،

علي العَبْدان
مدير إدارة التراث الفني
معهد الشارقة للتراث

وبهذه المناسبة يجبُ الاعترافُ بأن الأرصدة الموسيقية الميدانيّة في الإمارات كانت – وربما ما زالت – فقيرة من حيث الكم والكيف، أي من حيث عدد التسجيلات والتوثيقات، ومن حيث جودة البحث، وذلك بالرغم من الجهود الرسمية، أو الفرديّة المتعددة في هذا السياق.

كانت نظرة كثيرٍ من الباحثين التقليديين في التراث الموسيقي في الإمارات إلى العمل الميداني تتلخص في كونهِ حقلاً لجمع الموسيقا الشعبية وأنواع الأداء الحيّ

المتعلقة بها، ومحاولة تَعداد الآلات الموسيقية وتسجيل أسمائها، مع التقاط صورٍ ضوئيةٍ لها، بالإضافة إلى تسجيل الأداء الحي لتلك الفنون، وتسجيل شيءٍ من شهادات الرواة من الموسيقيين أو ممارسي الفنون الشعبية، وهم غالباً كبار السن منهم، أو الأكثر خبرةً بالفن الشعبيّ، وكان الهدف من ذلك حفظ وصون وتوثيق التراث الشعبيّ، خاصةً ما كان يُسمى منه بـ "الفنون الأصيلة"، وهذا يعني أن بعضاً، وربما كثيراً، من الفنون الشعبية التي تُمارَس في الإمارات لم يجرِ جمعها وتسجيلها وتوثيقها لأنها لم تكن تُعد "أصيلة"، وهي الفنون التي تُمارسُها فئاتٌ عِرقيةٌ وافدة إلى منطقة الإمارات، وذلك بالرغم من أن تلك الفئات التي تُمارسُ تلك الفنون تُقيم في منطقة الإمارات منذ أكثر من مائة عام، بل أصبحوا فعلاً مواطنين إماراتيين بصفةٍ رسميةٍ بعد قيام الاتحاد، ولكن لحسن الحظ قد تغيّر الأمر مؤخراً، فأصبحت تلك الفنون التي كانت تُوصف بـ "الوافدة" محلَّ اهتمام الباحثين، خاصةً أنها تختلفُ بعضَ الاختلاف في الإمارات عن مثيلاتها في بقية دول الخليج العربية، وهذا ما يُعطيها مزايا مَحليّة، ومع ذلك أيضاً لم تكن الكتابات عن الفنون الشعبية في الإمارات نتيجة بحث ميداني في الغالب، بل كانت نتيجة تسجيل وجمع روايات وشهادات شخصية من بعض المنتسبين إلى جمعيات الفنون الشعبية في الدولة، ولهذا كان معظم تلك الكتابات من منشورات جمعيات الفنون الشعبية في مختلف الإمارات، وذلك في حقبة السبعينيات والثمانينيات وما بعدها بقليل، ولم يكن أولئك المنتسبون إلى جمعيات الفنون الشعبية علماء موسيقا، بل كانوا فنانين شعبيين، وحتى الباحثون في التراث الثقافي الذين اتضحت بعضُ جهودهم في التسعينيات إلى العقديْن الأوّليْن من القرن الجديد، لم

تكن بحوثهم في التراث الموسيقي عميقة، وذلك بسبب كونهم غيرَ مؤهلين موسيقياً، ولهذا لا نجد تدوينات أو تحليلات علميةً لكثيرٍ من الفنون الشعبية في الإمارات، وكذلك الطرب الشعبي أو الأغاني، بخلاف ما حصل في بعض الدول الإقليمية، مثل البحرين والكويت، حيث حظيت الفنون الموسيقية هناك بنسبةٍ كبيرةٍ من التدوين والتحليل الموسيقيّ، بالإضافة إلى التسجيل والحفظ المبكر نسبياً.

بالنسبة إلى علم الموسيقا العِرقيّ المعاصر، فإن العمل الميدانيّ في مجال البحث الموسيقي ينبغي أن يشملَ أربعة أنشطة رئيسة:

1. المقابلات
2. مراقبة الحياة الموسيقية والمجتمعية
3. تلقي دروس الموسيقا والأداء الحيّ
4. التسجيل الصوتيّ والمَرئيّ

وبهذا نرى أن الأمرَ لا يقتصر على الجمع والتسجيل، بل أيضاً الفهم من خلال المعايشة والتعلم، حيث إن علم الموسيقا العِرقيّ ينظر إلى الموسيقا – موروثةً كانت أم معاصرة – على أنها تعبيرٌ اجتماعيّ ينبثقُ من مجموعات من البشر، تجمعُ كلاً منها علاقاتٌ ثقافيةٌ وخبراتٌ معرفيةٌ مشتركة، ومن هنا ينبغي للعمل الميدانيّ مراعاة تلك العلاقات، وفهمها في إطار أكبر من مجرد الجمع والتوثيق، ونفخرُ في إدارة التراث الفنيّ بمعهد الشارقة للتراث أننا تنبّهنا إلى تلك العلاقات مبكراً، بما يسّر لنا الحصول على تصنيفٍ ثقافيٍّ نوعيّ، يُعين على فهم المجتمع الإماراتيّ بجميعِ أطيافهِ من خلال الموسيقا، إذ إن تلك العلاقات متنوعة في الواقع، ومن ثَمّ تنوعت الدراسات المتعلقة بموسيقا تلك المجموعات، فقد وقفنا على ما سُمّيَ الفنون الشعبية الحربية: (العيّاله، عيّالة العين، الحربية)، وفنون البيئات والمناطق: (فنون الساحل، فنون المنطقة الشرقية، فنون الجبل)، كما وضعت بعض الدراسات عناوين استُمِدّت من الروابط الثقافية مثل العِرق: (فن البلوش، فنون النوبان)، أو المسلك الدينيّ (فن المالد، الأناشيد الصوفية)، أو التعصّب العِرقي: (الفنون الأصيلة، الفنون الدخيلة)، أو حتى التعصّب الرياضي: (أغاني تشجيع فرق كرة القدم)، هذا بالإضافة إلى اعتبار أغاني الطرب الشعبيّ الإماراتي القديمة من ضمن الفنون الشعبية التي ينبغي دراستها، لما كان لها من أهمية في العقود الماضية، وقد عملتُ شخصياً على هذا المشروع بصفتي مديراً لإدارة التراث الفني بمعهد الشارقة للتراث، مخالفاً بذلك المنحى التقليدي في دراسة التراث الثقافي الموسيقي الذي يقتصر على ما يسمونها الفنون الشعبية أو الفلكلورية.

بالإضافة إلى ما سبق، وجدت مشاكلُ وصعوباتٌ أخرى اعترضت طريقَ البحث الميداني في التراث الموسيقي. تتمثل إحدى تلك المشاكل في رفض كثيرٍ من الفنانين الشعبيين إجراء مقابلات أو الإدلاء بمعلومات للباحثين، وذلك لخوفهم من استثمار تلك المعلومات بعيداً عنهم، ومن ثَمّ الاستغناء عنهم في المهرجانات الشعبية والاحتفالات الرسمية، حيث يُدعون إليها مقابل مكافآت مالية، ويمكنني أن أمثلَ هنا لهذا التصرف بأحد أشهر عازفي آلة الطنبورة في فن النوبان في مدينة دبي، حيث يقدم للباحثين معلوماتٍ عامةً، يمكن وصفها بـ "السطحية"، ولا يقدم تفاصيلَ دقيقة حول ذلك الفن. ولكن لو أنعمنا النظرَ في هذه المشكلة، لوجدنا أن الباحثين في التراث الموسيقي هم الذين بدأوها، فعلى مدى السنين الماضية "يبدو أن علماء الموسيقى العرقية قد عملوا وهم يفترضون أن جمع المعلومات حول موسيقا ثقافةٍ ما كان بحثاً أخلاقياً، غيرَ إشكاليّ، عن معرفة موضوعيةٍ عن الجنس البشري، وأنهم كانوا جامعين محايدين للبيانات، ولكن ذلك تغير تماماً، وأصبح علماء الموسيقا العرقية يفهمون أنفسهم الآن على أنهم باحثون ذوو موقع تاريخي واجتماعي، يشاركون في محادثات مع محاورين –هم الفنانون الموسيقيون الشعبيون– ذوي مواقع تاريخية واجتماعية، وبالرغم من أن العديد من الأفراد والمجتمعات ربما لم يفكروا كثيراً في حماية أنفسهم وتقاليدهم من علماء الموسيقا العرقية الفضوليين، إلا أن بعض المجتمعات فعلت ذلك."

بهذا يتضح أن علينا حماية الفنانين الموسيقيين الشعبيين من الباحثين الذين يطالبونهم بالمعلومات، وبتسجيل الأداء الحيّ، دون التفكير في تعويضهم مادياً، أو حفظ حقوقهم الفكرية أو المعرفية، أو على الأقل تقديرهم بصفتهم "كنوزاً بشرية"، إذ حفظوا ومارسوا الكثير من أنواع الفنون الشعبية التي تُعد ثروةً ثقافيةً لا تُقدّر بثمن في سياق فهم الإنسان من خلال الموسيقا، وأرى شخصياً أن علينا التنسيق في سبيل ذلك بين وزارة الثقافة وجمعيات الفنون الشعبية في الدولة، وكذلك الهيئات والإدارات الحكومية المَعنيّة بالتراث الثقافي، على غِرار ما أُنجزَ في هذا السياق في كلٍ من الولايات المتحدة الأمريكية، وكندا، وأستراليا، حيث يُطلبُ عادةً من الباحثين الموسيقيين الحصولُ على إذن، ليس فقط من الموسيقيين أنفسهم، ولكن أيضاً من المجالس المجتمعية (قد تعادلها لدينا جمعيات الفنون الشعبية)، كما يُطلبُ من الباحثين إيداعُ موادهم البحثية وتقاريرهم لدى المجتمع أو الهيئات العلمية العامة قيدَ الدراسة.

موسيقا الشعوب

فن الهولو

فن الهولو هو من الفنون التي تؤدى دائماً أثناء القيام بأي عمل على ظهر سفينة ما؛ إما أن تكون سفينة غوص، أو سفينة صيد أسماك، أو سفينة نقل البضائع.

علي العشر
خبير تراث فني
معهد الشارقة للتراث

فن الهولو هي لازمة يرددها البحّارة وهم يقومون بنقل الأغراض التي يستخدمونها في السفينة عند المغادرة، أو عندما يرجعون، أو عند قيامهم بسحب السنّ مع لخراب، أو عند قيامهم برفع الشراع، أو قيامهم بالتجديف بالمجاديف، أو أثناء قيامهم بصيد الأسماك إما بالقراقير أو بالشباك، أو عن طريق اللفاح، أو بالخيوط المثبت فيها الميادير، أو عند قيامهم بأي عمل جماعي على ظهر السفينة.

حيث إن هذا الفن يعطيهم القوة والحماسة وهم يؤدون هذه الأعمال الشاقة، وأيضاً يعطيهم التمكن بإنجاز عملهم دون الإحساس بالتعب، ودون التفكر فيه، حيث إن هذا الفن له طريقة في الأداء، وذلك من حيث إنه يؤدى ببعض الألحان الحماسية، وبعض الكلمات الجميلة التي تكون سهلة المنال لديهم.

حيث تنقسم المجموعة إلى قسمين، الأولى تغني، والأخرى ترد عليها بالكلام نفسه، وعليه فإن الجمل

التي يقولونها تقال بألحان جميلة متفق عليها ومعروفة لدى الجميع، وغالباً ما يكون الكلام الذي يقال من الزهريات أو من كلام النثر.

وأحياناً يؤدى هذا الفن من قبل البدو، وهم يسحبون الرشاء من البئر، أو تترنم به الأم وهي تهز سرير رضيعها لينام.

وهي أيضاً كلمة تستخدم للدخول في الموال والخروج منه، وتردد أيضاً ملزمة صوتية في الأغاني البحرية.

ومن الكلام الذي يقال في فن الهولو ما يلي:

هولو يا مال هولو يا مال
هيلي يا مال هيلي يا مال
ياملیه ياملیه
هولو ياملیه
هولو ياملیه
هي يا صباح الخير
والخير جبنابه
خير يا صباح الخير
ياخيرة الله خير

وحليلك يالصريمة
قوس ياي وشال غيمه
عومة السبعين ياتي
سبجت قبل النبات
بانشرج صوب ليوادي
لشيارهم دوم يرعونه
وبعود الموز الجادي
لتعال مالت غصونه
ماتغوصون المواريد
عود موزة من الشير جنة
يوم يقول النفس يهليجي
في هواكم عافت الجنه
سد وقفلت مغاليجي
والمفاتيح ما يكفن
جربوا ماشور زلالي
صوب نجمن يون حوبه
ياه رشح الماي من عالي
خرص المجناع يا زوبه

أقدم ونّة إماراتية

لشاعرها ذياب بن عيسى الفلاحي

لـم يعـرف الشـيخ ذيـاب بـن عيسـى شـاعراً إلا مـن خـلال قصيدتـه اليتيمـة «دنيـا مـا بـك نـدارة»، وهـي أقـدم قصيـدة علـى بحـر الونّـة وصلتنـا، وأيضـاً لـم تـرد لـه قصيـدة أخـرى فـي المخطوطـات، إلا أن أحـد الـرواة أورد قصيـدة أخـرى[1] سـنتناولها فـي حلقـة قادمـة.

محمد عبدالله نور الدين
كاتب وناقد - الإمارات

ولـد الشـيخ ذيـاب بـن عيسـى بـن نهيـان الفلاحـي فـي القـرن الثامـن عشـر، وهـو ابـن الشـيخ عيسـى بـن نهيـان أول حكّام آل نهيـان الـذي اسـتطاع أن يجمـع قبائـل بنـي ياس تحـت لوائـه، وتقلّـد الشـيخ ذيـاب حكـم الإمـارة فـي منتصـف القـرن الثامـن عشـر وحينهـا اتخـذ مقـر إقامتـه فـي سـهل الـحمرة، الـذي يقـع إلـى الشـمال من أرض الظفـرة،[2] ويقال إنـه كان يقيـم فـي محضـر الماريـة،[3] ولكنـه يعتبـر أيضـاً مؤسسـاً للمسـتعمرة السـاحلية فـي جزيـرة أبوظبـي،[4] وكان ذلـك بعـد انتقـال بعـض عشـائر بنـي يـاس للإقامـة فيهـا بعـد اكتشـاف الميـاه عـام 1761م، وكانـت الجزيـرة معروفـة باسـم «مليـح»، ثـم نمـت تلـك القريـة سـريعاً، فأصبحـت أول مسـتوطنة سـاحلية دائمـة لقبيلـة بنـي يـاس،[5] وقـد أجمعـت المصـادر علـى أن الشـيخ ذيـاب كان عـادلاً فـي تصريـف الأمـور، ويـزور رعايـاه بـين الحـين والآخـر، ويفصّـل فـي المنازعـات الداخليـة التـي كانـت تنشـأ بـين مواطنيـه مـن أفـراد آل بوفـلاح، ولكـن لـم يـدم حكمـه طويـلاً، وتـوفي فـي

عـام 1793، فـي وقـتٍ كان فيـه آل بوفـلاح فـي حاجـة إلـى الهـدوء والاسـتقرار.[6]

لـم يعـرف الشـيخ ذيـاب بـن عيسـى شـاعراً إلا مـن خـلال قصيدتـه اليتيمـة «دنيـا مـا بـك نـدارة»، وهـي قصيـدة مشـهورة حفظـت فـي الصـدور، وتصـدرت الجـزء الثانـي مـن كتـاب «تراثنـا مـن الشـعر الشـعبي»، للباحـث حمـد خليفـة بوشـهاب، المنشـور فـي شـهر نوفمبـر 1980، ويقـول بوشـهاب فـي تقـديم القصيـدة «لقـد وقفنـا لـه علـى هـذه القصيـدة فقـط... وكـم كان بودّنـا لـو أننـا وجدنـا لـه أكثـر مـن ذلـك؛ لأن الأبيـات التـي نثبتهـا هنـا تـدلّ علـى شـاعرية فـذة.. وحسـبنا فـي تعريفـه قدرتـه علـى حسـن اختيـاره، ووضـوح حجتـه فـي التدليـل علـى مـراده»[7]. وأورد الباحـث هـذه القصيـدة مـن مخطوطـة سـيف بـن ثالـث، والتـي دوّنـت فـي السـتينيات مـن القـرن العشـرين،[8] وهـي علـى بحـر الونّـة ولا يـدوّن الباحثـون أي قصيـدة علـى هـذا البحـر أقـدم منهـا إلـى الآن، والقصيـدة تـدل علـى أنـه كان مـن كبـار الشـعراء، فـلا حشـو ولا إسـهاب وضعـف فـي المعنـى، بـل العكـس، تجـد تنوعـاً فـي المفـردات وصياغـة عاليـة المسـتوى:

دِنْيَا مَا بِكْ نِدَارَهْ رْجُوعِكْ لِلْحِسَفْ
ثَرْ زِيْنِكْ لِلْفِشَارَهْ صَافِي شِرْبِكْ عِدَفْ

بـدأت القصيـدة بالتحسـر علـى الدنيـا فـي بيتـين بـدأا مـن قولـه «دنيـا مـا بـك نـدارة»، والنـدارة بمعنـى الثمـرة، وهـي كنايـة عـن الفائـدة، فالعـرب تقـول «نَـدَرَت الثمـار»؛ أي أنهـا سـقطت؛ واسـتفاد منهـا الآخـرون، والمعنـى فـي هـذا البيـت أنـه يخاطـب الدنيـا ويقـول لهـا: إن كل جهدنـا لأجلـك أيتهـا الدنيـا التـي لا فائـدة لهـا، ولعلـه يشـير إلـى أن الفائـدة ترجـى فـي الآخـرة، وهـي إشـارة إلـى عالـم أخـروي يسـتحق أن يفعـل الخيـر لأجلـه. وفـي البيـت الثانـي يقـول: إننـي لـم أكـن أعلـم أن زينتـك أيتهـا الدنيـا ليسـت سـوى ادعـاءات كاذبـة، وإن مشـروبك الصـافي قليـل، وهنـا يشـير إلـى أن النفـاق كثيـر، وأن الصـدق أصبـح قليـلاً، ويقابـل بـين الظاهـر والباطـن، مـن خـلال كثـرة الظاهـر المزخـرف بالزينـة الكاذبـة وقلـة السـرائر النظيفـة النقيـة. وهـذا الاسـتهلال الجميـل يلفـت انتبـاه السـامعين إلـى القصيـدة لاكتشـاف موضوعهـا:

خِلِّي لِيْ لَهْ وِقَارَهْ أَيْفَـانِي وِاعْتِزَفْ
بَانِ بْهَرْجِ الْقِذَارَهْ ثُوْبِ الضّـافِي قِصَفْ

لاحظنـا أن أول بيتـي القصيـدة تشـيران إلـى حكمـة الشـاعر، وتقـدم عمـره ومـدى خبرتـه بشـؤون الحيـاة وتجاربهـا، ولكـن مـن البيـت الثالـث يدخلنـا الشـاعر فـي صلـب الموضـوع، ويقـول إنـه يقصـد محبوبـه الوقـور الـذي تبـدّل حالـه، وبـدأ بمجافـاة محبـه والعـزوف عنـه، كمـا هـو واضـح فـي البيـت الأول، بالإضافـة إلـى أن سـيرة المحبـوب أصبحـت علـى

الألسنة، وهذا غير لائق بهذا المحبوب ومقام المحب؛ لأن ذكر المحبوب ينافي حرمته التي يرعاها المجتمع المحافظ. ويشبّه الشاعر ذلك بالثوب الساتر الذي يرفع من شأن لابسه في مقابل الثوب الذي يظهر المفاتن أو الثوب المتشقق الذي يشوّه منظر لابسه، وهذه المقابلة جميلة جداً ويشير إليها أيضاً بصورة أخرى في البيت الآتي:

عَنِّي قِصَرِ اعْتَبَارَهْ يُوْمَ ابْعَدْ وِانْحِرَفْ
طِيبَ الْفَاظَهْ نِزَارَهْ عَنِ السّابِجْ خِلَفْ

فاعتبار ذات المحبوب يسقط بسقوطه الباطني، بعد أن أصبح ظاهراً، وهذا الظهور يختصره الشاعر في مفردتي «أبعد وانحرف»؛ أي أن ابتعاد المحبوب جاء بسبب انحرافه عن الطريق الذي يرجوه المحب، والانحراف هنا بمعنى تغيّر حاله، وهو ما لاحظناه في البيت الثاني، فبعد أن كانت ألفاظ المحبوب نادرة وفريدة، أصبحت عكس ذلك، وفقد المحبوب هذه الميزة الفريدة حتى سقط وانحط قدره في عيني محبه:

بَدْعِيهْ فِي مِسْيَارَهْ يِتْبَعْ رَايَهْ نِصَفْ
فِي حِفْظْ رَبٍّ يَارَهْ لَا حِقْدُ وْلَا شِفَفْ

ولكن الشاعر يترفع في البيت الأول هنا عن مقابلة الإساءة بالإساءة، بل العكس نجده يفتح آفاق حرية الرأي للمحبوب، ويقول سأترك الحكم لإنصافك كناية وضوح الحكم. ويضيف في البيت الثاني قائلاً إنه سيفتح لمحبوبه طريق الابتعاد دون أن يحمل أي أحقاد في قلبه، ولا أي ميل ووداد، وهذا أسلوب رائع لبيان عدم وجود أي أهمية لهذا المحبوب، بعد أن كان محط اهتمام المحب وشاغل مشاعره، وهذا ما تؤكده تالياً الأبيات:

وِالَّا فـ انَا عَنْ دَارَهْ بَبْعِدْ زُوْلِي طَرَفْ
بَجَاسِي عَنْ مِزَارَهْ لَوْ بَاوَازِي كَلَفْ
بَشْرَبْ كَاسِ الْمَرَارَهْ عَلَى فَقْدَهْ حِسَفْ
بَاعَلِيهَا كِبَارَهْ النَفْسْ لَا تِحْقَفْ

ولكن ذلك ليس بالأمر الهيّن، كما تشير إليه الأبيات؛ لأن الشاعر سينأى بنفسه عن كل ما يقربه أو يذكره بالمحبوب، كما أشار في البيت الأول، وسيجبر نفسه على تحمّل صعوبة نسيانه، كما هو في البيت الثاني، ويمثّل ذلك في البيتين الثالث والرابع، بشرب المرارة على هذا الفقد، وإجبار النفس على الخضوع لهذا القرار الصعب، وهذه الأبيات دلالة على الأثر النفسي الكبير الذي خلفه المحبوب، ودلالة على أن الشاعر يريد أن يظهر جلل الأمر الذي وقع عليه، وعلو قيمة هذا المحبوب الذي كان لسقوطه أثر كبير في المحب، كما بينت أبيات هذا المحور من القصيدة.

وفي المحور الآتي يبدأ الشاعر بتسويغ ذلك، ويقول:

يُوْمِ الْهُوَى وَاوْطَارَهْ وِوْصُولَهْ لِيْ شَرَفْ
يَا مَا حِمَلْتَ اخْطَارَهْ وِتْوَزَّمْتِ الْكَلَفْ

فأيام الوصال السعيدة التي عاشها المحب مع محبوبه

كان يتشرف بتقدير كبير لم تكن هادئة، إنما كانت أياماً متعبة أوقعت المحب في الأخطار والمصاعب لأجل محبوبه، وهذا نوع من إلقاء اللائمة؛ لأن الشاعر يريد بيان عدم تقدير المحبوب لما تحمله المحب في تلك الأيام الشاقة التي يستحضرها متحسراً؛ لأنه يوصف جمال المحبوب آنذاك قائلاً:

رِيم يِرْعَى الْقِفَارَهْ يْذِيرَهْ مِنْ هِزَفْ
الْكَتْفْ عَنْ دِوَّارَهْ مِقْدَارْ حَطِّ الْكَفْ

في البيت الأول يشبه الشاعر محبوبه بالريم، وهذا ليس وصفاً للمحبوب، وإنما وصفاً لحالته النفسية، حينما كان المحبوب كالريم الشارد، لا تصل إليه أنظار وأطماع الآخرين؛ أي أنه لم يكن مواتياً وموائماً لأحد، وإنما كان ينأى بنفسه عن كل ما يمسه؛ وهذا وصف لبيان علو منزلة المحبوب آنذاك، إذ لا تصل إليه ولا عنه أي شيء سيئ، ويكمل في البيت الثاني في وصف حسي جمال قوامه، إذ يوصف نحول خصره بمقدار كف اليد، إذ أظن أن الكتف هنا مصدر، وليس اسماً؛ أي بمعنى شد وسط الموصوف، وهو أيضاً إشارة إلى قرب المحبوب إلى محبه ووصالهما في أنس ووداد.

مِنْ قَبْلْ لَوْ اوْلَى اسْرَارَهْ وِيْوَادِعْ مِنْ خِطَفْ
يَذَّا التَحَظِّ بْبِوَارَهْ مِنْ هَافْ حَظَّهْ خَفْ[9]

وفي نهاية القصيدة يرى الشاعر أن سرائر محبوبه قد تغيّرت وقل حظ هذا المحبوب بسقوط قدره عند المحب؛ ويصبح الخسران هو شأن الذي لا يعرف قيمة النعمة الكبيرة التي يعيشها، وحسبي أن الحسرة في بداية القصيدة هي بسبب هذا الخسران؛ لأن المحب يتحسر على العمر الذي ضاع مع شخص وضعه في منزلة محبوبه، وأعطاه الكثير الذي ضاع سدى، ولم تبق سوى الحسرة على أيام العمر التي انقضت، ولن تعود مرة أخرى.

1- خمسون شاعراً من الإمارات: سلطان العميمي.
2- زايد بن سلطان آل نهيان القائد والمسيرة: حمدي تمام، ط2، ص 30.
3- مختصر تاريخ الظفرة: علي أحمد الكندي المرر، ط1، ص59.
4- زايد بن سلطان آل نهيان القائد والمسيرة: تأليف حمدي تمام، ط2، ص 30.
5- قصر الحصن تاريخ حكام أبوظبي 1793–1966: تأليف د. جوينتي مايترا وعفراء الحجي، ط1، ص32.
6- زايد بن سلطان آل نهيان القائد والمسيرة: تأليف حمدي تمام، ط2، ص 30.
7- تراثنا من الشعر الشعبي: جمع وتحقيق حمد خليفة بوشهاب، ج2، ط1، ص14.
8- خمسون شاعراً من الإمارات: سلطان العميمي، ط4، ص130.
9- تراثنا من الشعر الشعبي، جمع وتحقيق: حمد خليفة بوشهاب، ج2، ص14.

جمالية السرد وتقنية التوظيف

في «عرس الزين» للطيب صالح

د. فهد حسين
أكاديمي وناقد – البحرين

كلما ذُكر الطيب صالح في حوار أو ندوة، أو أي محفل ثقافي أو أدبي، تنبري أمام الحضور روايته التي شهرته عربياً وعالمياً، وهي: موسم الهجرة للشمال، وكأن عدم وجودها نفي الكاتب، وخروجه من عالم الكتاب، وعلى الرغم من شهرة هذه الرواية، التي أسهمت في انتشار الكاتب والأدب السوداني، فإن الطيب صالح كتب القصة والرواية اللتين لا تقلان أهمية في موضوعاتهما، أو في تقنياتهما، أو في الوعي والثقافة والقدرة التي تميز الكاتب المبثوث بين الكلمات، وهنا أقف مع القارئ لقراءة روايته «عرس الزين» الصادرة عن دار العودة ببيروت عام 1988.

لم يهتم الكاتب بحجم العمل وعدد صفحاته، ولم يهتم بما يريده القارئ العادي، إنما اهتمامه كان منصباً فيما يريد قوله للقارئ الحصيف، الواعي، المدرك لأهمية اللغة والكلمة والنص، لهذا كان جلّ الاهتمام في هذا النص القصير أن يقدمه بكلمات قليلة، ولكن تحمل دلالات كثيرة، وانزياحات متعددة، حتى تعطي القارئ مساحة للتفكير، والحوار مع الأحداث، والتأويل وبيان الموقف ووجهات النظر، وهذا ما ينبغي أن يكون، وبخاصة لكاتب مثل الطيب صالح، حيث الإكثار في عدد الصفحات قد يفقد الكاتب بوصلة الحدث، وتحديداً إذا تشعبت هذه الأحداث وتعددت المواقف وتنوعت الأفكار، لكن هذا لم نجده عند الكاتب، ليس في هذه الرواية، بل في كل ما قرأت له، إذ أجده دقيقاً في اللغة، وأهمية نسجها، بحسب الموقف والحدث، وطبيعة المكوّن السردي الذي تتعامل معه هذه اللغة، لذلك كان يوظف اللغة العربية الفصيحة في أحداث لا يمكن توظيف لغة غيرها، سواء في الوصف أو السرد، مثل: «ولما انتصف النهار كان الخبر على فم كل واحد، وكان الزين على البئر يملأ أوعية النساء بالماء، ويضاحكهن كعادته» (ص9).

ويوظف اللغة المحكية السودانية في مواقف يفرض فيها على القارئ التأمل والتساؤل، ليس في طبيعة اللغة فحسب، وإنما في كيفية هذا التوظيف، ودوره في سردية النص الذي لو وظف لغة غيرها ربما يصاب النص بخلل فني، وعادة ما تكون في الحوارات أو في فيما تفكر فيه الشخصيات الروائية العامة ذات التعليم البسيط، والتي قد لا يعرفها إلا أبناء السودان، مثل: «يا زول جبنتك طايرة عليك، قوم افتح الخزنة دي أدني قروشي، ولّا كما أن بقيت ما بي ضمة كمان فهمني» (ص6)، لكن الكاتب يتعامل مع اللغتين من دون أن تربك القارئ، أو تبعده عن الحدث، فها هو الراوي يقول: «وضحك عبدالحفيظ: وين المرة البطلقها من الرجال؟ لم يعبأ الزين بهذا، ولكنه استمر يحكي في القصة» (ص15).

وعلى الرغم من صغر الرواية التي كتبها الطيب صالح، فإن قراءتها في وقتنا هذا تكون مناسبة جداً، فالكاتب الذي تميز ونال شهرة عالمية بعد روايته (موسم الهجرة للشمال)، فإن رواية (عرس الزين) لا تقل أهمية عن أختها، من حيث موضوعها الذي يدور حول طبيعة العلاقات الإنسانية في المجتمع الريفي، ودور التكافل والتعايش بين الناس البسطاء والمتعلمين الذي يشير إليه الكاتب بين الحين والآخر في سياق النظرة، وطبيعة الحديث، والعلاقات الاجتماعية التي كانت عادة ما تتكوّن في مثل هذه المجتمعات، إذ جمع عدداً من الرجال لهم حقولهم وزراعتهم وأعمالهم، ولهم علاقاتهم الاجتماعية والإنسانية في البلدة التي جعلها الروائي محطة للأحداث ونموّها وتطورها، ولكن لا تتحرك هذه الشخصيات أو تلك الأحداث إلا بوجود الزين الشاب الذي عانى الظروف النفسية والاجتماعية والاقتصادية، وعلى الرغم من كل هذا، فهو رجل شهم قادر على التعاون ورسم الابتسامة على شفاه الناس من النساء والرجال، إذ تروي بعض النساء اللواتي حضرن ولادة أمه قائلة: «أول ما مس الأرض انفجر ضاحكاً،

وظل هكذا طوال حياته، كبر بسنين، واحدة في فكه الأعلى، والأخرى في فكه الأسفل» (ص11)، ووضع مع هذه الشخصية أصدقاء يتقاربون في طبيعة الخلقة، إذ لهم تشوهات خِلقية، مثل: عشمانة الطرشاء، وموسى الأعرج، وبخيت الذي ولد مشوهاً.

ومع هذه الشخصية التي أبدع الكاتب في رسمها وتكوينها النفسي والاجتماعي، وتلك الصفات التي ألصقها بها، أعطت الرواية مذاقاً مختلفاً؛ أي المذاق الذي يحفزك على مواصلة القراءة ومعرفة الدور الذي ستقوم به شخصية الزين، سواء مع النساء أو مع الرجال، أو في حالة الدفاع والعون وتقديم الخدمات للناس، من الشخصيات الأخرى ذات الدور الاجتماعي في القرية، مثل: عبدالحفيظ، الحاج إبراهيم، محجوب، أحمد إسماعيل، حمد ود الريس، الطاهر الرواسي، هؤلاء الذين يعملون أو لديهم قطع زراعية يقتاتون منها.

لم يختر الروائي هذه الشخصية، أو الشخصيات الأخرى، التي كان يكرر أسماءها بين الحدث والآخر، مصادفة أو بشكل عشوائي؛ لأن النص نفسه يكشف أهمية هذا التكرار، الذي لا تجده عند الكتاب إلا القلة التي تعرف متى تكرر الجملة أو الاسم أو بعض الصفات، وبخاصة حين تسعى إلى مقاربة حالات هذه الشخصيات وظروفها من جهة، وظروف البلدة وتطبيقها على الوضع العربي عامة من جهة أخرى، ستجد أن الطيب صالح نجح في هذا التكرار الذي يكشف عن طبيعة العلاقات الاجتماعية في المجتمعات البسيطة، المبنية على العفوية والصدق والعمل المشترك، والدفاع عن المصالح العامة، ونكران الذوات، هؤلاء الناس الذين تتباين تطلعاتهم العفوية، ونظراتهم إلى الحياة والعالم، حيث تتمظهر عندهم العلاقة الوجدانية مع العوالم الأخرى، وينظرون للناس الصالحين وكأنهم أولياء الله، كما ينظر البعض إلى التعليم عامة. وإلى المرأة بشكل خاص أنه ترف، وأن «التعليم في المدارس طرطشة» (ص37)، وعلى الرغم من كل هذا، فهو مجتمع خال من أمراض مجتمع المدينة، والمجتمعات المعقدة في كل شيء، في طبيعة البشر، وعلاقاتهم فيما بينهم، وفي الضجيج الذي تحدثه عجلة الحياة اليومية، في الذاتية التي تعلو على مصالح الجماعة، لهذا كانت أحداث الرواية كلها تؤكد عبر حواراتها ووصفها للمكان، وعلاقة الناس على مبدأ التعايش والتكافل وحب الآخرين، ومحاربة الذاتية والفردية، والاستحواذ، وغيرها من الأمراض الاجتماعية.

وأؤكد مرة أخرى أن الروائي اعتمد على لغتين أسهمتا في بناء جسد الرواية، هما: اللغة المحكية السودانية التي كانت تدور رحاها بين الشخصيات، وتجعلك متجاوباً مع الحوارات حتى لو لم تستوعب بعضها، واللغة العربية الفصيحة التي كانت معول الراوي، وهنا كما أرى برزت قدرة الكاتب في هذه المزاوجة اللغوية من جهة، ودور الراوي العليم من جهة أخرى، حيث كانت الدقة في عالم النص لغوياً من قبل الراوي الذي اختاره الكاتب ليكون عالماً، بل وأنت تنهي الرواية تصل إلى قناعة محورها يكمن في هذا الراوي الذي كان ميسراً فنياً لأحداث الرواية من دون امتعاض من قبل القارئ أو من الشخصيات التي كانت تتحرك كيفما تريد، وتقول ما تراه هي، وليس ما يراه الراوي العليم، وهنا أيضاً قدرة أخرى في توظيف الراوي العليم الذي يتحدث من خارج النص، وكأنه وقع على وثيقة تاريخية اجتماعية أراد سردها للقارئ، لذلك ليت يأتي اليوم الذي تتم فيه قراءة نقدية أخرى لأعمال الطيب صالح، وما كان في فترة عطائه، قراءة تختلف عما كانت تجول وتدور بين الصحافة آنذاك!

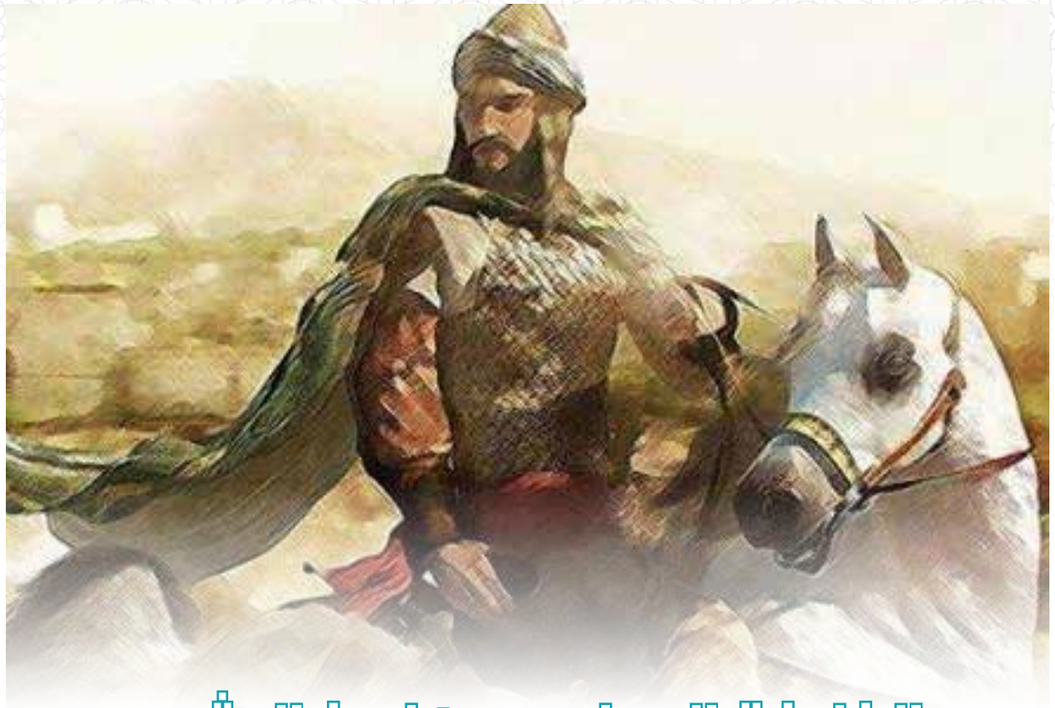

الخليفة العباسي هارون الرشيد

في كتاب «ألف ليلة وليلة»

حسين الراوي
كاتب من الكويت

هناك تناقض كبير بين الذي نقله العُلماء والأدباء وأهل التاريخ وأهل السير والتراجم باستفاضة وتواتر عن الخليفة العباسي هارون الرشيد، رحمه الله تعالى، وبين ما ذُكر عنه في الحكايات التي وردت في كتاب ألف ليلة وليلة، فالفريق الأول ذكر لنا أن الخليفة العباسي هارون الرشيد كان تقياً نقياً ورِعاً متصدقاً، وأنه كان وقوراً وغيوراً على محارم الله، وأنه كان يتقي الله تعالى في نفسه وفي رعيته، وأنه كان يُحب مجالسة العلماء، ودائماً كان يتفقد أحوالهم، ويستأنس بمشورتهم ويجزل لهم العطاء، وأنه كان يغزو العدو بنفسه في عام، وفي العام الذي يليه يحج بيت الله الحرام.

أما شخصية الخليفة هارون الرشيد في حكايات كتاب ألف ليلة وليلة فجاءت مغايرة للصورة الحقيقية المشرقة لهارون الرشيد، حيث أظهرته حكايات ألف ليلة وليلة بصورة المتهتك البطاش الغضوب السفاك للدماء، وأنه بذيء اللسان، وأنه عاشق للنساء!

وفي الحقيقة لا مقارنة بالكلية بين قيمة ما ذكره العلماء والمؤرخون وأهل السير والتراجم عن سيرة الخليفة العباسي هارون الرشيد، وما جاء عن هارون، رحمه الله تعالى، في كتاب ألف ليلة وليلة! هذا لأن بعض الكتب القيّمة التي جاء فيها ذكر الخليفة هارون الرشيد، جاءت بإسناد متسلسل واضح ومعروف، أما الذي جاء عن الخليفة العباسي هارون الرشيد في كتاب ألف ليلة وليلة، إنما جاء سرداً مستعجلاً بلا أسانيد، وبلا أي تروٍّ، وزد على هذا أن المؤلف مجهول الهوية! وهذا أهم الأسباب وأسمنها التي تجعل القارئ لا يقبل باستساغة تلك الحكايات الركيكة والمتناقضة والمجهولة المصدر، عندما يقارنها مع ما جاء عن سيرة الخليفة العباسي هارون الرشيد في العديد من الكتب المعروف مؤلفوها بالعِلم والتقوى والصلاح.

أهمية الإسناد وضرورته

يقول الأستاذ ساعد عمر غازي، في مقاله (نبذة عن أهمية الإسناد والتثبت من النقول والأخبار): «فإن مما لاشك فيه، أن التثبُّت في نسبة القول إلى قائله مطلب شرعي، والطريق لإثبات الأخبار والأقوال والوقائع، هو السند أو الإسناد، الذي هو: سلسلة الرواة التي حصل بها تلقي الخبر، أما المتن: فهو الكلام (أو النص) الذي انتهى إليه السند». وعما ينقل في كتب التاريخ والسيرة من وقائع وأحداث، قال محدث العصر العلامة محمد ناصر الدين الألباني، رحمه الله، في بيان الموقف الصحيح منها: «وقد يظن بعضهم أن كل ما يروى في كتب التاريخ والسيرة، أن ذلك صار جزءاً لا يتجزأ من التاريخ الإسلامي لا يجوز إنكار شيء منه! وهذا جهل فاضح، وتنكُّرٌ بالغ للتاريخ الإسلامي الرائع، الذي يتميز عن تواريخ الأمم الأخرى بأنه هو وحده الذي يملِك الوسيلة العلمية لتمييز ما صح منه مما لم يصح، وهي الوسيلة نفسها التي يميز بها الحديث الصحيح من الضعيف، ألا وهو الإسناد، الذي قال فيه بعض السلف: لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء؛ ولذلك لما فقدت الأمم الأخرى هذه الوسيلة العظمى، امتلأ تاريخها بالسخافات والخرافات، ولا نذهب بالقراء بعيداً، فهذه كتبهم التي يسمونها بالكتب المقدسة، اختلط فيها الحامل بالنابل، فلا يستطيعون تمييز الصحيح من الضعيف، مما فيها من الشرائع المنزلة على أنبيائهم، ولا معرفة شيء من تاريخ حياتهم، أبد الدهر، فهم لايزالون في ضلالهم يعمهون، وفي دياجير الظلام يتيهون! فهل يريد منا أولئك الناس أن نستسلم لكل ما

يقال: إنه من التاريخ الإسلامي – ولو أنكره العلماء – ولو لم يرد له ذكر إلا في كتب العجائز من الرجال والنساء، وأن نكفُر بهذه المزية التي هي من أعلى وأغلى ما تميز به تاريخ الإسلام؟!

وأنا أعتقد أن بعضهم لا تخفى عليه المزية، ولا يمكنه أن يكون طالب علم، بله عالِماً دونها، ولكنه يتجاهلها ويغض النظر عنها؛ ستراً لجهله بما لم يصح منه، فيتظاهر بالغَيرة على التاريخ الإسلامي، ويبالغ في الإنكار على من يُعرِّف المسلمين ببعض ما لم يصح منه؛ بطراً للحق، وغمطاً للناس، والله المستعان». السلسلة الصحيحة (5/ 331-332).

وقال أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام: «ومن المعلوم أن المنقولات لا يميز بين صدقها وكذبها إلا بالطرق الدالة على ذلك، وإلا فدعوى النقل المجرد بمنزلة سائر الدعاوى». منهاج السُنة (45/4).

وقال محمد بن حاتم بن المظفر، رحمه الله: «إن الله أكرم هذه الأمة وشرّفها وفضلها بالإسناد، وليس لأحد من الأمم كلها – قديمهم وحديثهم – إسناد، وإنما هي صحف في أيديهم، وقد خلطوا بكتبهم أخبارهم، وليس عندهم تمييز بين ما نزل من التوراة والإنجيل مما جاءهم به أنبياؤهم، وتمييز بين ما ألحقوه بكتبهم من الأخبار التي أخذوا عن غير الثقات». شرف أصحاب الحديث (ص/ 40). وقال الحاكم النيسابوري: «فإنَّ الأخبار إذا تعرت عن وجود الأسانيد فِيهَا كانت مبتراً».

الشيخ حمود بن عبدالرزاق الغربة

أول كويتي يسافر إلى إندونيسيا

عرف عن أهل الخليج العربي ركوبهم البحر للسفر ووصولهم إلى المدن البعيدة بقصد التجارة وطلب العلم، رغم الأهوال الكثيرة التي تعتريهم خلال أسفارهم عبر السفن الشراعية.

طلال سعد الرميضي
كاتب – الكويت

ويحدثنا التاريخ عن قصة أول رجل كويتي يصل إلى إندونيسيا في الزمن الماضي، ألا وهو الشيخ الجليل حمود بن عبدالرزاق الغربة، الذي سافر إليها وعاش فيها سنوات طويلة، ومارس التعليم الديني والتطبيب حتى وفاته فيها عام 1928م، في قصة كفاح رائعة.

ويعتبر الشيخ حمود الغربة من الشخصيات التاريخية المهمة، وهو من فخذ المساعدة، من بطن غياض بقبيلة العوازم الهوازنية، ولد نحو عام 1845م في فريج العوازم بمدينة الكويت، وكان، يرحمه الله، كفيفاً منذ ولادته، وعرف عنه أنه ذو ذكاء فطري، وقد درس في صباه لدى كتاب أبو طيبان، وهي مدرسة صغيرة لتعليم الأولاد، فحفظ القرآن الكريم في صدره، حيث غرس الله في قلبه حب العلم الشرعي، فأخذ يحضر الدروس الدينية التي كانت تلقى آنذاك في الدواوين والمساجد، وعرف عنه حبه الأدب والشعر، وحفظه كثير من القصائد، القديمة منها والحديثة.

ويقول الشيخ عبدالعزيز الرشيد في مجلة الكويت العدد الثامن، عن أوصافه، إنه كان رجلاً أعمى، نحيف الجسم، يقرب لونه إلى البياض، وقامته إلى الطول، يعلو وجهه قليل من الجدري.

وفي شبابه سمع عن العلم في مدينة البصرة من بعض رجال الدين في الكويت، وكانت البصرة مركز إشعاع للعلوم الشرعية منذ قرون عديدة، وقد دخلت هذه الفكرة في باله، فعقد العزم على السفر إلى البصرة للدراسة فيها، والنهل من علمائها، خاصة أن والديه قد توفيا وهو في مطلع العمر، ولا يوجد له أخوة ولا أخوات، ولديه بعض المال ورثه من أبيه، بالإضافة إلى بيته، وعدد من مناصب صيد الأسماك.

فسافر إلى البصرة مع صاحبه غانم العازمي، وجلس فيها مدة من الزمن يدرس لدى علمائها بعض العلوم الشرعية، وتفقّه في أمور الدين، وكان، رحمه الله، يهوى السفر وحب المعرفة، واستقر في البصرة ينهل من علمائها ما يفيد المرء ويعلو من شأنه، حتى أجازه العديد من مشايخ البصرة، وبعد مضي فترة من الوقت، عزم الشيخ حمود الغربة على السفر إلى

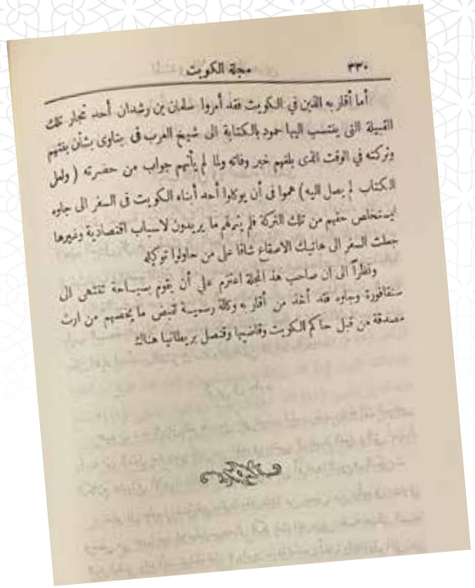

مجلة الكويت ٣٣٠

أما أقارب هذين في الكويت فقد أبرقوا سلمان بن رشدان أحد تجار تلك القبيلة الذي ينتسب اليها جهود بالكتابة الى شيخ العرب في يتلوى شأن بقيتهم وتركه في الوقت الذي يلفهم خبر وفاته ولما لم يأتهم جواب من حضرته (ولعل الكتاب لم يصل اليه) هموا في أن يوكلوا أحد أبناء الكويت في السفر الى جاوه ليستخلص حقهم من تلك التركة فلم يتهيأ لهم ما يريدون لاسباب اقتصادية وغيرها جعلت السفر الى هاتيك الاصقاع شاقا على من حاولوا توكيله

ونظراً الى ان صاحب هذه المجلة اعتزم على أن يقوم سياحة تنتهي الى ستافورة وجاوه فقد أخذ من أقاربه وكالة رسمية لقبض ما يخصهم من ارث مصدقة من قبل حاكم الكويت وقانصيا وقصل بريطانيا هناك

الهند، بعدما سمع الكثير من أهل الخليج عن أنها متطورة أكثر من الخليج، وفيها حضارة عريقة ومبان ضخمة وموانئ كبيرة وسفن كثيرة، وبها أعداد كبيرة من المسلمين، فأشار الشيخ حمود إلى صديقه غانم العازمي بفكرته في السفر إلى الهند، إلا أنه لم يوافقه الرأي للبعد المكاني بينهما، وعاد غانم إلى أهله بالكويت، بينما اتفق الشيخ حمود مع «درويش» على السفر إلى الهند، والدرويش جمعها دراويش وهي تسمية يطلقها الكويتيون على فقراء الهند والسند الذين يمرون على الكويت في طريق الحج، وركبا سفينة شراعية متوجهة إلى الهند، وكان ذلك في الربع من القرن التاسع، ووصلا إلى بومبي، ورست السفينة في أحد الموانئ، ونزل الشيخ حمود وتوجه إلى مسجد القصاب، وعمل في مهنة التطبيب، وكسب مالاً وفيراً بفضل إتقانه هذه المهنة الإنسانية، وهو كفيف، ولم تسعفنا المصادر القليلة حول مدة إقامته في الهند.

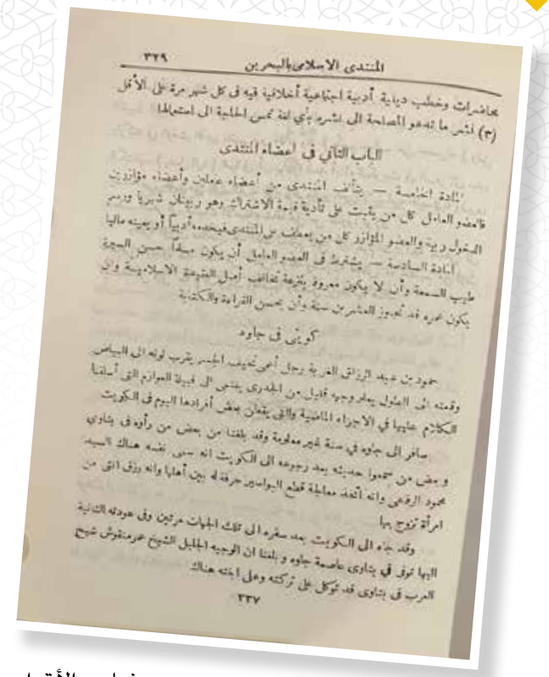
المنتدى الإسلامي بالبحرين ٣٢٩

محاضرات وخطب دينية أدبية اجتماعية أخلاقية فيه في كل شهر مرة على الأقل

(٣) لنشر ما تدعو المصلحة الى نشره وفي لغة تحسن الحاجة الى استعمالها

الباب الثاني في أعضاء المنتدى

المادة الخامسة — يتألف المنتدى من أعضاء عاملين وأعضاء مؤازرين

فالعضو العامل كل من يثبت على تأدية وجوه الاشتراك وهو ريالان شهريا ودرهم

الدخول وهو والعضو المؤازر كل من ينضم الى المنتدى فيخدمه أدبيا أو يعينه ماليا

المادة السادسة — يشترط في العضو العامل أن يكون ممتاز الجهة حسن السيرة

طيب السمعة وأن لا يكون معروفا بنزعة تخالف أصول الشريعة الاسلامية وأن

يكون عمره قد تجاوز العشرين سنة وأن يحسن القراءة والكتابة

كويتي في جاوه

حمود بن عبد الرزاق الغربة رجل أعمى كفيف الجسم يترقب لونه الى البياض

وقته الى الحول يعاني وجوه أقبال من الجدري يتمشى الى قرية العوازم التي أسلفنا

الكلام عليها في الأجزاء الماضية والتي يقطن بعض أفرادها اليوم في الكويت

سافر الى جاوه في سنة غير معلومة وقد يقلنا من بعض من رأوه في بتاوي

و بعض من جمعوا حديثه بعد رجوعه الى الكويت انه سمي نفسه هناك السيد

محمود الرفعي وانه أتعد معاملة قطع البواسير حرفة له بين أهلها وانه رزق أثر من

امرأة تزوج بها

وقد جاء الى الكويت بعد سفره الى تلك الجهات مرتين وفي عودته الثانية

اليها توفي في بتاوي عاصمة جاوه و بلغنا ان الوجيه الجليل الشيخ عرمتوش شيخ

العرب في بتاوي قد توكل على تركته ومال إخته هناك

٣٢٧

وشاءت الأقدار

أن يتوفى الدرويش في الهند، وأشار بعض العرب بالتوجه إلى جاوة بإندونيسيا؛ لأنها أفضل مكان من بومبي، وبها عدد من عرب الجزيرة، فركب الشيخ حمود إحدى السفن المتوجهة إلى إندونيسيا، ثم ذهب إلى بيت الشيخ عمر منقوش الحضرمي، الذي رحب به، وارتبط معه بصداقة وثيقة، وكان إماماً لأحد المساجد يصلي فيهم، ويتباركون به، كما اشتغل الغربة بالتطبيب في مهنة معالجة البواسير، وعمل الشيخ حمود بتدريس الصغار حفظ القرآن الكريم وتعاليم الإسلام، والرد على كل سائل يأتيه طالباً الرأي الشرعي السليم، وحظي عند الإندونيسيين بشهرة طيبة كعالم دين كويتي.

كما أطلق عليه اسم السيد محمود الرفاعي، وسبب هذه التسمية أن اسم حمود غير متعارف عليه، فتم تحويله إلى محمود، والرفاعي لقب على كل من يفد منهم من عرب الجزيرة، ويقول الباحث فرحان الفرحان إنه قدّم نفسه على أنه طبيب قادم من الجزيرة العربية، وأخذ أهل هذه البلاد، بالإضافة إلى علاجه لهم طبياً، يتبركون به على أنه قادم من الجزيرة العربية مواطن الحرمين الشريفين.

ويذكر أيضاً أن له مؤلفات فقهية وطبية من تأليفه، وبخط صاحبه الدرويش، إلا أن هذه المؤلفات فقدت، وظلت في حكم الغيب، و لا يعرف مصيرها الآن، كما كان الشيخ حمود يفصل بين المتنازعين الذين يرتضون حكمه؛ بسبب فطنته وذكائه، ويذكر أن الشيخ حمود أثناء وجوده في بتاوى تزوج امرأة إندونيسية، وأنجب منها بنتاً، واشترى بيتاً، ويذكر الشيخ عبدالعزيز العويد عنه أنه «أول كويتي يصل إلى إندونيسيا، وكان عنده علم وممارسات طبية، فاستفاد الناس منه».

والجدير بالذكر أن الشيخ حمود الغربة زار الكويت مرتين بعد سفره إلى إندونيسيا، كانت زيارته الأولى في عام 1901م، تحديداً بعد معركة الصريف التي جرت بين حاكم الكويت السابع الشيخ مبارك الصباح، رحمه الله، والأمير عبدالعزيز الرشيد، حاكم حائل، وانتهت بانتصار ساحق لجيش ابن رشيد، واستشهد في هذه المعركة كثير من أبناء الكويت، ووصلت إلى الشيخ حمود الغربة الأخبار عن مقتل الكويتيين فيها، فعقد العزم على العودة إلى وطنه خشية على أهله بالكويت، وعاد إليها ووجد من بين شهداء هذه المعركة اثنين من أبناء عمومته هما مبارك عبيد الغربة، وحمود مساعد الغربة، وحزن حزناً شديداً لفقدهما، واستقر بالكويت مدة لا تتجاوز السنة، حسبما يروى، وكانت الزيارة الثانية في عام 1924م للاطمئنان على أهله وجماعته.

وتوفي الشيخ الجليل حمود الغربة عام 1928م في بتاوى، بعد حياة حافلة بالأحداث والأدوار المضيئة، التي قدمها هذا الرجل المكافح، وقام ورثته، وهم أمير جزيرة أم النمل المرحوم فهد بن صقر الغربة، والنوخذة راشد بن

مساعد الغربة، بتوكيل الشيخ عبدالعزيز الرشيد بشأن التواصل مع زوجته وابنته في بتاوى، وذلك في صك شرعي حرره قاضي الكويت آنذاك الشيخ عبدالله بن خالد العدساني، بتاريخ الثالث من شهر جمادى الأولى من سنة 1347هـ (الموافق 18-10-1928م)، وشهد بالتوكيل الوجهين التاجر المعروف سلمان بن رشدان، وعيد بن محمد المرتجي، وصادق على التوكيل حاكم الكويت العاشر، المغفور له، الشيخ أحمد الجابر الصباح، كما صدقت من قبل المعتمدية البريطانية في الكويت بتاريخ 15 أكتوبر من عام 1928م.

هذه صفحة مضيئة من تاريخ كفاح الأجداد في سبيل طلب العلم ونشره في مختلف بقاع العالم، نسأل الله الرحمة والمغفرة لهم على ما قدموه من نماذج رائعة نقتدي بها.

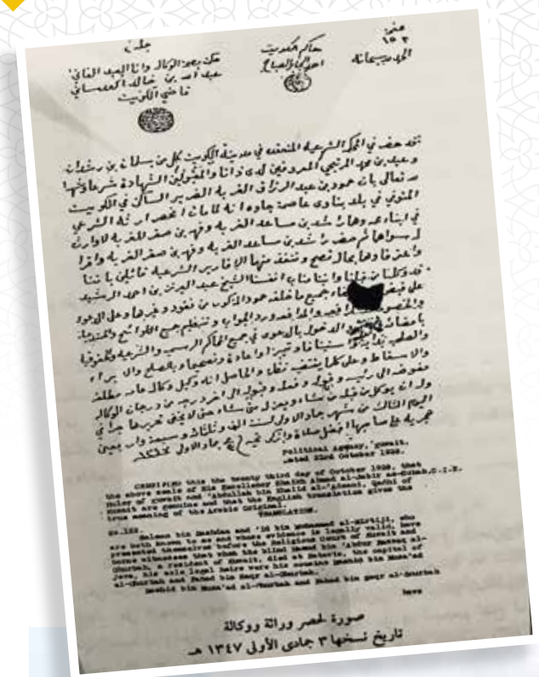
صورة لحضر وراثة ووكالة
تاريخ نسخها ٣ جمادى الأولى ١٣٤٧ هـ

ليبيّة البيئة.. مغاربيّة الأبْعاد

«خبزٌ على طاولة الخال ميلاد»

رواية التّساؤُلات الثقافيّة الكونيّة

خالد عمر بن ققة
إعلامي – الجزائر

«للتراث حضور في النصوص الأدبيّة ـ شعراً ونثراً ـ يُجمّلها وجوداً، ويزْوي تجارب البشر من خلال شخوصها والتعبير عن العلاقات والأفعال والقيم، ويُشكل بُعْداً معرفيّاً تُطْوى فيه الأزمنة طيّاً، من حيث الرجعى والصدى، ويعيد تعمير الأماكن، سواء أكانت أطلالاً في الذاكرة، وفي الواقع، أم كانت متواصلة في رحلة الحياة، حيث استحضار التأسيس في الرّاهن، وفي النهاية تعدُّ النصوص الأدبية موروثاً ثقافيّاً حيّاً، قد يُسْهم في متعة المطالعة، ويُضْفي ويضيفُ لنا مزيداً من المعرفة.. هنا قراءة في رواية «خبز على طاولة الخال ميلاد».

في واقعيّة جاذبة أحياناً، ومزعجة أحياناً أخرى، في حال تخطّى القارئ أسْوار النص، عند محاولته دمج الخيال بالواقع، أو عند غوصه في سيرة الراوي، مُتّخذاً منه مدخلاً لمعرفة المجتمع الليبي أوّلاً، والمغاربي ثانياً، والعربي ثالثاً، وأيضاً عند التّفاعل مع مكونات هذه المجتمعات جميعها، تسحبنا رواية «خبز على طاولة الخال ميلاد» للروائي الليبي «محمد النعّاس» ـ الفائزة بالجائزة العالمية للرواية العربية (البوكر) للعام الجاري 2022، إلى منطقة جامعة بين الذّاتي والموضوعي.

الرواية من بدايتها إلى نهايتها مركزة على تتبع مسارات مجتمع منغلق، ذاهب ـ من دون مقدمات ثقافية، ولا حرية سياسية، ولا وعي بحركة المجتمع والتاريخ ـ إلى انفتاح فردي مناقض لما هو عام في المجتمع الليبي، مثلما غير واضح المعالم لجهة الانتقال

من مرحلة إلى أخرى، على الرغم من أن البطل عاش أحداث أيّامه الجميلة، من ذلك لعبه كرة القدم، ومسابقة رفاقه إلى الكورنيش لمشاهدة تلاطم أمواج البحر قرب بيوتهم.

كان ذلك «في ستينيات القرن الماضي، قبل أن تهب رياح التغيير، وقبل أن يمتطي الأخ القائد جواده بعام، ليحرر البلاد من العملاء والخونة، والقواعد الأجنبية كما علمونا في المدرسة..»، وعندها كان الراوي جزءاً من حركة البلاد نحو مسارها، وهي تحقق مصيرها الوطني والثوري، وعن تلك الفترة يقول ميلاد: «درستُ في الظهرة المرحلة الابتدائية، وصدحت بالنشيد الوطني بكل رحابة صدر في ساحة مدرستها، وخرجت في تظاهرات طلابية ضد أمريكا والحركة الصهيونية، واحتفالاً بأول جمهورية».

كل ذلك يعني أن الرّاوي، رغم انتمائه لمجتمع القرية، إلا أنه عن دون قصد منه أصبح متأثّراً بطابع المدنيّة، وصراع المدينة، وقد بلغ الخوف أشدّه من التغير السياسي الحاصل في البلاد، هنا يظهر الحديث عن ملكية «الكوشة» (المخبزة) بين عمه ووالده، ومنها تعلم إعداد الخبز بكل أنواعه، ضمن ثقافة الطعام، في وقت كان التركيز فيه على تغير الوضع المجتمعي في تجاوب - إكراهي - مع قرارات النظام الحاكم، نستشف ذاك من قول الراوي: «.. استمر أبي في تشغيل بعض الأجراء الليبيين وتشجيعهم على تعلم أنواع الخبز المختلفة، إلا أن قرار الأخ القائد الذي سعى فيه إلى أن يكون الناس شركاء لا أجراء، جعل أبي يعجل بطرد كل العاملين فيه قبل أن ينقلبوا عليه..».

ونتيجة لهذا بقي ميلاد كالمعلقة بين زمانين، بين عالمين، لكن جاء ذلك عبر فضاءات متعددة تفرضها أو تتجول فيها الذات الفردية، وهي تتمسّك بالموروث المجتمعي تارة، وتارة أخرى تعمل جاهدة على تغييره بما يخدم قناعات فردية متأثرة بالتطورات والأحداث، خاصة من دول الجوار، سواء أكان ذلك على الأرض الليبية، أم بالامتداد نحو تونس والجزائر.

وجود الرّاوي بين زمانين انعكس في رحلة بحثه عن تعريف الرجولة وتحقيقه بين نظرتين، الأولى خاصة به، والثانية خاصة بالمجتمع، فلا يستطيع تحقيق أيّ منهما، سواء في حياته العسكرية أو المدنية، وحتى على مستوى أسرته، وفي صراعه النفسي بين جوانب الحياة المختلفة، وشعوره الدائم بالفشل، يقرر الانحياز لنفسه، مكتفياً بفهمه لها، وبذلك - دون قصد - يقوم بتغيير الفعل الاجتماعي في إطار الصراع الظاهر والخفي لأدوار الرجال والنساء، وما يصحبه من ميل مجتمعي نحو تقسيم متوارث لأدوار الذكور والإناث.

وعلى الرّغم من أن البطل هو نتاج تراكم تربوي وثقافي، وحتّى طبقي، وتتحمل أسرته جزءاً كبيراً مما آلت إليه نهايته، خاصة والده، الذي أراده أن يكون متميّزاً عن أخواته الأربع، إلا أنه يرينا صورة جمالية لوالده، وهو يعلمه إعداد الخبز للمرة الأولى، ويزرع فيه خبرة العمر، وعن ذلك يقول: «.. ثمة لحظات تعيشها مع والدك مهما تكن خشونته، قساوته عليك، أو انعدام تصريحه بحبّه لك، تعرف أنها تعبير عن الحب الغارق داخل قلبه، مازلتُ حتّى الآن كلما صنعتُ رغيفاً أشعر بأبي إلى جانبي يضع يديه الضخمتين المملوءتين بالتشققات بلونهما الحنّائي المخضب بالدقيق، وهو يعلمني كيف أصنع رغيفي الأول».

علاقته مع والده لجهة صناعة الخبز، تتعدى نقل الحرفة، إلى التعليم.. إنه لا يكتفي بعملية النقل، بل يريد أن يمتلك ابنه خلفية معرفية لصناعة الخبز تكون ممتعة، وتمثل نوعاً من الحب الدائم للعمل، وعلى هذا الأساس يسأله:

- هل تعرف ما المُمْتع في صناعة الخبز؟

لا يملك ميلاد إجابة، فيسأل والده:

- ماذا؟

يقول له والده، وهو يستمتع بالمعرفة المتراكمة على مدى سنوات العمر:

- لديك أربع مكونات يمكنك أن تصنع بها العجائب، لا وجود لطعام أساسي كالخبز، وفي مثل لذته، يمكنك أن تصنع منه أشكالاً وأطعمة مختلفة ومتباينة، بأربعة مكونات بسيطة، يمكنك أن تجدها أينما ولّيت وجهك، كل ما تحتاج إليه دقيق، ماء، خميرة، وبعض من الملح، فقط.

تلك المعرفة التي ورثها من والده قدمت له حماية حين اختار طريقه بعيداً عن نظرة المجتمع، وهذا بعد أن تعرّف إلى حبيبته «زينب»، التي صارت زوجه، ومعها عاش أيامه داخل البيت يضطلع بأدوار خصّ المجتمع المرأة بها، فيما تعمل حبيبته على إعالة البيت، ويظل ميلاد مُغيباً عن حقيقة سخريّة مجتمعه منه، حتى يُفشي له ابن عمّه ما يحدث حوله، فيترصّد زوجه زينب وبترقبّها، وتكون نهاية حياتها على يده مأساوية.

النُّقّاد يرون أن هذه الرواية تعيد مساءلة التصورات الجاهزة لمفهوم «الجندر»، وتنتصر للفرد في وجه الأفكار الجماعية القاتلة، وذلك وفق ما أعلن رئيس لجنة تحكيم البوكر العربية «شكري المبخوت»، حين قال: «قامت الرواية المتوّجة على استعادة تجربة شخصيّة في ضرب من الاعترافات التي نظّم السرد المتقن المشوّق فوضى تفاصيلها؛ ليقدّم نقداً دقيقاً عميقاً للتصوّرات السائدة عن الرجولة والأنوثة، وتقسيم العمل بين الرجل والمرأة، وتأثيرهما النّفْسي والاجتماعيّ»، وقد جاء هذا السرد ناقلاً للواقع، كما هو دون إضافة جمال مفردات اللغة التي يتطلبه الإبداع الأدبي.

من ناحية أخرى، فإن هذه الرواية - كما ذكر المبخوت - «تقع في صلب التساؤلات الثقافيّة الكونيّة حول قضايا الجندر، لكنّها منغرسة، في آن واحد، في بيئتها المحلّيّة، والعربيّة بعيداً عن التناول الأيديولوجيّ المسيء لنسبيّة الرواية وحواريّتها».

كما تميّزت بانتمائها للبيئة الليبية من جهة، ومن جهة أخرى بتمدّدها في الفضاء المغاربي، وتحديداً في تونس والجزائر، حيث التّنقل المتواصل، خاصة في لحظة الحزن، والهرب من الواقع، وفي هذا السياق يقول الراوي: «.. سأكون صريحاً معك لم أكن أعرف أين أذهب، في البداية كنتُ أقود سيارتي، باتّجاه الغرب باكياً كطفل، وددت لو أمكنني أن أقطع الحدود التونسية، أقبّل اخميس، وأحفر منزولي صحبته، وددت لو أمكنني قطع الطريق حتّى الجزائر، وأغيب في فنادقها، وأغانيها وأفرانها، ولكن هذا لم يحدث..».

يبقى، أن هذه الرواية أغنت معجمنا اللغوي بكثير من الكلمات والألفاظ الليبية، وهي تكاد تكون متطابقة مع تلك المتداولة في كل من تونس والجزائر، والأمثال التي ذكرها المؤلف تعبر عن الفضاء المغاربي، وإن حملت خصوصيّة ليبية، كما أنها جعلتنا نعرف كثيراً من جوانب الحياة الليبية التي نجهلها، وعدداً من العبارات الدّالة، سواء التي هي من عمق الثقافة الليبية ودليلاً عن عبقريّة شعبها، أو تلك هي تعبير عن أحاديث العامة، والحاملة لمضامين توشك على الدخول في مرحلة اللاعوْدة.

هواية مجنونة

تنبيه أول: الهوايات والهوى:

سعيد يقطين
كاتب – المغرب

لكل واحد من الناس هواية خاصة به يتميز بها، وقد يشترك فيها مع غيره، إنه وهو يميل إليها إشباعاً لنزوة، أو هوى، أو تغذية لظمأ روحي أو عقلي، يختارها بمحض إرادته. لكن هناك هوايات شاذة يميل إليها بعضهم، حتى وإن لم يكن لها هدف محدد، أو سبب معقول. ولإرضاء شذوذ الهوايات عواقب تتربص بصاحبها، فتنتهي به إلى ما لا يحمد عقباه.

1. ليلة في المقابر:

اضطرت الظروف صديق أبي موسى البغدادي، كما ينقل التنوخي، أن يبيت في مقبرة في انتظار الصباح لدخول المدينة. انزوى قرب قبر متوجساً من أي خطر يدهمه. سمع حساً في جنح الظلام، «فرأيت دابّة كالدبّ يمشي، فأخفيت نفسي، فإذا به قد قصد قبّة حيالي، قريبة منّي، فمازال يتلفّت طويلاً، (...) ثم دخلها». أخذ الراوي سيفه، وظل يراقب، فإذا هناك من ينبش قبراً، فهاجمه، وقطع يد من صاح: «أواه، قتلتني، لعنك الله». فرّ نباش القبر، وعدا صاحبنا خلفه، «وأنا في خلال ذلك أعلّم الطرق، لئلا أضلّ، حتى إذا جاء إلى باب دار، فدفعه، ودخل، وغلقه، وأنا أتّبع».

2. نباشة القبور:

عاد صاحبنا إلى القبر، فعرف أن اليد المقطوعة لامرأة، فاغتمَّ. «وتأمّلت الكفّ، وإذا أحسن كفّ في الدنيا، نعومة، ورطوبة، وملاحة، فمسحت الدم منها، ونمت في القبّة التي كنت فيها. ودخلت البلد، من غد، أطلب العلامات، حتى انتهيت إلى الباب. فسألت: لمن الدار؟ فقالوا: لقاضي البلد».

تنبيه ثانٍ: لذة مجانية:

حين تسيطر الأهواء، وتتحدد من خلالها الهوايات، يزول أثر النعمة التي يتمتع بها الشخص، أو نوع التربية المتلقاة، أو المحيط الذي يعيش فيه. فتاة جميلة لا عيب فيها. بنت أصول. فالقاضي منصب رفيع، وأهله في رفاه ونعيم. ولا مآخذ على سلوكها، فهي آية في الجمال وعفيفة وعاقلة، لكنها ضحية هواية مجنونة لا تدري لها سبباً؟

3. هواية مجنونة طيلة سنتين:

تدخل البنت بيتها، وتخبر أمها بما وقع لها. «قالت: إنّه وقع في نفسي منذ سنتين، أن أنبش القبور، فتقدّمت إلى هذه الجارية، فاشترت لي جلد ماعز غير محلوق الشعر، واستعملت لي كفّين من حديد، وكنت إذا نمتم، أفتح الباب، وآمرها أن تنام في الدهليز ولا تغلق الباب، وألبس الجلد، والكفّين الحديد، وأمشي على أربع، فلا يشكّ من لعلّه يراني من سطح أو غيره، أنّي كلب. ثم

أخرج إلى المقبرة، وقد عرفت من النهار، خبر من يموت، وأين قد دفن، فأقصد قبره، فأنبشه، وآخذ الأكفان، فأدخلها في الجلد، وأمشي مشيتي، وأعود والباب غير مغلق، فأدخل، وأغلقه، وأنزع تلك الآلة، وأدفعها إلى الجارية، مع ما قد أخذته، فتخبئه في بيت لا تعلمون به، وقد اجتمع ثلاثمئة كفن، أو ما يقاربها، لا أدري ما أصنع بها، إلّا أنّي كنت أجد لذلك الخروج، والفعل لذّة لا سبب لها، أكثر من أن أصابتني بهذه المحنة». عالجت الأم بنتها.

4. صفقة خاسرة:

في الصباح توجه الراوي إلى بيت القاضي، وأخبره بما جرى، وأقرت البنت بجريرتها. ولما أخبر صاحبنا القاضيَ أنه خرج طلباً للرزق، اقترح عليه القاضي الزواج من ابنته، قائلاً: «قد جاءك حلالاً، هنيئاً، نحن قوم مياسير، ولله علينا ستر، فلا تهتكه، والله، ما علمت هذا من حال ابنتي، فهل لك أن تتزوّجها، وأغنيك بمالي عن الناس، وتكون معنا، وفي دارنا؟». قبل صاحبنا، «ووقع حبّ الصبيّة في نفسي، حتى كدت أموت عشقاً لها، وأقامت معي شهوراً، وهي نافرة عنّي، وأنا أونّسها، وأبكي حسرة على يدها، وأعتذر إليها، وهي تظهر قبول عذري، وأنّ الذي بها غمّاً على يدها».

تنبيه ثالث: لا إكراه في الحب:

تابت الفتاة عن فعلتها، وقررت عدم الرجوع إلى هوايتها، لكنها لم تنس ما فعله بها من أصبح زوجها. لم تبادله الحب، وظلت تفكر في الانتقام منه. هل لأنه قطع يدها؟ أم لأنه تزوجها «غصبا» عنها؟ أم لأنه جعلها تقلع عن هوايتها؟ لا فرق. فلا إكراه في الحب. لقد وجدت نفسها أسيرة زواج لم تكن ترغب فيه. وكان عليها الانتقام من قاطع يدها، وكأنها بذلك تضع حداً لهواية مجنونة سيظل يفكرها بها. حاولت قتله، فواعدها على أن يطلقها، وأن يختفي أبداً من حياتها، ومدينتها. ولما تبينت صدق وعده، قالت له: «الآن علمت صدقك، والله، لو لم تفعل، لما نجوت من يدي. وقامت، فجاءتني بصرّة، وقالت: هذه مائة دينار، خذها نفقة، واكتب رقعة بطلاقي، ولا تفضحني، واخرج. فخرجت في سحرة ذلك اليوم، بعد أن كتبت إلى أبيها، أنّي قد طلّقتها، وأنّي خرجت حياء منه. ولم ألتق بهم إلى الآن». ما وقع في نفس الفتاة من نبش القبور، وحفظ الأكفان، كان بلا قصد معروف لها أدى بها إلى بتر اليد، والزواج بمن لا تحب. وكان في إقدام الرجل على التصدي لمن ينبش القبور أن جعله يعود إلى بلده غنياً، وبقصة قابلة للسرد عن هواية شاذة دفعت الفتاة ثمنها باهظاً.

أنسنة الحياة

قيظ صحراء وامتطاء فكرة

عائشة مصبح العاجل
كاتبة وإعلامية – الإمارات

في متخيَّلنا، نستطيع أن نمتطي فكرة، رغم وعورة الصحراء زمن القيظ، وأن نتقاسم الحياة مع نبتة شوك يابسة، إثر قطرة مطر تحملها غيمة عابرة، وأن نفترش «خوص» نخل مجدولة نتوءاته تنخزنا ونبتسم، ونتوسد كومة رمل مخلوطة بروث بعير أو ماشية، ونغفو بسكينة ونحلم.

في متخيلنا.. نستطيع أن نكون كل البشر المثاليين في صورة، والمقموعين في إطارها، وأن نقود جموع البشر في حرب ضد المتمردين والمغردين خارج أسراب المنظور البشري والإنسانية، وبه نعالج تمردنا، ونرفع رؤوسنا عالياً فوق هامات السحاب، ونستمطر الغيث، ونسقي البيداء، مطلّين من علو على عوالم تشبهنا، وأخرى قد نسينا حرقة هجيرها وقت قيظ، حين كنا حفاة تلسعنا الشمس الملتهبة تحت أقدامنا المختلطة برمال الصحراء، مشعلين فتيلاً لوأد العتمة والظلام، ونحول دفة الذاهبين ليعودوا، فكم راحلٍ نود لو يكون بيننا يشاركنا الفصول الأربعة، وكم مودع في خريف العمر نتمنى أن يلوِّح أنه هنا يقاسمنا التهاطل، ولو بورقة صفراء تحيل اليباس صفرة، نستجمع به بعض ما فاتنا، وندعو لعله يخضر، وتورق بقية أيامنا.

في متخيلنا.. ليس عيباً ولا سرّاً، ولم يكن شيئاً مذكوراً ارتحالنا وتنقلنا على المطايا العطشة، كنا رعاة وحفاة وكنا كراماً، رغم بساطة كل الكون بأسره حولنا، نطعم الجائع، ونسقي العطش، ونستظل بسعف يابس، كان العريش، وكانت الخيمة ملاذ المقتدر، وكانت السماء والنخلة ملاذ الكريم المستتر.

في متخيلنا.. كان ممكن أن نستمر، كان ممكناً، ولكن تحول ولم نعد نشبه الظل منه، ومازلنا نستعر فنار التحول والتغير ليست آمنة وترمي بشرر.

مغالطة كبرى أن نسكن فرضية؛ فنتحرك وفقاً لتصريفاتها، في ظل تيه التحولات، وأزمة الثقة وفرط التأويلات والدلالات، ومع الحياة نجبَرُ على خيار القبول، حيث لا مناص من مشهد يومي وذوات مخبأة في كواليس الحياة، بخيالاتنا نعيش مناداحين نحو ما نفترضه، ونؤسس له في الخيال منصات.

هي جملة من المقاربات تسكن واقعنا من أجل الصيغة الجديدة لولوج عالم التحولات والتبدلات، بالفِكَرِ الجديدة، المستلة من أعماق التجربة وأزلية القيمة، في محاولة لأنسنة المحيط، والملمة المتشتت والمتبعثر والمنطوي والمنعزل، والمسكوت عنه، ومقاربة الأقطاب للبؤر المضيئة على عتبات الحياة والواقع بأخيلة.

هناك مبررات تجعلنا ننظر إلى الواقع وفنونه باعتباره سلاحاً ضد مراهنات وتطورات الزمن وإكراهاته، فكل مشهد في الحياة مرتبط بواقع وباحتمال وخيال، لتتبؤ العودة من الخيال، وهذا يعد في أبعاده تأملاً في معنى الزمن والوجود، وكل تحولات الإنسان وفق هذه التطورات؛ إذ تمثل رهاناً آخر على تأثير الخيال في المشهد العام في حياة البشر، من حيث الممكن واللاممكن، والمعقول وغير المعقول.

في متخيلنا.. الحقيقة الماثلة والتي لابد أن نعيها، هي قدرتنا على تحويل الزمن المتراكم والتحول معه، بمجرد أن نبرمج تفكيرنا، ونضبط خريطة خيالاتنا، لنستطيع في رحلة العودة أن نتكيف ونتعايش مع التفاصيل التي نمر بها، خيارنا ثقافياً فكرياً وإنسانياً، فالترحال في مسارات الخيال باقٍ ما بقيت الحياة، ومتجدد ما لزم التجدد.

«الرولة».. الأم الحنون

أسماء الزرعوني
روائية إماراتية

كل أهل الإمارات يعرفون شجرة الرولة التي عاشت زهاء 150 سنة في مدينة الشارقة، وهناك من كتب عنها، وعن المكانة التاريخية لهذه الشجرة.

أما بالنسبة لي فهي تعني الكثير، أكثر من أنها شجرة، إنها علاقة طفلة بالمكان والزمان، من هنا عرفنا الفرح، وعرفنا البهجة التي كانت تحتضن أفراحنا الجميلة.. كنت أنا وأقران طفولتي من البنات والأولاد، وبراءة الطفولة تشعّ من عيوننا، كنا أخوة نخاف على بعضنا، وكانت أيادينا متماسكة ونحن نجتاز الطريق من فريج الشويهين إلى الرولة، فهنا فرحة العيد والمراجيح، وكل منا يحتفظ بالعيدية التي جمعها من الأهل والأقارب والجيران، فنتسابق لنذهب إلى الرولة.

يصطحب الناس أطفالهم من كل الإمارات إلى هذا المكان؛ ليزرعوا في نفوسهم البهجة، فتركب الأراجيح الخشبية التي كان يديرها صاحبها يدوياً دون كلل أو ملل، وهو يردد بعض الأهازيج الوطنية. وكم كانت فرحتنا كبيرة ونحن نتقاسم المال بيننا، فنشتري الأكل الذي كان موجوداً وقتها، كالسمبوسة والزلابية و«الدنقوا»*، وإلى الآن أحس بلذتها!

الرولة كانت تعني لنا الكثير، ليست شجرة فحسب، بل إنها الأم الحنون التي كانت تجمعنا تحت ظلها في الأعياد والمناسبات الجميلة، كالأعراس وغيرها، وإلى الآن يجرّني الحنين إلى هذا المكان، نعم، فرغم أن بيوتنا أصبحت بعيدة، لكن قلوبنا قريبة، نذهب لنعيد ذكرياتنا الجميلة. راحت الشجرة! وبقيت ذكرياتها معنا، المكان دائماً هو الارتباط الحقيقي للإنسان، وأنا أكتب عن الرولة وشريط الذكريات يمر أمام عينيّ، وأعيش لحظات الفرح مع ذكريات الرولة التي كانت قيمتها وقتها أكبر من أي مركز تجاري في وقتنا الحاضر.

* «الدنقوا» هو الحمص.

كتاب «الغفلة.. إحدى عشائر آل غزي في دولة الإمارات العربية المتحدة»

أحدث إصدارات حاكم الشارقة

عن «منشورات القاسمي»، الدار المتخصصة بنشر وتوزيع كتب ومؤلفات صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم إمارة الشارقة، إلى القراء محلياً وعربياً وعالمياً، صدر الكتاب البحثي الجديد لسموّه بعنوان «الغفلة.. إحدى عشائر آل غزي في دولة الإمارات العربية المتحدة»، حيث يتناول فيه سموه عشيرة الغفلة، وهي عشيرة من عشائر آل غزي، وكعادته دوماً يتجول سموه في التاريخ مزوداً بالمصادر والمراجع العلمية التي تشكل إضافة معرفية لكل قارئ ومعني بتاريخ الإمارات والمنطقة.

ظافر جلود
كاتب وصحفي – العراق

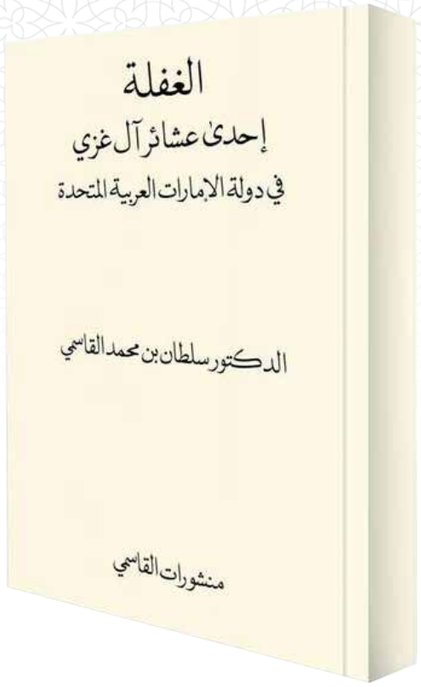

ويرى كثير من الدارسين والمؤرّخين الباحثين، ممن قرؤوا المؤلفات التاريخية لصاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، حاكم الشارقة، أنه قدم نموذجاً علمياً رصيناً ودقيقاً في التعامل مع التاريخ، باعتباره أحد أهم الأمور التي تحكم طبيعة علاقات البشر ببعضهم بعضاً، في ماضيهم وفي حاضرهم.

لقد جسّد سموه في كل مؤلفاته في تاريخ المنطقة العربية والخليج العربي، وتاريخ المسلمين في أوروبا، والرحلات الاستكشافية للبرتغاليين وغير ذلك، قيماً أصيلة في الكتابة التاريخية تستحق الدراسة والاطلاع عليها من قبل بعض المؤرخين الذين يستسهلون التعامل مع المادة التاريخية، ويذهبون بعيداً عن حقيقة المعرفة التاريخية، ولا ينتبهون لخطورة التاريخ، وحساسية التعامل معه، وضرورة الحرص في كل ذلك.

يعد سموه حالياً أحد أبرز المؤرخين العرب الذين تصدوا بحزم لمحاولات جعل التاريخ مادة للتسلية، من دون تبين، ولا توثيق، فاختط لنفسه منذ مرحلة دراسته الجامعية للدكتوراه، منهجاً صارماً في التعامل مع الحقيقة التاريخية، وفق نسق قوامه الحرص على إبراز مسؤولية المؤرخ ككاتب لتاريخ الناس، والبحث عن الوثائق التي تدعم المعلومة، أو تنفيها، وتقديمها للناس كما هي في الأصل، لا كما يقرؤها بعض المؤرخين الذين يستخدمون التاريخ لمصلحتهم ولمصلحة أطروحاتهم الأيديولوجية.

وكتاب «الغفلة.. عشيرة من عشائر آل غزي الأشداء من بني لام، والمنتمي إليها يقال له الغفلي، كانوا يسكنون في

برية الشارقة، حيث وردوها من العراق مع القواسم، وكانوا هم القوة التي احتلت الشارقة عندما وصلها الشيخ فاهم بن أحمد القاسمي، ابن عمّ الشيخ كايد بن حمود (عدوان)، سنة 1063هـ، الموافق 1653م».

توجه بنو لام والظفير بأهلهم إلى المدينة، حتى إذا ما وصلوا الحناكية، أسكن الظفير أهلهم في ضرية حول الحناكية. وتوجهوا إلى المدينة. عندما وصلت قبيلة بني لام حول المدينة في سنة 624هـ، الموافق 1226م، أوقعت ببطون حرب حول المدينة، فأجلتهم عنها؛ ثم قامت باحتلال المدينة بعد قتل أميرها قاسم بن جماز بن قاسم، فقام ابن عمه شيحة بن هاشم بن قاسم، والذي كان نازلاً في عزبة قريباً منه، واستولى على المدينة.

أخذ آل غزي من بني لام يغيرون على المدينة وينهبونها، بعد أن قطع شيحة عن بني لام أعطيات العسكر منهم، بعد أن استغنى عنهم بالجيش المصري، فقاومهم، وعندما يظفر بأحدهم كان يُقتل أمام الناس في ساحات المدينة المنورة، فانتقم آل غزي من بني لام من شيحة عندما كان خارجاً من المدينة متوجهاً إلى العراق سنة 646هـ، الموافق 1248م، فعارضه آل غزي من بني لام في الطريق وختلوه، فظفروا به في بعض الأماكن وقتلوه.

حكم المدينة بعد مقتل شيحة ابنه عيسى بن شيحة، وكان ينوب عن والده في المدينة، فحارب آل غزي من بني لام، فهرب آل غزي من بني لام من الحجاز إلى الشرق، والتجؤوا إلى قبيلة شمر، وتلقبوا باسمها خوفاً من أمير المدينة.

عندما نزلت قبيلة شمر إلى أرض العراق، نزل آل غزي معهم، وسكن الغفلة من عشيرة الغزي بين السماوة والناصرية. عندما انتقل القواسم إلى ساحل عُمان

في شهر شوال سنة 1022هـ، الموافق شهر نوفمبر عام 1613م، انتقلت عشيرة الغفلة معهم، وكانت القوة المرافقة للشيخ فاهم بن أحمد القاسمي، ابن عمّ جد القواسم الشيخ كايد بن حمود (عدوان)، حيث نزلوا في مدينة الشارقة، وسكنوا خارج المدينة في بقعة يقال لها سويحان، وتبعد مسافة ثلاثة عشر كيلومتراً إلى الشرق من خور الشارقة. كان الشيخ فاهم بن أحمد يفاخر بقوتهم، حيث يقول: «لا تقرب الشارقة ما دام فاهم حيّ».

أخيراً، ومن خلال كتابه الجديد «الغفلة»، فإن الباحث والمؤرخ صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، غالباً ما يركز في أكثر من حديث عن تاريخ المنطقة العربية، وتاريخ المسلمين، وعلاقتهم بالآخر، على أولوية أن يتمتع المؤرخ الذي يتصدى لكتابة التاريخ والبحث فيه بروح المسؤولية، واستشعار خطورة وأهمية ما يقوم به، وقد كان آخر حديث له في ذلك المجال حين أكد في حديث لسموه عشية انطلاق معرض فرانكفورت الدولي للكتاب، في دورته عام 2018، أن الكتابة بالنسبة للكاتب الحقيقي، جزء من حياته، وقطعة من قلبه وشغفه ومسؤوليته الإنسانية، تجاه ما يقدمه إلى القارئ والأجيال الحاضرة والقادمة. واعتبر سموّه أن الكُتّاب الذين يتعاملون بمسؤولية في نشر الحقائق، ينصفون التاريخ، ويحفظون للمستقبل إرثاً معرفياً لا ينضب.

مشيراً في الوقت نفسه إلى أن هنالك الكثير من المعارف الملتبسة وغير المدعومة بالحقائق، قدمها كُتاب ومؤلفون ومؤرخون، من دون أي أدلة، أو مراجع موثقة، وأن الواجب يحتم على الكاتب الحقيقي أن يواجه الزيف بالحقيقة، ويواجه المعلومة الملتبسة بالمعلومة الموثقة، ولا يوجههم بالقرارات أو السلطة.

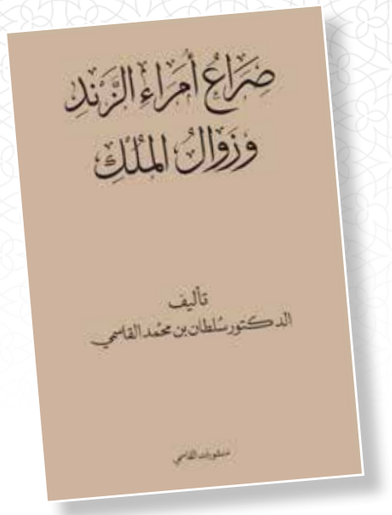

«صراع أمراء الزند وزوال الملك»

وكانت «منشورات القاسمي» قد أصدرت وعبر سلسلة مؤلفات صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، كتاباً بعنوان «صراع أمراء الزند وزوال الملك»، باللغة العربية، وقد وقعه سموه في معرض الكتاب الإماراتي، الذي أقيم في هيئة الشارقة للكتاب الشهر الماضي، ويقع الكتاب في ثلاثة فصول، وزوِّد بالفهارس وملحق توضيحي.

الكتاب إضافة نوعية في مسار بحث سموه التاريخي المعمق بالدلالات، ما يثري مجدداً الأهمية المعرفية لقراءة التاريخ، وإعادة اكتشاف التكوين الممتد للمجتمعات، من مختلف ثقافات العالم، وجميعها تمثل تنوعاً غنياً يثري سؤال الإنسان الدائم عن الهوية والوجود، وأبعاد التشكل الحضاري للمنطقة. وذلك من خلال الاتكاء على سرد وقائع التاريخ، وتناولها بالدرس والتحليل، بغية استكشاف ما تنطوي عليه من قيمة علمية وتاريخية، ومرتكزات قوية وخصائص فارقة،

إذ تقوم على منهجي المقارنة والمقابلة بين الروايات التاريخية والأحداث، والاعتماد على الوثائق الصحيحة في إعادة بناء الحدث التاريخي وقراءة الماضي بعين فاحصة وقلم جاد، ينشد الصدق والموضوعية والحياد.

ففي مقدمة الكتاب يقول صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي: «يروي هذا الكتاب قصة رجل يدعى كريم خان زند، وهي قبيلة زند الكردية في لورستان، وأصبح أحد قادة نادر شاه العسكريين.

على إثر الفوضى التي أعقبت وفاة نادر شاه في الرابع والعشرين من شهر يونيو عام 1747م، قام العديد من المنافسين مطالبين بعرش فارس، لكن كريم خان زند، نال ذلك العرش بتتويج حفيد آخر الملوك الصفويين القاصر، وعين نفسه وصياً عليه، حتى إذا ما تمكن من الحكم، أزاح ذلك الملك القاصر الذي عينه، وبذلك أصبح كريم خان زند «ملكاً» على فارس. لكن ورثته من أمراء الزند، قاموا بصراع فيما بينهم، حتى زال الملك عنهم.

ففي مجمل الأحداث التي يغوص فيها المؤلف الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي محللاً، فإنه يعود إلى كريم خان، الذي اتخذ من مدينة شيراز عاصمة لدولته التي كانت تضم مناطق واسعة من فارس.

تتحدر سلالة زند من إحدى القبائل الكردية التي تستوطن شمال أقاليم لورستان، ففي عام 1731م قام نادر شاه بتهجير الكرد الزنديين من مناطقهم إلى خراسان، ثم عاد هؤلاء مجدداً إلى موطن آبائهم الأصلي، يقودهم كريم خان زند.

استولى كريم خان (1750م – 1779م) على مناطق من أقاليم لورستان، ثم لقب بالوكيل. وبعد أن قام بفتح مازندران عام 1759م، ثم أذربيجان عام 1762م، أصبح يملك مناطق واسعة بما فيها البصرة التي سيطر عليها بعد حصار طويل.

وأبقى كريم خان زند أقاليم خراسان تحت ولاية ابن نادر شاه الذي أعماه أباه. وفي هذه الفترة برز القائد كريم خان زند، الذي هزم الجيش العثماني في المعركة، وأجبر قائد الجيش العثماني على الانسحاب إلى كركوك. ولم يستطع القائد التركي بعدها مواصلة حربه، وأرغم على الرجوع إلى مقره في جولان.

قاد كريم خان زند دولته إلى أوجها الاقتصادي (ازدهار التجارة مع الهند، التحكم في مداخيل الضرائب، تطوير نظام الري)، كما جعل من عاصمته (شيراز) مركزاً ثقافياً مهماً.

حكمت سلالة الزند بلاد فارس قرابة الخمسة عقود، وفي تلك الفترة تدهورت التجارة في الخليج، وأغلقت بعض مقار الشركات الأجنبية في الموانئ، وحدثت أيضاً كثير من الحروب الأهلية والاضطرابات، وقتل الأمراء، وسمل عيونهم، وأصبحت كثير من المقاطعات منفصلة عن بلاد فارس، سبب هذا الصراع فيما بين الأمراء الزند ضعفهم، وزوال ملكهم.

بعد وفاة كريم خان زند في عام 1779م، نشب الصراع فيما بين الأمراء الزند أخوة وأولاد عم، للسيطرة على الدولة، وتسلم مقاليد الحكم، حتى وصل الصراع إلى الاقتتال، وسفك الدماء، ومجازر فيما بينهم، ونتيجة لهذا الصراع ضعفت التجارة، وتدهورت الأوضاع الاقتصادية في فارس، وكان الأعداء القاجاريون ينتظرون الفرصة المناسبة للانقضاض على السلطة، وعلى رأسهم الملك محمد القاجاري، الذي نجح بعد معارك دامت أكثر من سنتين، في التغلب على لطف علي خان زند، آخر أمراء الزند، وأسره، وسمل عينيه، وأخذه إلى طهران أسيراً، حيث أعدم أمام آل قاجار، وبهذا انتهى حكم الزند في بلاد فارس، وتسلم آل قاجار الحكم.

سوق الحميدية

الطريق من باب شرقي إلى سوق الحميدية

د. أماني محمد ناصر
كاتبة - سوريا

«لستَ مضطراً إلى أن يكون عمر أجدادك خمسة آلاف سنة حتى تكون دمشقياً.. يكفي أن تعيش فيها ثلاثين سنة، وتتعمّد بروحها، فهي مدينة لا تعرف التعصب»، هكذا تغنّت الأديبة الدمشقية كوليت خوري بدمشق، كما تغنّى بها شعراء وكتّاب كثر.

كلّ يوم وبحكم مكان عملي في منطقة كيوان بدمشق، وفي الصباح الباكر، وقبل أن تفتح أسواق مدينة دمشق، أمشي سيراً على الأقدام من أمام قوس (باب شرقي) القريب من سكني، مروراً بسوق الحميدية، وحتى شارع الثورة، هناك حيث أستقلّ الحافلة التي تتجه بي نحو مكان عملي.

في هذا الطريق لطالما استوقفتني آثاره ومنازله الدمشقية التي تحوّل بعضها إلى مطاعم، وحاراته الضيقة وشوارعه المرصوفة.

«يقع باب شرقي عند المدخل الشرقي لمدينة دمشق القديمة، أسماؤه الأخرى: باب شرقي، الشمس، هليوس، سول. وهو الوحيد الذي يحتفظ بطراز عمارته الروماني. اسمه الأصلي باب الشمس، والبابُ مُؤلفٌ من ثلاثة مداخل، يُستعمل الأوسطُ الكبيرُ منها لمرور المركبات.

ويُنسب إلى عظماء الروم، ويعتقد أنه بُني في عهدِ

قوس باب شرقي

سبتيموس سيفيروس وكركلا في القرنِ الثاني والثالث الميلادي، وهو البابُ الوحيدُ المتبقي من تلك الفترة. ونسبوه لكوكب الشمس التي يمثلها الإله الإغريقي هيلوس أو سول عند الرومان».[1]

أنعطف شمالاً في مسيرتي اليومية هذه، حيث الكنيسة المريمية، التي تسحرك بشموخها وعظمة بنائها وموضعها ومساحتها الواسعة، وتعتبر من أقدم الكنائس الأثرية في دمشق.

والكنيسة المريمية أو الكاتدرائية المريمية «يعود تاريخها إلى البداية الأولى لانتشار المسيحية في المنطقة، والكنيسة هي مقر بطريركية أنطاكية وسائر المشرق للروم الأرثوذوكس، وتقع الكاتدرائية إلى يسار الطريق المستقيم المتجه إلى باب شرقي، وتعرضت عبر تاريخها للتخريب، وأعيد بناؤها وترميمها أكثر من مرة، وآخرها عام 1949، لتبقى واحدة من أشهر الكنائس في العالم، ومكاناً للعبادة، ومقصداً للزوار، حسب الدكتور جوزيف زيتون، رئيس قسم الأرشيف في الكنيسة المريمية».[2]

ولا غرابة أن يتغنى الشعراء في أقدم عاصمة بالتاريخ، وأقدم مدينة مأهولة في العالم... فدمشق التي تمتاز بحاراتها العتيقة العريقة الضيقة، وأشجار الياسمين فيها، وجوامعها وكنائسها وبيوتها الدمشقية، تتميز أيضاً بعبقها الذي لا يمكن لأي عابر فيها أو ساكن أن ينسى هذا العبق.

وهذا ما تقع عليه عيناك وأنت تمرّ بحي القيمرية، الذي يمتاز بأشجاره والنباتات التي تعرّش على جدران البيوت.

وقد تغنّى الشاعر نزار قباني ابن دمشق فيها قائلاً:

دمشقُ يا دمشقُ..

يا شعراً على حدقاتِ أعيننا كتبناهُ

الكاتدرائية المريمية

ويا طفلاً جميلاً من ضفائرنا صلبناهُ..

جثونا عند ركبتهِ..

وذبنا في محبّتهِ إلى أن في محبتنا قتلناه...

«سُمي حي القيمرية والسوق التابع له بهذا الاسم نسبة إلى المدرسة القيمرية الكبرى التي بناها الأمير ناصر الدين الحسين بن عبدالعزيز بن أبي الفوراس الكردي سنة (650هـ/1252م)، في أواخر العهد الأيوبي، وكان السوق يُدعى قبل بناء المدرسة بسوق الحريمين، وبقي يذكر بهذا الاسم في فترات لاحقة، حتى شاع اسم سوق القيمرية في العهد العثماني».[3]

وفي رواية أخرى، يعود اسم القيمرية إلى رجل سكن الحي

من حارات القيمرية

بيت قديم تحوّل إلى مطعم سميّ بمطعم باب الحارة وهو متواجد بحي القيمرية

يدعى «الشيخ قيمر»، عاش في زمن الفتوحات الإسلامية، وحي القيمرية يعدّ من أكبر أحياء دمشق القديمة، يحده من الشرق حي «باب توما»، ومن الغرب الجامع الأموي و«مقهى النوفرة»، وتحدّه حارة «الجورة» من الشمال، و«الشارع المستقيم» أو سوق «مدحت باشا» من الجنوب.

يشتهر حي الـ «قيمرية» بمطاعمه وفنادقه التي كانت بالأصل بيوتاً، كما يشتهر حي الـ«قيمرية» الذي يفصل باب توما عن الحميدية بأسواقه كسوق الخياطين وسوق البذورية الذي يقع بالقرب من «خان أسعد باشا».

وبدءاً من حي القيمرية من اتجاه الكاتدرائية المريمية، نجد مقاهي ومطاعم، سميّت بأسماء أغاني للرحابنة وأغاني فيروز، مثل: قهوة ع المفرق، تبقى ميّل، ع البال، بما إنو، وغيرها... وكلها كانت بيوتاً دمشقية قديمة حافظت على تراثها الدمشقي حتى بعد أن تحوّلت إلى مطاعم.

ثمّ نصل إلى سوق القباقبية، واختص هذا السوق بصناعة وبيع القباقيب الدمشقية، قبل أن يتحول لبيع التحف والمشغولات الفضية والقيشاني والتذكارات والمخطوطات والعملات النادرة، يتجاوز عمر السوق الخمسمئة عام، كما يقول الحاج حمزة مخللاتي، صاحب الورشة الوحيدة المتبقية لصناعة القباقيب في السوق، ويشير إلى أن السوق يختزل بعض تاريخ دمشق، فكل حانوت فيه يعد متحفاً مصغراً، لافتاً إلى

أن السوق كان متخصصاً بصنع القباقيب الدمشقية وصناديق الموزاييك، ولم يبق من هذا التخصص سوى الاسم، وتحولت معظم حوانيته إلى محال للأنتيكا والحرف الدمشقية المشهورة كالسجاد اليدوي وكراسي القش، وانتشرت في السنوات الأخيرة محال الرسم على الرمل الملون، وكتابة الأسماء على حبات الرز، مع وجود بعض القباقيب التذكارية.[4]

وفي نهاية القيمرية، من اتجاه باب شرقي، أو بدايتها، من اتجاه سوق الحميدية، تصل إلى مقهى النوفرة، وهو أشهر مقهى في دمشق، وهنا تطالعك درجات عدة، تدعى «درج النوفرة»، كونها على يمين مقهى النوفرة، أو «درج الجامع الأموي»، كون أحد أبواب الجامع يقع في نهايتها...

والجامع الأموي الذي يقع في قلب مدينة دمشق القديمة في نهاية سوق الحميدية، هو أهم معلم في دمشق القديمة «أنشأه الخليفة الأموي (الوليد بن عبدالملك) عام 705 ميلادي، في أوج عصر دمشق الذهبي، حيث كانت عاصمة للدولة العربية الإسلامية. يقوم المسجد على بقعة ظلت مكاناً للعبادة آلاف السنين، ويتميز بمآذنه الباسقة الثلاث التي بنيت على طرز مختلفة، وجددت أقسامها العليا في العصور الأيوبية والمملوكية والعثمانية، الأولى هي مئذنة العروس والتي تعتبر أشهر هذه المآذن، والثانية هي مئذنة النبي عيسى، والثالثة مئذنة قايتباي، وهي أقدم مئذنة»[5]، وقد قال الشاعر نزار قباني فيها وفي بقية مآذن دمشق:

مآذنُ الشّامِ تبكي إذ تعانقني

وللمآذنِ كالأشجارِ أرواحُ

وما بين باب المسجد الأموي (الباب الرئيس) وسوق الحميدية ساحة صغيرة، كانت سوقاً لتبادل التجارة بين العرب والغرب وخاصة اليونان.

هذه الساحة سميّت باسم سوق «المسكية» نسبةً إلى تخصص باعة السوق بالمسك، والعطور، وكان اسمه سابقاً سوق الكتبيين، أو الوراقين، وكان السوق في الماضي يحتل مساحة الساحة كلها، حيث تباع الكتب واللوازم المدرسية، والمسك ولوازم الحجاج... حتى المطابع كانت هنا والمحال متلاصقة على صفين متقابلين، وتمثل

سوق القباقبية وتظهر في نهايته إحدى مآذن الجامع الأموي

جانب من سوق القباقبية

امتداداً لسوق الحميدية، وصولاً إلى الباب الغربي للجامع الأموي.[6]

هذه الساحة، تحوّلت اليوم لمرتع للحمام، تجتمعُ فيها كما في صباحاتنا ومساءاتنا، تتناول القمح، وتهدل مع زملائها، إلى أن يطير السرب دفعة واحدة...

مقهى النوفرة ودرج الجامع الأموي ويظهر في نهايته أحد أبوابه

ولا عجب أن تغنّى به الشاعر الكبير محمود درويش قائلاً:

في دمشق
تطير الحمامات
خلف سياج الحرير
اثنين.. اثنين
في دمشق
أرى لغتي كلها
على حبة القمح مكتوبة بإبرة أنثى
ينقحها حجل الرافدين

ومن ثم تطالعك بوابة أثرية وبقايا أعمدة تاريخية هي بقايا لمعبد وثني لم يتبقَ منه إلّا تلك الأعمدة الضخمة المبنية من الرخام والمرمر.

هذا المعبد يدعى، معبد جوبيتر الدمشقي، و«هو معبد في مدينة دمشق القديمة بسوريا، بني في العهد الروماني ابتداءً من حكم أغسطس، وانتهى في حكم قنسطانطيوس الثاني، لم يبق منه للمعاينة إلا بضعة أعمدة قبالة باب الجامع الأموي، وجزء من سور المعبد في الزقاق الخلفي للجامع».[7]

ويوضح الدكتور همام سعد، معاون مدير التنقيب والتوثيق في المديرية العامة للآثار والمتاحف، أن هذه الأعمدة هي بقايا معبد قديم بناه الآراميون لعبادة الإله حدد رومون، إله الخصب والرعد والمطر في مطلع الألف الأول قبل الميلاد، حيث تظهر بقايا الأعمدة الرومانية ذات التيجان الكورنثية ومقدمة القوس الرئيسة في المعبد.[8]

هنا، ومن أمام هذا المعبد، نصل إلى نهاية سوق الحميدية الذي هو من أشهر أسواق دمشق على الإطلاق، بُنيَ في العهد العثماني، وتحديداً في عهد السلطان عبدالحميد الأول، الذي أخذ السوق اسمه منه، وذلك في عام 1780 ميلادي. ويتفرع عن السوق

بوظة بكداش

بقايا معبد جوبيتر وتظهر ساحة المسكية ومدخل سوق الحميدية

أسواق كثيرة منها:

سوق ساروجة، وسوق البذورية، وسوق المناخلية، وسوق الصاغة، وسوق العصرونية، وسوق الحرير، وسوق العرائس، والقباقبية، وغيرها.

وما يميز سوق الحميدية «بوظة بكداش» التي تعود إلى نهاية القرن التاسع الميلادي، وتتوسط سوق الحميدية الذي يقع بين شارع النصر وشارع الثورة...

وفي دمشقَ يهدلُ الحمام..
في دمشقَ يعبق الياسمين بسحره...
في دمشق

ينام الغريب على ظله واقفاً مثل مئذنة في سرير الأبد
لا يحن إلى بلد
أو أحد
في دمشق
يواصل فعل المضارع أشغاله الأموية
نمشي إلى غدنا واثقين من الشمس في أمسنا
نحن والأبدية
سكان هذا البلد

محمود درويش

1- الأبواب السبعة لمدينة دمشق، موقع سائح، 24 إبريل، 2022.
2- بشرى معلا، الكاتدرائية المريمية، أقدم كنائس دمشق، وكالة سانا للأنباء 2019/9/9.
3- وكالة أوقات الشام الإخبارية، 9 يوليو 2019.
4- سوق القباقبية.. محاله متاحف صغيرة تحكي قصة دمشقية، وكالة سانا، 30، سبتمبر، 2019.
5- موقع وزارة السياحة السورية، تاريخ التصفّح: 21، مايو، 2022.
6- محمد الأزن، ساحة المسكية، الاتجاهات تتقاطع هنا، موقع eSyria، 25 أغسطس، 2008.
7- موسوعة ويكيبيديا، تاريخ التصفّح، 21، مايو، 2022.
8- بشرى معلا، أعمدة معبد جوبيتر تروي جزءاً من تاريخ الحضارة في دمشق، وكالة سانا للأنباء، 2019/1/14.

مصبح عبيد الطنيجي:

عاصفة تطوير الذيد

أطاحت الأحياء القديمة وقادت التعليم

محمد هجرس
كاتب – مصر

عاش مصبح عبيد بن جاسم الطنيجي، الذي عمل مرافقاً للحكام والشيوخ، في أحضان البيئة البدوية التي ترعرع في أحضانها، متنقلاً بالإبل والأغنام للبحث عن أماكن الكلأ والعشب والمياه، سعياً لإطعامها، للحفاظ على الحياة المعيشية للأسرة، ولشدة العوز والحاجة، أراد أن يلتحق بالعمل في الجيش البريطاني، لكن حلمه لم يتحقق، وباءت محاولاته بالفشل، لكنه حصل على رخصة قيادة السيارات ضمن ثلاثة مواطنين فقط، سنة 1963، ولم يقتنِ سيارة إلا في سنة 1967 من القرن الماضي.

ولد بداخل أحد بيوت الشعر يوم الجمعة في منطقة الذيد في بداية الثلاثينيات من القرن الماضي، ولم يسعفه الحظ ليتعلم، لكن الحياة التي عاشها كانت هي معلمه الوحيد، حسب كلامه في الحوار الذي أجريناه معه في بيته داخل مدينة الذيد.

قال: عشت فترة طويلة لم تعرف فيها منطقة الذيد التعليم نهائياً، فنحن لم نعرف المطوّع ولا المدارس، وعشنا نتعلّم من أي شخص كان يقوم بإمامتنا في الصلاة، حتى كان عمري نحو 20 سنة، عندما ذهبت بابني عبيد إلى الكتاب الذي أقامه شخص يمني بالذيد نهاية الخمسينيات من القرن الماضي، وسلمته له، بعدها بفترة وجدت مدرسة أهلية، تبعها التعليم النظامي، وبدأت حكاية جديدة في مسيرة التعليم على يد الدولة، بعد أن كانت الدراسة على حساب دولة الكويت حتى بداية الاتحاد الإماراتي.

وأكد الطنيجي أنه مع مرور السنين شهدت الذيد تطوراً ملحوظاً، لإزالة جميع الأحياء الشعبية القديمة، وظهرت أحياء جديدة في أماكن جديدة، اختارها صاحب السموّ الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، شخصياً، بهدف الحفاظ على التركيبة السكانية المجتمعية، من أجل تدعيم عناصر الهوية الوطنية وعاداتها وتقاليدها، وكان عددها 8 أحياء جديدة، انتشرت حول الذيد القديمة.

> الذيد عرفت تعليم المطاوعة بعد زواجي

وتابع: وكانت هناك أوامر بعدم بيع أو تأجير البيوت للآخرين، بهدف الحفاظ على التركيبة الوطنية للمواطنين، وكانت الزراعة هي الأساس بالذيد منذ القدم، حيث اعتمدت في الريّ على الفلج الوحيد بالمنطقة التي نشأت حولها أعداد كبيرة من مزارع النخيل التي مازالت موجودة حتى اليوم، وكانت قديماً ملتقى شهيراً للرحلات، ومصيفاً لسكان البوادي، يتجمع فيها السكان، وتالياً نص الحوار:

- متى ولدت، وفي أي مكان؟

ولدت في بداية الثلاثينيات من القرن الماضي، وقيل لي إن السنة تقريباً كانت في 1934 ميلادية، وهو التاريخ الذي تم اعتماده في الأوراق الرسمية، فيما كان مكان الميلاد داخل أحد بيوت الشعر بمنطقة الذيد، بعد قضاء صلاة الجمعة في فصل الشتاء.

- وماذا تتذكر من طفولتك؟

كانت طفولة صعبة، خصوصاً أن الحياة خلال تلك الفترة كانت جامدة، وكنت أتنقل مع الأسرة والإبل والمواشي بحثاً

> تطور الذيد كان يشبه العاصفة

عن الكلأ والعشب وأفلاج المياه، خصوصاً في القيظ، حتى اشتد عودي وبدأت الأسرة تعتمد عليّ في القيام بالأعمال التي كانت موكلة للرجال الكبار الأقوياء الأشداء، خصوصاً أن المنطقة كانت تزخر بالآبار، وتنتشر فيها الطوايا، وتمر عليها القوافل المقبلة، وتستريح بالقرب منها قبل وصولها إلى دبي والشارقة وعجمان.

- وما عدد الطوايا بالذيد؟

أنا أتذكر طوي نضاحية وطوي سالم بن حضيرم وطوي إيديه وطوي مريفيعة والثقيبة والحصن والبحايص واليفر وفلي والحفيرة وحمدة وحيضر وخضيرا ومليحة ووشاح، هناك طوايا أخرى لم أعد أتذكرها.

- لماذا لم تتعلم؟

لم تعرف منطقة الذيد أي نوع من التعليم حتى صار عمري نحو 20 سنة، وقد تزوجت وأنجبت ابني عبيد، الذي كنت أسعى لتعليمه، فعرفت من الناس أن هناك رجلاً من اليمن يعمل في محطة لتعبئة البترول، فتح كتّاباً داخل المحطة لتعليم الأولاد، فذهبت إليه وسلمته ابني، وأصبح هذا النوع من التعليم سائداً، ومارسه عدد كبير من المطوعين والمطوعات.

> حكومة الشارقة حافظت على التركيبة السكانية بمنع البيع والتأجير

وزاد بشكل كبير في مناطق الإمارات حين ولجه كثير من المعلمين، واقتصر فقط على حفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية، إلى جانب التدريب على

الكتابة والخط والإلمام بأركان الإسلام والوضوء والصلاة وأركانها.

- لكن، هل كان هناك اختلاف بين المطوعين في الدروس؟

أكيد وهو نتيجة اختلاف الثقافة والمعرفة والدراية بكل مطوع، وهو نوع من أنواع التطور الذي شهدته مسيرة التعليم.

وتابع: وفي سنة 1964 تم إنشاء أول مدرسة في الذيد، وبلغ عدد طلابها نحو 30 طالباً وطالبة، وفي بداية السبعينيات تم فصل البنين عن البنات لأول مرة في تاريخ التعليم بالدولة، وأنشئت أول مدرسة للبنات، فيما الآن بمدينة الذيد أكثر من 12 مدرسة ما بين حكومية وخاصة، تضم جميع المراحل من رياض الأطفال حتى التعليم الثانوي.

وأضاف: أطفال الذيد يحظون الآن بحياة كريمة، ورعاية شاملة مختلفة تماماً عن الوضع في الماضي، حيث شمل صاحب السموّ حاكم الشارقة، المدينة بعناية خاصة، فكان إنشاء مراكز الطفل والناشئة والمكتبات والحدائق

> الأطفال يحظون الآن بحياة كريمة ورعاية مختلفة عن الماضي

المتخصصة، بالإضافة إلى نادي الذيد الرياضي، وذلك انطلاقاً من رؤية سموه الثاقبة نحو تدعيم النشء وتنمية الحس الإبداعي والثقافي.

- نريد لمحة عن التطور العمراني بالذيد؟

مازلت أذكر البدايات التي كانت تشبه العاصفة في سرعتها، حيث شهدت الذيد تطوراً عظيماً، فقامت الحكومة بإزالة جميع الأحياء الشعبية القديمة، وشيدت 8 أحياء جديدة في مواقع جديدة بأماكن جديدة اختارها سمو حاكم الشارقة شخصياً، بهدف الحفاظ على التركيبة السكانية للمواطنين، من أجل تدعيم عناصر الهوية الوطنية وعاداتها وتقاليدها.

- حاولت العمل في الجيش البريطاني لكنك فشلت؟

أنا لم أفشل، ولكن الشيخ محمد بن صقر القاسمي، هو الذي أمر بعدم التحاقي بالجيش البريطاني، واختارني مرافقاً له، وعملت أيضاً من بعده في الوظيفة نفسها مع الشيخ صقر بن سلطان القاسمي.

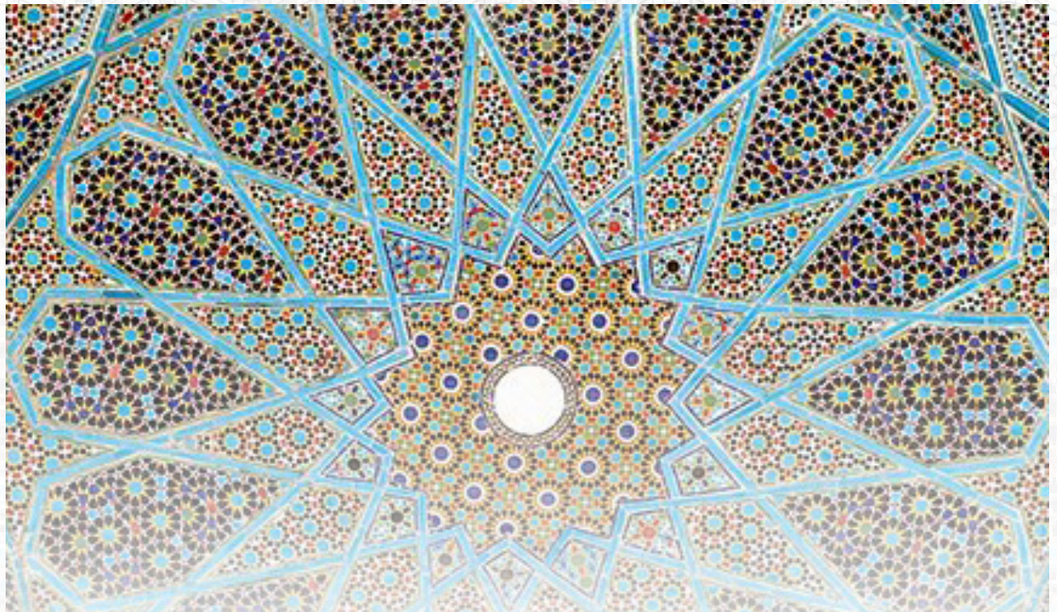

العناصر الزخرفية

في العمارة التقليدية الإماراتية

العمارة وعاء الفن والثقافة، والفن الذي يزيّن العمارة بمثابة لغة تنطق بهوية العمارة، وتحكي تاريخها. والعمارة الإماراتية، لم تشذ عن هذه القاعدة، فقد عكست طبيعة المكان وثقافته وتاريخه، وتفاعل الإماراتيين مع الشعوب المجاورة، وعملية التثاقف والتبادل الحضاري التي حصلت عبر قرون.

الزبير مهداد
كاتب وباحث - المغرب

فمنطقة البستكية بدبي القديمة، تتميز بطابعها المعماري العريق، بأزقتها الضيقة المتداخلة التي تربط أطرافها. وتضم المباني التي أنشئت وفق التقاليد المعمارية الأصيلة التي تعكس الثقافة المجتمعية والقيم التي

تكون الهوية الإماراتية، بيوت تتميز بأبوابها الخشبية، ومداخلها المنكسرة المعتمة، وباحاتها الداخلية التي تمثل قلب المسكن الذي تنفتح عليه الغرف المزينة الجدران والنوافذ بالنقوش والزخارف، المتوجة بالبراجيل.

تتجسد العناصر الزخرفية في مكونات البناء ووحداته، كالأبواب، والبراجيل، والشرافات، والغرف، وغيرها، وفي المقال التالي، بسط موجز لذلك.

أبواب ونوافذ:

يعد الباب أداة تضمن أمن المنزل، وتحمي خصوصية أهله من المتطفلين، فهو يختزل عدداً من المعاني والدلالات، إنه المدخل الذي يفضي إلى حيث الأمن والخير والسكينة، ويحفظ السر، لكن بعض المنشآت مثل قصر الحصن، والمجمع الثقافي تتحلى بأبواب تراثية تعد تحفاً بحد ذاتها، فيها الكثير من الإبداع الفني الذي يشهد بمهارة الصناع التقليديين الإماراتيين، الذين زينوها بالنقوش المحفورة، وبالرسوم البديعة.

الأبواب الإماراتية التقليدية مصنوعة من خشب، تتألف من مصراع واحد أو مصراعين اثنين، تزين بمسامير حديدة كبيرة مقببة الرؤوس، تسمى «مسامير بوقبة»، تثبت أجزاء الباب وتقويه، وتزينه أيضاً.

بعض الأبواب الكبيرة، تحدث فيها أبواب صغرى تسمى «الفرخة»، ارتفاعها يكون بقامة شخص متوسط الحجم، فتحها يسمح بمرور شخص واحد، دون أن يكشف خصوصيات أهل المنزل، إلا أن درجة ثراء أهل المنزل، ومكانتهم الاجتماعية يمكن استخلاصها أيضاً من هذه الأبواب، فكلما كانت جيدة مزخرفة دلت على غنى أصحابها.

يزين مصراع الباب وإطاره بزخارف نباتية وهندسية، وتحظى «أنفة» الباب بعناية خاصة؛ لأنها أبرز قطعة في الباب، تقع في وسطه بادية للعيان، لذلك يعتني الفنان التقليدي بها، يقسمها إلى ثلاثة مقاطع أو أكثر، يزخرفها بالنقوش الهندسية والنباتية مستوحاة من النقوش الجصية؛ حتى تكسب الباب جمالاً خاصاً واتساقاً مع محيطه، كما أن المغلاق أو المزلاج الخشبي الذي يقفل به الباب ويضمن أمن المسكن، ينحت بعناية.

الأبواب الضخمة، كأبواب المساجد أو القصور والحصون، تكون محفوفة بأقواس كبيرة مفصصة، أو مدببة، أو نصف دائرية، تقوم على أعمدة برؤوس لطيفة، وتتوج بقباب، ومن أمثلة ذلك الحصن الشامخ في حي الفهيدي في البستكية. أو أقواس محدبة من دون أعمدة، تشكل في الجدار، كما تحدث فوقها مشربيات محفورة على الجص، مثل قلعتي المربعة والجاهلي. واستخدام الأقواس في الأبواب إرث عربي قديم، لقي كماله في الفن الإسلامي العربي.

ولا يكاد يخلو بيت إماراتي قديم من زخارف تقليدية هندسية تزين النوافذ، وتسمى «الشمسات»، وهي مشربيات نصف دائرية فوق النافذة، محفورة على الجص، وهي من العناصر الزخرفية التي انتشرت في العمارة الإماراتية، ولها وظيفة حيوية تتمثل في السماح للنور والهواء بالنفوذ إلى الغرف. تزين بطريق الحفر بزخارف هندسية عربية الطابع شعاعية في الغالب، مستوحاة من أشكال هندسية ونباتات، وفي الفترات المتأخرة، كان يتم تغطية الحفر بزجاج ملون، تضفي على البناء مسحة جمالية لطيفة.

البراجيل والمدخلات:

إن «البراجيل» من مميزات العمارة الخليجية، خصوصاً في دبي، وهي أبراج هوائية مفتوحة تعلو المباني، تبدو كأبراج الاستطلاع والحماية، تحمل فتحات واسعة في أعلاها، يمر عبرها الهواء إلى داخل المنزل، ليلطف درجات الحرارة. وتعد مظهراً لصيقاً بعمارة الخليج، اكتست لمسة الفن الجمالية التزيينية، فأحالته إلى مَعلم معماري بديع.

وأسفل فتحات البراجيل في الواجهة الخارجية للمبنى تقام المدخلات، وهي قواطع جدارية أفقية من بلاطات مرجانية، تثبت مع بعضها بالجص، توزع بشكل منظم على الجدار، وتشكل مقاطع جدارية رقيقة تفتح فيها النوافذ للمجالس والغرف، ولها هدفان: معماري للتخفيف من ثقل البناء، وزخرفي بما تحويه من فتحات تهوية تصمم بشكل فني بديع، كما تتوج بالعقود في أغلب الأحيان. نصف دائرية أو مفصصة أو مدببة. وأسفلها تقام دخلات النوافذ الخشبية. كما تحلى أركان المدخلات بعناصر زخرفية بأشكال هندسية بديعة، تسمى «الحليات».

الشرافات:

أما واجهات المباني الكبرى والأسوار والأبراج، فتزين نهاياتها العلوية بالشرفات (المسننات) المتنوعة، منها ما هو مدبب، ومنها ما هو على هيئة رأس رمح، أو شكل مدرج ذي قمة مدببة، أو شكل ورقة نباتية أو غير ذلك من الأشكال الجميلة.

استخدام الأشكال المثلثة في نهاية المبنى تأكيد على التفاعل الجمالي بين الفراغ والشكل المعماري، ويؤكد الاتصال المستمر بين الفراغ والكتلة المعمارية.

الزخارف الداخلية:

لا تخلو البيوت الإماراتية من الزخارف، وهي في الغالب جصية محفورة، هندسية ونباتية. تحفر الزخارف على الجص الذي يلبس به الجدار، وهي زخارف هندسية ونباتية، تنقش في شكل حشوات مستطيلة أو مفصصة أو نصف دائرية. كما تحدث داخل الغرف كوى «رواشن»، وهي دخلات مستطيلة (50سم/ 70سم) بعمق يصل إلى 25سم، توضع فيه أسرجة الإضاءة وأدوات الزينة وأباريق الماء والكتب أحياناً.

كما أن العقود الجصية الداخلية، تزين بالنقوش الهندسية، التي تتأسس على الدوائر المتداخلة، والنجوم، والمعينات، وغيرها من الأشكال الهندسية أو النباتية، كالزهيرات، وسعف النخيل. واستعمال الدوائر والخطوط المنحنية والأشكال النباتية يمنح الشكل ليونة وانسيابية لطيفة.

جماليات الزخرفة الإسلامية:

إن الجبس مادة بسيطة، لكنها تتحول بالزخرفة إلى أعمال فنية غاية في الروعة، تستعيض عن رخص المادة وبساطتها بروعة التشكيل وفخامته.

والجباسون نقاشون يعالجون الجبس الذي يزخرف السقوف والأقواس. وعلى المساحة التي يراد تزيينها يستخدم المعلم البركار والمسطرة لرسم (الخطة) التي تتكون من المربع والمثلث المتساوي الأضلاع والدائرة واللولب والخماس والمضلعات المنتظمة، وهي أكثر

الأشكال استعمالاً في الجبس. وتتشكل البنية الجمالية في مختلف فروع هذا الفن من مزج وتركيب هذه التركيبات.

لا يقتصر الفنان على إقامة التوازن بين الكتلة والفراغ، بل يبتكر للفراغ قيمة، من خلال الزخارف التي تمتزج في تناغم فريد، فالجمال في العمارة يتحقق نتيجة التناغم بين عناصر البناء التي تتفاعل في نسيج لحن جامد يبقى على طول الزمان شاهداً على إبداع العصر وتاريخاً للمرحلة التي قام فيها البناء.

إن الزخارف تبرز العناصر الأساسية الأربعة للفن الإسلامي، وهي النسقية والرياضية والتكرار والأسلوبية:

النسقية: وهي عبارة عن هندسية سيمترية أو توازن في علاقات الجزئيات والوحدات المكونة للشكل، فتعطي للحركة البصرية، ثم الذهنية صورة منتظمة يسهل تخيلها إذا ما امتد الشكل عبر الفراغ.

الرياضية: علاقات الأشكال تقوم على التساوي أو التضاد أو التوازي، وينتج عن هذا أن توزيع الألوان والوحدات الأصغر فالأصغر في الشكل العام يأخذ نمطاً رياضياً لا يختل إلى ما لا نهاية.

التكرار: النتيجة العملية لاجتماع النسقية والرياضية في شكل ما، إذ يترتب على اجتماعهما ليس فقط تكرار الوحدات الجزئية، بل وتكرار صورة الفراغ الناتج عن تجاوز هذه الوحدات وتكرار الحركة الناشئة عن تماثل الوحدات والفراغات صعوداً وهبوطاً يمنة ويسرة.

الأسلوبية: تحويل العناصر الطبيعية وإدماجها في الأشكال الذهنية الهندسية من مربعات ومخمسات وغيرها، ودوائر وخطوط متشابكة وتجريد الأشكال الطبيعية حتى تصبح الزهرة مجرد دلالة ذهنية تمثل جزءاً من الحركة الذهنية العامة في الشكل.

قيمة الفن التراثي

إن الزخرفة بأشكالها وأحجامها ونسبها وتكرارها تخاطب الحواس، وتثير مكامن الشعور في النفس الإنسانية، وتعد دليلاً يساعد على تحديد الطرز المعمارية، وتبرز هوية العمارة، كما تعبر عن أحداث وثقافة العصر من خلال مفرداتها التشكيلية والرمزية، وتعبر عن المعاني الروحية التي يؤمن بها الإنسان.

ويحوز الفنانون الإماراتيون فضل تخليد فنون العمارة التقليدية الإماراتية، والتذكير بملامحها وأنواعها وزخارفها، فكثير من الفنانين، تمتعوا بوعي ذكي بأهمية التراث الأصيل، فخلدوا ملامحه ومكوناته في لوحاتهم البديعة، فتطورت في دبي كثير من الأحياء السكنية التي امتزجت فيها ملامح التراث العمراني وملامح العمارة الحديثة، ما أضفى عليها جمالاً متفرداً.

كما يشكر لحكومة الإمارات العربية المتحدة عنايتها الموصولة بالتراث عامة، والعمارة التقليدية على وجه الخصوص، ومشاريع حمايتها، بترميمها، وتثمينها، وتأهيلها، وتوجيه عناية الباحثين إليها، وإحداث المعاهد الأكاديمية لحماية التراث، ودعم الجمعيات العاملة في هذا الحقل، تحقيقاً لمقولة المغفور له الشيخ زايد من سلطان، طيّب الله ثراه: (من لا ماضي له، لا حاضر له، ولا مستقبل).

تدويرُ الموروث الشعبيّ

القصةُ الحكائيةُ للأطفالِ في سورية

نجاح إبراهيم
كاتبة- سوريا

هل نستعيدُ زمنَ الإصغاء الجميل، كما كنّا نفعل؟ أي نعيش حالة استغراقٍ شديدٍ مع القصص الحكائية الجديدة، وكأننا في حضرة شهرزاد، وترجع ليالي السّمر حول كانون النار! هل تُستعاد تلك الليالي الأثيرة لدينا؟ التي تختبئ في ذاكرتنا، ونأبى أن نفرّط فيها؛ لأنها جزء منّا، من تكويننا.

كانون النار (الموقد) فيما سبق كان مُتمّماً لألق الحكاية، إذ كاد أن يكون إحدى الشخصيات التي تتداخل في نسيج ليس السّرد الحكائي، وإنما نسيج الزّمن الذي كان يحتضننا.

التراثُ بشكلٍ عام، سواء كان مكتوباً أو شفوياً، يحظى بمكانةٍ عالية، وينظرُ إليه العرب نظرة تقدير واعتزاز، لأنّه مخلد، يحملُ بذرة خلوده في داخله، إضافة إلى ما يتصفُ من جدّة وطرافة وإثارة وإبهار.

هو خالد وباقٍ؛ لأنّ له أبعاداً إنسانيّة تتجاوزُ حدود الزّمان والمكان، كما أنّه يزخرُ بقيمٍ وأخلاقٍ وعقيدة روحيّة.

وما نتفقُ عليه ونؤمنُ به، أنّ التراث العربيّ هو جزءٌ كبيرٌ من التراث الإنساني العام للبشرية، ينقلُ عالماً يخصّ الأجدادَ، وقد صوّره المفكرون والأدباء عبر نصوص تُخبرُ عن تلك المجتمعات، وتسردُ أحلامهم سواء كانت واقعية، أو خيالية، وتعبّر عن أمانيهم وطموحاتهم ونظرتهم للكون والإنسان والحياة، وكذلك رؤاهم لمعاني الخير والحقّ والجمال.

ولا يخفى على أحد غنى هذا التراث، فمواده وموضوعاته استقت منها ثقافاتٌ أخرى، لا سيما قصص ألف ليلة وليلة، التي أفاد منها الغربُ على مختلف الفنون، وكذلك قصّة ابن فضلان التي قدّمت في فيلم «المحارب الثالث عشر».

في كتابه الشائق «جماليات القصّة الحكائية للأطفال في سورية»، قدّم الكاتب السوري محمد قرانيا أفكاراً وشروحاً كافية عن الموروث الحكائي، الذي يخصّ الطفل، وأهميته وكيفية تجديده، وبيّن الفرقَ بين الحكاية والقصة.

فالحكايةُ الشعبيةُ بشكلٍ عام، هي جزءٌ من أدب الأطفال، وتُعدُّ من أغناها؛ لأنّ الخيال الشعبيّ قد نسجها بإحكام حول حدثٍ مهم، فاختزنت في وجدانه العام؛ أي أنها تُعدّ امتداداً زمنياً وشعورياً وثقافياً، تناقلها الناس من جيل إلى جيل، حاملة موضوعها، وفكرتها، وشخصياتها، وحدثها، في إطار اجتماعي له بذورُ الموعظة والتوجيه، مطعّمة بالنقد، وكثيراً بالسّخرية والفكاهة، ومع ذلك فهي تقدّم الحقيقة وتسعى لإسعاد الناس عبر الخاتمة السّعيدة غالباً، وقد امتثل لهذا عددٌ كبيرٌ من الأدباء بخواتيمهم التي تشيع البهجة، وأحياناً تختتمُ بنهاية سلبية كفاجعة تحلّ على البطل، وهذا نادراً ما يحصل.

والعلاقة بين أدبِ الطفل والتراث علاقة قوية، فالتراث هو المصدر لهذا الأدب، إذ هو تعبير عن طفولة البشرية، وترجمة لتفكير المجتمعات الأولى، لهذا اعتبر التراثُ من أهم الينابيع التي رفدت هذا الأدب، بمادة ثرية غنية، ودائمة، ومن خلال تدوير هذا التراث للأطفال يجعلُ الأبناء يتعرّفون إلى تراث أمتهم الحضاري، والتراث الإنساني، لتزداد ثقتهم به.

والمجتمع العربي زاخرٌ بالحكايات وبالخيال، ولدى الأدب قدرة على صياغة هذه الثروة من جديد بزيّ فنيّ عصريّ يلائم فكرَ الأطفال، أسوة بأعمال عالمية صيغت للأطفال، كرواية «روبنسون كروزو» لدانيال ديفو عام 1660، ورواية رحلات جلفرد لجوناثان سويفت عام 1731، التي قرأناها صغاراً وكباراً، وعربياً عمد الكاتبُ جرجس ناصيف إلى إعادة كتابة حكايات السندباد، وآخرون أمثال محمود موعد، الذي عمل على حكايات «كان يا ما كان»، مستلهماً إياها بأسلوب شائق وقيَم نبيلة ورافد للمخيلة؛ ومن عنوان المجموعة كان يا ما كان أخذ الكاتبُ يبدأ حكاياته المعاصرة، مضيفاً إليها عبارة «غير الله ما كان... ».

وقد بيّن الباحثُ في دراسته، أنّ ثمّة فرقاً بين الحكاية وقصّة الطفل، فالحكاية تتوجه للكبار والصغار، وهي كلّ صيغة أو أنموذج من الحكايات المكتوبة، أو المنطوقة التي ورثتها الأجيال المتعاقبة أعواماً طوالاً، وصارت ملكاً لكلّ العصور، ولكن اسم المؤلف يسقط ويضيعُ مع الزّمن، وتنسب إلى الجماعة، ولكن جلّ ما وصل قد صيغ بأسلوب قريب من نفسية الصّغار، كسيرة عنتر بن شداد، والزير سالم، وحكايات ألف ليلة وليلة، وكليلة ودمنة، والحكايات الشعبية الشفاهية، كما لا يخفى أنّ هذا التراث يتسمُ بأسلوب السّرد الحكائي، والتحدّث بألسنة الحيوانات، أما قصّة الطفل فقد ارتبطت بالخصائص الفنية التي اشتغلَ عليها النقد المعاصر، وتتوجّه إلى الشريحة التي حدّدتها مدارس التربية وعلم النفس، حيث تأخذ بعين الاعتبار العمر والميول والمدارك، ولها بالتأكيد معايير فنيّة خاصّة، تأخذ بها كالحدث والشخصية واللغة والحبكة.

وقد تتفقُ الحكاية والقصة بالحدث والشخصية والبساطة والقصّ التقليديّ، ولكنها تختلفُ كلياً عن الفنّ القصصي.

والسؤال هنا: هل تستطيع الحكاية أن تظلّ حيّة، مستمرّة؟ بالتأكيد يمكن أن تظلّ حيّة إذا ما قدرنا على توظيفها، وتوظيف ما تحملُ في الإجابة عن أسئلة

المستقبل، وذلك في جعل الانفتاح على الماضي محفّزاً على التجديد، وتغيير الواقع نحو الأفضل، واستلهام قصّة من التراث؛ يعني توظيف هذا التراث في أدب الأطفال، أي استحضار الماضي من حكايات ألف ليلة وليلة، وكتاب كليلة ودمنة، وسير الأبطال كعنترة بن شداد والزير سالم، وانتقاء ما هو مناسب لعالم الطفولة، والعمل على صياغتها وتحويلها إلى أدب معاصر يكتسي بثوب عصر يعيشه الطفل، الذي يعشق حكايات الزّمن الماضي المملوء بالسّحر والدّهشة والخيال واللغة.

هذا التدوير يعني تقديم الحكاية برؤى جديدة وعاطفة حيّة، تلامسُ الحاضرَ، وتؤثرُ في المستقبل، لهذا قيل إنّ أدب الأطفال ليس ابن يومه فحسب، وإنّما هو ابن تاريخه الطويل، وثقافته العريقة، التي تمتدّ من عصر الرّواية الشفهية حتى هذا الأوان.

لقد اجتهد عددٌ من الكتاب، وجنّدوا أنفسهم على جمع الحكايات الشعبية شفهياً من الناس، والنّهل من مصادرها القديمة، وبذلوا جهداً في سبيل إحياء هذه النصوص وتوثيقها وحفظها، منهم على سبيل المثال: حسن حمامي ومنير كيال وعادل أبو شنب ود. أحمد زياد محبك في كتابه الكبير «حكايات شعبية» وآخرون.

ولكن، هناك فرق بين جمع التراث وتسجيله الذي يهدف إلى بعثه عن طريق رصده، وبين توظيفه الذي يُعدّ مرحلة متقدّمة في التعامل مع الموروث، حيث يكون التأثير كبيراً، والعطاء مُجزياً.

هناك عددٌ من الكتاب وعى الحكاية الشعبية واشتغل عليها، واتخذها وسيلة لإبداع قصّة طفلية؛ أي أخذ من الحكاية القديمة الشخصيات الملكية والشعبية والسّحرية، ومن الحداثة والمعاصرة شكلها وأفكارها، أو لنقل أيديولوجيتها كما فعل زكريا تامر في مجموعة «لماذا سكتَ النهر؟».

لقد استفاد الكتاب من شخصيات الحكاية وأحداثها وأجوائها، وعوالمها، مثل «بساط الرّيح»؛ إذ استطاعت الكاتبة ليلى صايا أن تفيد منها حين جمعت أطفال العالم وجعلتهم يطيرون فوق البساط، وأخذتهم إلى فلسطين؛ ليروا ما يحدث فوق أرضها من ظلم وعدوان على الشعب العربي، وكذلك استفاد الكتّاب من مصباح علاء الدين، والمرآة السحرية، وقبعة الإخفاء، وأسبغوها بروح الفنِّ المعاصر، وهذا ما قام به الكاتب موفق نادر في مجموعة «لعبة النهر»، فبطل القصة هو الطفل حيّان الذي استفاد من القصص التي لديه عقب نثرها حوله، ونقله عبارات منها، لقد نثر عبارات حكايات قديمة عديدة؛ عربية وغربية، بمعنى أنَّ الطفلَ انجذب إلى الموروث الشعبي في الشرق والغرب، وها هو يحاولُ أن يؤلف قصة منهما.

والملاحظ كيف يعمدُ الكاتب؛ أي كاتب يسعى إلى تجديد الموروث - الحكاية تحديداً - إلى جعل الشخصيات عصريّة في تعامل بعضها بعضاً، ويجعل الخاتمة امتداداً لمضمون النصّ، وختماً له لإثارته خلافاً للنهايات التقليدية.

كما يحاولُ انتقاء ألفاظ النصّ بإتقان، مراعياً مدارك الطفل، وما يريح شعوره، متوخياً السّهولة والبساطة والوضوح والابتعاد عن الرّكاكة والتعثر، مُعتمداً على التجريب؛ أي استخدام اللغة وفقاً لمزاجه الشخصي وحساسيته وتذوّقه، وكذلك يتكئُ على السرد الممتع المفيد، إذ هو في الحكاية الشعبية سرداً عفوياً، أما في التدوير فإنّ الكاتبَ يتعمّد إلى زخرفة النصّ بمحكيات عذبة، شائقة، سائرة على الألسن وذلك مراعاة الخطاب الشفهي، الذي يُشبع نفسَ الطفل، ومع ذلك تدفع نحو مستوييها الإيحائي والرّمزي، للانعطاف بالصورة والمعنى، وبهذا الإيحاء يغدو اللون في الحكاية عنصراً حيوياً من عناصر التجسيد الفني، نظراً لما له من تأثيرات نفسية ودلالات رمزية، فالسّرد ينحو منحى الرهافة لتوصيف الحالة النفسية للأطفال، والحوار يكون متمّماً للمشهد، وركناً أساسياً قام عليه

السرد، فالوعي الجمالي يتبدّى واضحاً في الحكاية الجديدة.

ولعل أبرز من اشتغل على الموروث الشعبي، هو الشاعر سليمان العيسى، فقد عُرف بعشقه التراث العربي، ونظرته الانتقائية له، فالتراث لديه هو الوجه المنير من حياة الأمة العربية في كلّ عصورها، لقد استلهم منه المفيد شعراً ونثراً، حيث أتى على معظم ألوانه، الأدبيّ والدينيّ، والأسطوريّ والبطولي التاريخي، وطوّع تلك الحكايات في صياغة شعرية تارة، ونثرية تارة أخرى، موظفاً إياه لاستشراف الغد الواعد، كما في قصة علاء الدين والمصباح السحري، وحكاية علي بابا والأربعين لصاً، والتي بدت أشبه بنصّ فني ينبض بالحيوية، ويمتلئ بالقيم، ولنصوص سليمان العيسى أبعاد تربوية واجتماعية، من نصّ علي بابا نقتطف المقطع الآتي:

«يا علي بابا، يا صديقنا القديم، ألم نحذرك من طريق الفساد؟ الكنز للحطابين جميعاً، للفقراء جميعاً، لرفاقك المحرومين الضائعين، أيّها الحطاب الطيب الأصيل، لكم فيه نصيب..».

ورأي الكاتب سليمان العيسى من التراث بات معروفاً، إذ قال: «أن تعتصر المتنبي ولوركا والمعري، وغوته، ثم تقف على قدميك، وترى الدنيا بعينيك، تلك هي الحداثة والمعاصرة..».

إنّ عملية تدوير التراث، أو توظيفه، ليست عملية سهلة، وإنّما صعبة، هذه الصّعوبة لا تتمثلُ في التراث وحده وإنّما في طريقة المتعاملين معه، من حيث اختيار المناسب منه وإحيائه، والاستفادة بما يتفقُ مع النظرة التربوية الحديثة، بكلّ ما تحمله من قيم وأفكار ومفهومات وبناء شخصيّة الطفل.

فعلى عاتق الكاتب تقعُ مسؤولية استلال الجزء الهام من الموروث الشعبي، على أن يؤدّي التراث دوره بشكلٍ فعّال في أدب الطفل، والكاتب المبدع هو الذي يمدّ يديه لشدِّ الأواصر بين جيل الأجداد وجيل اليوم والغد، ولتعزيز الرّصيد اللغوي والثقافي والقومي والإنساني، وإسقاط قيم العصر وثقافته على الحكاية، ولكن في رأي الباحث قرانيا، أنَّ تجديد الحكاية يثيرُ عدّة إشكالات منها:

افتقارنا إلى معايير منهجية لأسلوب التجديد من جهة، وافتقارنا إلى تقاليد منهجية نقدية من جهة ثانية، وبرأيه هذا يدلُّ على صعوبة تحويل حكايات أدبنا العربي وموروثنا الشعبي إلى قصص موجهة للأطفال تظلُّ محتفظة بقوّتها وديمومتها وسحرها، وهذا يتعلق بالمبدع الذي يستطيع أن يضع أصبعه على النسغ الصاعد بين الحكاية والقصة، ويكتب نصاً جديداً يحتفظ بتألقهما معاً.

ويذكر أنّ بعض الكتاب الذين تابع كتاباتهم، حاولوا أثناء تجديدهم الحكاية أن يقرّبوها من روح العصر مع الحفاظ على هيكلها القديم، خاصة الحفاظ على الفكرة والحكائية والحافز مع التصرف بالخاتمة فقط.

ويختمُ الباحث دراسته مؤكداً أنّ توظيف الكتاب للتراث الشفوي والمدون يُعدّ مقياساً لتطوّر الفنّ القصصي، ودليلاً على الجهود التي بذلها هؤلاء الكتاب لتأصيل فنّ القصّة القصيرة، ولكن الشيء الذي افتقدته القصة الحكائية الطفلية هو عدم اتخاذ بعض الشخصيات التراثية رموزاً للشخصية العربية المعاصرة، كما فعلت الرّواية العربية في شرق الوطن ومغربه.

إنّ شخصيات الحكايات بأبعادها الإنسانية وملامحها تتشبّث بذهن الطفل القارئ، وتتركُ بصمة في خياله؛ لأنها شخصيات تتطوّر وتنمو، وهذا من شأنه أن يضع بين أيدينا فناً حكائياً عربياً جديداً، يعدّ امتداداً لحكايات أندرسون وتوم سوير. ويمكننا بمعالجة فنية معاصرة إعادة كتابة حكاياتنا الشعبية المتناثرة هنا وهناك، كما تمّ ذلك في حكايات سندباد وعلي بابا وعلاء الدين، والغاية من ذلك الاهتمام بالطفل، ومدّ جسور بين تراث أهله ويومه وغده، وتنمية شعوره بالانتماء إلى الأمة العربية.

نوابغ الفكر العربي

تاريخ سلسلة عريقة

إيهاب الملاح
مدير تحرير سلسلة «عالم التراث»
الصادرة عن معهد الشارقة للتراث

- 1 -

مازال تاريخ النشر العربي في المائة والخمسين سنة الأخيرة في حاجة إلى كتابة جديدة توثّق ظهوره وتطوره، وتسجل تاريخه، وتبرز محطات ازدهاره وتألقه في مراكز النشر العربي الكبرى آنذاك (القاهرة، بيروت، بغداد) منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر حتى الربع الأخير من القرن العشرين.

وفي ظني أنه لن تكتمل كتابة هذا التاريخ من دون التوقف تفصيلياً عند تاريخ دور النشر العربية التي ظهرت في تلك الفترة، وكذلك التأريخ لسلاسل النشر المتميزة التي لعبت أجل الأدوار وأهمها في الفترة ذاتها. في هذا المقال سنتوقف عند واحدة من هذه السلاسل الذهبية التي عرفها تراثنا القريب في حركة إنتاج الكتب ونشرها في القرن العشرين، على أن نتتبع المزيد منها فيما هو تالٍ من مقالات، بمشيئة الله.

- 2 -

في عام 1951، وبعد ثماني سنوات من صدور سلسلة «اقرأ» الشهيرة، وبعد ثلاث سنوات من صدور سلسلتها الرصينة «ذخائر العرب»، أصدرت دار المعارف سلسلتها المتميزة «نوابغ الفكر العربي» التي استهلها الراحل عباس محمود العقاد، بكتابه القيّم عن «ابن رشد».

جاءت هذه المجموعة الجديدة «لتقدم نوابغ الفكر العربي في جميع العصور، فهي تُعنى بالشعراء والكتّاب، كما تُعنى بالفلاسفة والحكماء، وتتناول أعلام اللغة والأدب والنقد، كما تتناول أعلام التاريخ. يكتب عنهم ويترجم لهم نوابغ الفكر العربي في العصر الحاضر، من كل قطر وبلد عربي.

وقد رأت دار المعارف أن تعهد في كل بحث من هذه البحوث إلى المختصين به وذوي الخبرة والدراية فيه، فيجولوا فيه ويتبعوه بباب واف للمختار من روائع المترجم له، مفسر المعاني مبين الأغراض» ، بحسب ما سجل محرر السلسلة على ظهر أغلفتها المتتابعة.

- 3 -

ومنذ الكتاب الأول وحتى الكتاب الأخير، جاءت كتب المجموعة كلها وفق تخطيط منهجي محدد يقوم على

قسمين؛ الأول يتضمن ثلاثة فصول متصلة؛ يعالج أولها العصر الذي ظهرت فيه الشخصية بأركانه الأساسية: الحياة السياسية، والحياة الاجتماعية، والحياة العقلية والثقافية.

ويأتي الفصل الثاني ليعالج تفصيلاً سيرة العلم المترجَم له، وأبرز المحطات التي ألمت به، والتفاصيل المهمة في حياته، والروافد الفكرية والثقافية التي استقى منها معارفه وشكلت شخصيته، ولعبت أثرها في نتاجه الفكري والأدبي. وأخيراً يأتي الفصل الثالث ليقدم دراسة مكثفة وعميقة، وموجزة في الآن ذاته، لأهم إسهامات تلك الشخصية في مجالها المعرفي أو الحقل الذي برزت فيه وتميزت من خلاله.

بينما القسم الثاني، الذي يحتل تقريباً نصف الكتاب، فمخصص بكامله لمنتخبات ومختارات من أعمال الشخصية المترجم لها؛ فإذا كان فيلسوفاً أورد مؤلف الكتاب قِطعاً مختارة من نصوصه ومؤلفاته؛ ليكشف عن لغته وأسلوبه وطبيعة أفكاره والقضايا الأساسية التي شكلت فلسفته ومجمل آرائه. وإذا كان شاعراً، أورد مؤلف الكتاب نماذج من شعره تعرض للأغراض التي تناولها وعالجها، وتكشف في الوقت ذاته عن خصائص أسلوبه الشعري وجمالياته بشكل عام. وإذا

كان مؤرخاً تكون المنتخبات في هذه الحال صورة من كتابته التاريخية ومنهجه ورؤيته للأحداث التي عالجها في كتبه وأعماله.. إلخ.

ورغم كثافة المادة وعمقها وما تقدمه من معلومات مهمة وغزيرة عن الشخصية التي تتناولها السلسلة، جاءت في عددٍ محدود من الصفحات لا يتجاوز مائة وعشرين صفحة، قد تقلّ في بعض الأحيان، وقد تزيد بصفحات قليلة، لكنها لا تخرج عن متوسط عدد الصفحات المشار إليه، بحيث يكون الكتاب في النهاية عبارة عن «رسالة مكثفة» ودسمة وفي حيز محدود من الصفحات عن هذه الشخصية أو تلك، تقدم معرفة وافرة للقارئ العام أو المبتدئ تكفيه وتغنيه عن البحث في شتات الكتب والمصادر، وفي الوقت ذاته تكون مفتاحاً ومدخلاً ممتازاً للقارئ المتخصص والباحث عن المزيد في هذا الموضوع لينطلق منه إلى كتب أكبر وأوسع.

وتميز الشكل الطباعي والإخراجي لكتب سلسلة «نوابغ الفكر العربي» من الكتاب الأول وحتى الكتاب الأخير، فجاء القطع مميزاً بين القطع الكبير والقطع الصغير (مقاس 22 سم طولاً في 14 سم عرضاً) وهو ما يماثل حالياً قطع الروايات في وقتنا الراهن، أما تصميم الغلاف فكان بسيطاً غاية البساطة، بلونٍ واحد يتوسطه مستطيل أبيض أنيق يحتوي على اسم الشخصية المترجم لها مرسوماً بخط الرقعة، وتحته بخط النسخ اسم مؤلف الكتاب مسبوقا بكلمة «بقلم».

- 4 -

صدر من سلسلة «نوابغ الفكر العربي» واحد وأربعون كتاباً، غطت شخصيات وأعلاماً نبغت في تاريخنا العربي، قديماً وحديثاً، في الأدب والشعر والنقد والتاريخ والفلسفة، والفكر الحديث، والنهضة الأدبية، والصحافة.. إلخ.

وكما شأن كل إصدارات دار المعارف في تلك الفترة الزاهرة، استقبلت كتب السلسلة استقبالاً جميلاً وحافلاً، وأقبل عليها القراء من جميع أنحاء الوطن العربي، وتعددت طبعات أغلب كتبها لتجاوز العشر في غير قليل من العناوين، ولقيمة كتب السلسلة وبراعة مؤلفيها، وحسن صنيعهم، لا تكاد تخلو مؤسسة أكاديمية أو مكتبة جامعية أو مكتبة علمية في التخصصات الإنسانية من أعدادها جميعاً أو على الأقل معظمها، وبالأخص منها تلك التي تناولت أعلاماً ذوي خصوصية في التراث العربي؛ مثل «ابن المقفع»، «الجاحظ»، «التوحيدي»، «المتنبي»، «ابن زيدون».. إلخ.

كانت سياسة القائمين على السلسلة ، تقوم على اختيار مؤلفي هذه الكتب بعناية فائقة، ووفق المخطط الذي

أوضحناه، وغالباً ما كانت الدار تقوم بإسناد الكتابة عن شخصية معينة من «نوابغ الفكر العربي» إلى مؤلف معاصر بذاته عرف عنه التخصص أو الاشتغال في مشروعه العلمي على تلك الشخصية. أغلب كتب السلسلة اضطلع بها أكاديميون متخصصون نابغون أيضاً، التزموا بالشروط العامة لها، وقدموا كتبهم عن نوابغ الفكر العربي وفق هذا الشرط لا يغادرونه ولا يحيدون عنه، ومنهم من عكف خصيصاً للكتابة عن شخصية أو علم بعد تكليف دار المعارف لهم بالكتابة عنها.

- 5 -

ونستطيع القول إن مجموعة «نوابغ الفكر العربي» قد شكلت في مُجملها مكتبة كاملة ومتكاملة في السير والتراجم، ووفرت لمطالعها معرفة واسعة وعميقة ودسمة عن أي شخصية من الشخصيات التي تناولتها، وكذلك مثلت واحدة من أهم المصادر لكل طلاب القراءة في التراجم والسير على العموم، وتاريخ الفكر والثقافة العربية بصفة خاصة.

إجمالاً، يمكن تقسيم الشخصيات التي تناولتها «نوابغ الفكر العربي» إلى مجموعات صغيرة عدة، تشتمل تحتها على عدد من الأعلام جمع بينهم تخصص واحد أو فن واحد، ففي مجال الأدب والكتابة والشعر، سيجد قارئ السلسلة كتباً عن «الجاحظ»، و«بشار بن برد»، و«بديع الزمان الهمذاني»، و«أبو الفرج الأصفهاني»، و«ابن الرومي»، و«المتنبي»، والبحتري»، و«الفرزدق»، و«جرير»، و«أبي حيان التوحيدي»... وغيرهم من أعلام الأدب العربي، شعراً ونثراً، في عصوره الأولى.

كما سيجد كتباً عن «ابن رشد»، و«الفارابي»، و«ابن سينا»، و«إخوان الصفا» من أعلام الفلاسفة المسلمين، ومن المؤرخين: «المسعودي» مثلاً صاحب كتاب «مروج الذهب ومعادن الجوهر»، ومن اللغويين والبلاغيين: «ضياء الدين ابن الأثير»، و«ابن رشيق القيراوني»، و«القاضي الجرجاني»، و«تقي الدين ابن حجة الحموي»، و«صفي الدين الحلي»، وآخرين.

وكذلك سيجد قارئ السلسلة كتباً عن عددٍ غير قليل من أبرز وأشهر أعلام النهضة الأدبية الحديثة في مطالع القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين؛ مثل: «محمود سامي البارودي»، «الشيخ ناصيف اليازجي»، «الشيخ إبراهيم اليازجي»، «عبدالرحمن الكواكبي»، «رفاعة رافع الطهطاوي»، «خليل مطران»، «ولي الدين يكن»، «جمال الدين الأفغاني»، «قاسم أمين»، «يعقوب صروف»، «أمين الريحاني»، و«حسن العطار»...

(وللحديث بقية)

الثقافة الشعبية والتراث الثقافي

محمد محمد علي
باحث- موريتانيا

قبل الدخول في موضوع الثقافة الشعبية والتراث الشعبي، ينبغي تعريف الثقافة بشكل عام، والثقافة الشعبية والتراث الشعبي بشكل خاص، دون الخوض في الجدل المثار حول هذه التعريفات. يُعرِّف إعلان مكسيكو بشأن السياسات الثقافية 1982م الثقافة بأنها: «جميع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعاً بعينه أو فئة اجتماعية، وتشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة والحقوق الأساسية للإنسان ونظم القيم المدنية والتقاليد والمعتقدات».

وتعرِّف اتفاقية اليونسكو لصون التراث الثقافي غير المادي (2003م) هذا النوع من التراث بأنه: «الممارسات والتصورات وأشكال التعبير والمعارف والمهارات – وما يرتبط بها من آلات وقطع ومصنوعات وأماكن ثقافية – التي تعتبرها الجماعات والمجموعات، وأحياناً الأفراد، جزءاً من تراثهم الثقافي».

أمَّا الثقافة الشعبية، فهي باختصار «مجموعة الممارسات والمعتقدات والموضوعات التي تُجسّد أكثر المعاني تداوُلاً في النظام الاجتماعي»[1]. والتراث الشعبي هو الجزء الأهم

في الثقافة الشعبية[2]؛ هو ذلك الجزء منها الذي ثَوَى في الماضي، وإن ظلَّ حيّاً يُتداوَل في الحاضر. والثقافة الشعبية جزءٌ من الثقافة بمفهومها الشامل، ولكن ليس من السهل أحياناً رسمَ حدود واضحة ودقيقة بين هذه المجالات الثلاثة. ويتداخل أيضاً مفهوم الثقافة الشعبية مع مفاهيم أخرى كالثقافة الجماهيرية والثقافة التقليدية، فالأدبيات الفرنكفونية تُضفي أحياناً على الثقافة الشعبية صفة الثقافة الجماهيرية أو الثقافة العُمَّالية[3]. وقد ظلت مصطلحات مثل الفولكلور والتراث الشعبي والثقافة التقليدية متداولة إلى أن اعتمدت اليونسكو 1989م، الاتفاقية الدولية للتراث الثقافي غير المادي، فأصبح «التراث الثقافي» أكثرَ شُيوعاً.

ومن الناحية التاريخية، ظهر مصطلح الثقافة الشعبية في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، حين بدأ الباحثون يهتمون بهذا الجانب من الثقافة[4]. صحيح أن الطبقات النافذة في المجتمع كانت دائماً تُبدي اهتماماً بثقافة الجماهير قصدَ التسلية والمتعة، ولكن في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر الميلاديين – حين أخذت علاقات العمل والقوة تتأزَّم بين الطبقات المهيمِنة والطبقات المهمَّشة تحت تأثير التصنيع والتَّقَرِّي وظهور الطبقة الصناعية العاملة في المدن – بدأ كثير من المفكرين الغربيين يهتمون بثقافة «الجماهير» أو الثقافة الشعبية، وأصبحت الطبقات المتوسطة والراقية في المجتمع تهتم بإنتاج الطبقات الشعبية من حكاياتٍ وقِصصٍ وأغانٍ ورقصٍ... إلخ[5].

والثقافة الشعبية والتراث الثقافي يندرجان ضمن الثقافة الرفيعة (أو هذا ما ينبغي)، عكس ما يعتقد بعض النقاد الذين أطلقوا على الثقافة الشعبية أوصافاً ازدرائية، مثل الثقافة العامية أو الجماهيرية، مقابل ما يرونه ثقافة رفيعة أو ثقافة عالِمة. بل وصف بعضهم الثقافة الشعبية بأنها «الثقافة المتبقية بعد أن قرَّرنا ما هو ثقافة رفيعة»[6]؛ أي أنَّ الثقافة الشعبية هي تلك العناصر من الثقافة التي ترسب في القاع بعد استخلاص العناصر الحيّة الثمينة!

ومن شأن نظرة أو موقف كهذا أن يَحطَّ من قيمة الثقافة الشعبية عامة، والتراث الشعبي خاصة، بوصفهما مُفتقرَينِ إلى معيار الرقي والإبداع الرفيع، وهذا مُجانِبٌ للصواب، فالتراث الشعبي إبداع رفيع

يوازي جميع أنماط التراث الأخرى. والثقافة الرفيعة نفسها تَستلهم التراث الشعبي وتعتمد عليه في كثير من الأحيان، فهل كثيرٌ من روائع وليام شكسبير مثل «هملت» و«تاجر البندقية»، على سبيل المثال، إلا إبداعاتٌ مستلهَمة من التراث الشعبي وقائمة عليه؟

التراث الشعبي - إذن - إبداعٌ جماعي؛ ذلك أن مبدعين في الماضي أبدعوه ثم تلقَّته الأجيال اللاحقة بالاستحسان والتداول والتواتر. فالتداوُل يعكس أهميته الراهنة في حياة المجتمع وسلوكه وقيمه، أما التواتُر فيمنحه قيمته التاريخية والاستمرار عبر الأزمنة المختلفة. وكل جيل يُؤوِّل ويُفسر تراثه وفق رؤيته الفكرية والثقافية بما ينسجم مع التطور الزمني والعلمي الذي يعيش فيه. فجيل التكنولوجيا الرقمية ومحطات التواصُل الاجتماعي لن ينظر إلى التراث الشعبي نظرة أجداده إليه؛ بل سيمنحه دلالات وتأويلات جديدة، تناسب عصره وذوقه ومداركه العلمية، لكنه مع ذلك لن يستطيع الاستغناء عنه مهما بلغ من تطوُّر علمي وتقني.

والتراث الشعبي لا ينتقل عن طريق الوِراثة، كما تَنتقل زُرقَةُ العينين أو شَكْلُ الشَّعَر أو لونُ البشرة أو غير ذلك من السمات البيولوجية، بل إنَّ توريثه يكون بالاكتساب والتعلُّم. فكلُّ جيل يُعلِّمه للجيل الذي بعده وهكذا. والتراث الشعبي حين ينتقل من جيل إلى آخر - مثل غيره مِن عَناصر ومُكوِّنات الثقافة المختلفة - يتحوَّر ويَتطوَّر وَفق تطوُّر كل جيل ورُؤيته لعالَمه الذي يعيش فيه. فالمجتمعات المغلقة أو المعزولة التي لا تَتَّصِل بغيرها، ولا تكتسب خبرات بتفاعلاتها مع المجتمعات الأخرى هي وحدَها التي يمكننا أن نتصور فيها وجودَ تراث جامد بالصيغ والتأويلات نفسها. لكن مجتمعات كهذه لا يتصور وجودُها - لاسيما في عصرنا الحالي - إلا في الذهن؛ لأن المجتمعات المختلفة تتفاعل وتتلاقى منذ قديم الزمان حتى اليوم، فالاتصالُ بين الحضارات أو الثقافات والتأثيرات المتبادلة بينها قانونٌ كوني لا يُمكِن دَفْعُه، ولاسيما في عصر التقنيات الرقمية. صحيح أنَّ وسائل الاتِّصال والتواصُل كانت أصعبَ وأبطأَ في المجتمعات القديمة، لكنها رغم ذلك كانت موجودة، وكانت الثقافة الشعبية (والتراث الشعبي جزء منها)، تنتشر وتنتقل عبر مساحات شاسعة من العالم.

ولا يُتصوَّر الآن في الواقع وجودُ مجتمع معزول تمام العزلة عن بقية العالم؛ لذلك فإن التراث الشعبي رغم أنه يَتَّسم بقدر من الثبات والاستقرار على هشاشته، فإن ذلك لا يعني أنه لا يَتطوَّر بتطور المجتمعات التي تحتضنه. فالمجتمعات التي نَصِفها اليوم بأنها معزولة في أقاصي إفريقيا وآسيا وأمريكا ليست معزولة تمام العزلة. ربما تكون قبيلة «السانتينليز» التي تعيش في جزيرة «نورث سانتينل» بالمحيط الهندي استثناءً، فهي لا ترفض الاتصال بالعالم الخارجي فحسبُ، ولكنها تحارب كل غريب بالسِّهام والنِّبَال أيضاً. لكن إذَا كان يُظَنُّ أنَّ التراث الشعبي لقبيلة «السانتينليز» ظل كما هو تقريباً منذ آلاف السنين، فإننا مع ذلك لا يمكن أن نستبعد تسرُّب بعض الأنماط الثقافية من حضارات أخرى أو حضارتنا المعاصرة إلى هذه القبيلة.

واليوم، فإن التكنولوجيا الرقمية غَزَت العالم كلَّه، فلا

نكاد نرى مجتمعات أو أفراداً لا يستخدمون وسائل التواصل الاجتماعي والهاتف الذكي، وهذا ما ينعكس على تصوراتهم ورُؤاهم للعالم ويُؤثِّر في رؤيتهم تراثهم وثقافتهم الشعبية. لذلك لَحَظَ ريموند وليامز (ت 1988م) في كتابه «الثقافة والمجتمع»: «أننا نعيش في ثقافة تتوسع»[7].

وتكمن أهمية التراث الشعبي في حفظ هُويَّة المجتمع، ورفد النظام الاجتماعي برباط قوي من الانسجام، وتعزيز روح الانتماء، واستلهام القيم الحية التي تُنمِّي الإبداع والابتكار. ويسهم التراث الشعبي أيضاً في تعزيز حوار الثقافات والتسامح والاحترام المتبادل بين الأمم والشعوب، وهي قيم تسعى دولة الإمارات لتعزيزها ونشرها.

إن الثقافة بالمفهوم العام (والثقافة الشعبية جزءٌ منها) عملية نشطة؛ أي أنها لا تبقى راقدة تنتظر مَن يُوقظها، بل هي ممارسة صنع وإنتاج المعنى[8]. فالثقافات تنتج شبكات من المعاني المشتركة والمتضاربة في وقت واحد؛ بمعنى أنها هي الساحات التي تتصارع وتتحالف فيها رُؤى مختلفةٌ لفهم العالَم وتشكيله[9].

ونخلص من هذا إلى أن الثقافة الشعبية والتراث الشعبي يربطهما بُعْدَا المكانِ والزمان، إذ تتحرك الثقافة الشعبية في البعد المكاني، ويثوي التراث الشعبي في البعد الزماني (الماضي)، إن جاز التعبير؛ فالثقافة الشعبية هي ما يُنتجِه المجتمع، والتراث هو مَا يَرثه. والذاكرة الشعبية ذكية في حفظ عناصر التراث الحية التي تميز هوية المجتمع، ونسيان العناصر التي لا تصلح للبقاء؛ لذلك تحرص الأمم على صون تراثها الشعبي ليبقى حيّاً يُمارَس. فانظر إلى اليابان والإمارات العربية مثلاً، فهما حريصتان على صون تراثهما الشعبي، إذ من دونه لن تجد فيهما إلا ناطحات السحاب والسيارات الفخمة والطائرات والمطارات والموانئ والشوارع الفسيحة التي توجد في غيرهما.

ورغم اختصاص الثقافة بطرائق الحياة اليومية، واختصاص التراث بالماضي، فهما متصلان بفضل خاصيتي التداوُل والتواتُر. فالثقافة الشعبية تمد جذورها إلى الماضي، وتحمل بذور المستقبل.

1- ينظر الموقع: https://www.oxfordbibliographies.com/view/document/obo-9780199756384/obo-9780199756384-0193.xml#:~:text=Popular%20culture%20is%20the%20set,linguistic%20conventions%2C%20among%20other%20things (تاريخ الاطلاع: 12 / 21 / 2020).

2- كناعنة، شريف، دراسات في الثقافة والتراث والهوية، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، رام الله، 2011، ص 46، متاح عند الرابط: file:///C:/Users/ThinkPad/Desktop/culture%20&%20Haritage/ShareefKananeh.pdf (تاريخ الاطلاع: 13/ 12/ 2021م).

3- سعيد أراق، «الثقافة الشعبية، النسق والوظيفة والخطاب»، مجلة «الثقافة الشعبية»، العدد: 28 / السنة 8 - شتاء 2015م.

4- يُنظر: Storey, John, Inventing Culture: From Folklore to Globalization, Blackwell Publishing, USA, 2003, p. 1

5- Ibid., p. 1

6- ستوري، جون، النظرية الثقافية والثقافة الشعبية، ترجمة الدكتور صالح خليل أبو أصبع والدكتور فاروق منصور، هيئة أبوظبي للثقافة والسياحة «كلمة»، ط 1، أبوظبي، ص 22.

7- نقلاً عن: Storey, John, Inventing Culture, op. cit. p. xii

8- يُنظَر: Storey, John, Inventing Culture: From Folklore to Globalization, Blackwell Publishing, USA, 2003, p. ix-x

9- نفسه، ص x.

روبوتات الخدمة وتطبيقاتها في التراث الثقافي

إن إدخال تقنيات جديدة لتعزيز تجربة زيارة المتاحف، ليس بالأمر الجديد، وفي الوقت الحالي كانت هناك ضرورة لتوفير مجموعة كبيرة ومتنوعة من الأنظمة التفاعلية، بما في ذلك الجولات الافتراضية، ومؤخراً روبوتات الخدمة Service Robots، وذلك لزيادة إمكانية الوصول للمتاحف والقاعات التي يتعذر الوصول إليها في المتاحف.

د. ربيع أحمد سيد أحمد
أستاذ الآثار الإسلامية المُساعد،
كلية الآثار، جامعة الفيوم، مصر

تقنية الفانوس السحري في المتاحف:

في القرن السابع عشر الميلادي، كان يتم استخدام تقنية الفانوس السحري في أقدم نماذج المتاحف (وهذه التقنية كانت نظام عرض في السينما أيضاً). وكان هذا الأمر لجعل زيارة المتاحف أكثر جاذبية ومُتعة.

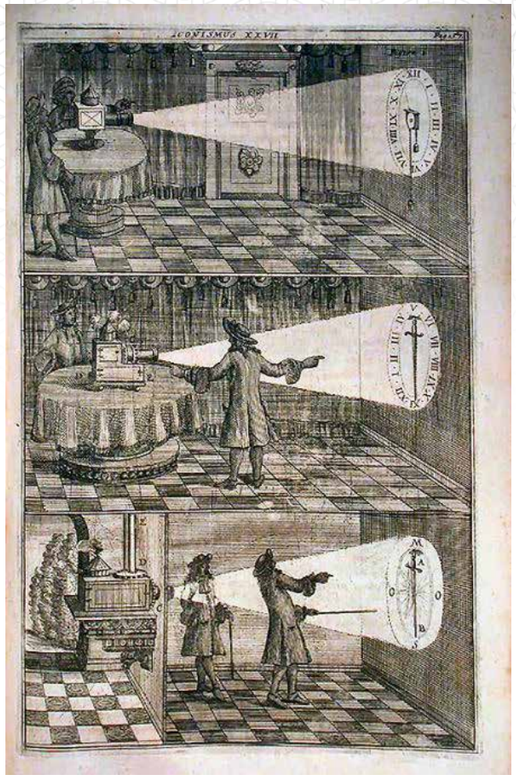

تقنية الفانوس السحري في المتاحف

تقنيات الوسائط المُتعددة في المتاحف:

في الوقت الحاضر، وبعد نحو ثلاثة قرون، تم استحداث تقنيات علمية تكنولوجية حديثة، تُمكن الزوار من التفاعل مع مقتنيات المتاحف عبر أنظمة وتقنيات الوسائط المُتعددة مثل (الإسقاط، الهولوغرام، التطبيقات، الروبوتات... إلخ)، وذلك إما في المتحف أو الموقع التراثي، أو عن بُعد. ولاشك في أن هذه التقنيات والوسائل تُساعد على توسيع نطاق الوصول للمتاحف مع مراعاة الاتفاقيات والقوانين الخاصة بالتراث الثقافي، كما بدأ الإعلان الأول للجنة فرانشيسكي الإيطالية (1967م) «إن إجراءات الحفاظ على التراث الثقافي والدفاع عنه وتعزيزه، كلها مبنية على الوظيفة الاجتماعية، ويتحقق ذلك طالما أنه الاستخدام الأكثر شمولاً مضموناً».

وقد تم التوجه في المتاحف لزيادة الجولات الافتراضية، وذلك لسهولة الوصول لها على نطاقٍ واسعٍ، وتهدف الجولات الافتراضية في المتاحف لجعل التراث الثقافي مرئياً للأنشطة الثقافية البعيدة مثل الدراسة والبحث، وذلك لتشجيع الناس على زيارات المتاحف، ومنحهم معاينة الموقع، والمثال الأكثر شيوعاً لذلك مستودع متاحف رقمية من جميع أنحاء العالم، من خلال الويب Google Art Project. ويُمكن للأشخاص التنقل بشكل مستقل في بيئات واقعية تُعيد إنتاج المعارض والمتاحف الشهيرة التي تجمع بين النمذجة ثلاثية الأبعاد، والصور عالية الدقة، ومن الممكن من خلالها عرض الأعمال الفنية، وتكبير حجم الصورة، ومُعاينة أدق التفاصيل فيها، حتى التي لا يُمكن اكتشافها بالعين البشرية المجردة.

معايير تقييم تجربة خدمات التكنولوجيا بالمتاحف:

ويُمكن معرفة الأنماط المختلفة للجولة الافتراضية على أساس التوجه التكنولوجي، وكل واحدة تُقدم وظيفة مختلفة. وتحديد فعالية التكنولوجيا المُطبقة، وقابلية الاستخدام، وما يترتب على استخدام الخدمة، ويتم ذلك عن طريق تقييم قابلية الاستخدام لهذه الخدمة، وذلك لتقييم جودتها وفق معايير الجودة (الأيزو 9241)، والتي تتعلق بقابلية الاستخدام والمُتطلبات المُريحة للواجهات، ويعتمد تقييم الخدمة بشكل أساسي على خمسة معايير، هي: سهولة التعلم، وكفاءة الاستخدام، وسهولة التذكر، وقِلة الأخطاء في الإنتاج أو المحتوى، ومُتعة الاستخدام.

وتكمن فعالية المتحف الافتراضي في قُدرته على تزويد الزائرين بتجربة غنية بالميزات، والأهم من ذلك القدرة على التخيل، وإمكانية التنقل، والتفاعلية والسرد، وهو ما يجعل الزوار يستكشفون المتحف الافتراضي بحرية، واختيار متى وأين يتعمقون؟ في حين أن الجودة المنخفضة للبيئة المعروضة تُؤدي لفك الارتباط بالمكان.

استخدامات الروبوتات داخل المتاحف:

تم استخدام الروبوتات بشكل أساسي بثلاث طرق، هي: دليل المتحف، والوجود عن بُعد، والتركيب، وفئة دليل المتاحف هي الأكثر شيوعاً، وتتضمن تطبيقات من جميع أنحاء العالم، وتتميز الروبوتات بالقدرة على التنقل الذاتي، واكتشاف العوائق، والتفاعل اللفظي مع الزوار لوصف محتويات المتحف. وفي عام 1998م تم استخدام الروبوت في متحف كارنيجي للتاريخ الطبيعي في بيتسبرغ في فنزويلا (الروبوت شيبس Chips، والروبوت ساجي Sage)، وكان ذلك لمرافقة الزوار في قاعة الديناصورات، وإعطاء المعلومات السمعية والبصرية حول هذا الموضوع كخطاب سردي أحادي الاتجاه.

قاعة الديناصورات المُبكرة، متحف كارنيجي للتاريخ الطبيعي

روبوت ساجي Sage، متحف كارنيجي للتاريخ الطبيعي

الروبوت مينيرفا في المتحف الوطني للتاريخ الأمريكي:

كما تم تقديم الروبوت مينيرفا في المتحف الوطني للتاريخ الأمريكي، التابع لمؤسسة سميثسونيان، والذي قدم جولات لعشرات الآلاف من الزوار للمتحف، وقد تم تجهيز هذا الروبوت برأس متحرك قادر على إنتاج تعابير الوجه، وإيصال حالته العاطفية المُحددة وفقاً لسلوك الناس، وقد أدت هذه المهارات التعبيرية لتحسين جاذبية الروبوت والفعالية في التوجيه.

روبوت مينيرفا Minerva، المتحف الوطني للتاريخ الأمريكي

روبوت سيسي cice Robot، المتحف الأثري في أجريجنتو إيطاليا، عن:

كما تم التغلب على مشكلة الخطاب السردي الأحادي، والسماح للزائرين بطرح أسئلة، وذلك في روبوت سيسي cice Robot، والذي تم اختياره في المتحف الأثري في أجريجنتو بإيطاليا، وهذا الروبوت يُحسن ضبط الكلام، ويُنظم الإجابة، كما تم توفير الهندسة المعرفية للروبوت لوحدة دلالية تقوم بتصفية المعلومات التي يتم تلقيها من أسئلة الزوار.

روبوت سيسي cice Robot، المتحف الأثري في أجريجنتو إيطاليا

الروبوت أسيمو في المتحف الوطني للعلوم الناشئة والابتكار باليابان:

تم اختبار الروبوت أسيمو Asimo كدليل في المتحف الوطني للعلوم الناشئة والابتكار باليابان، وهو الروبوت الأكثر تقدماً في العالم، وكان الغرض الرئيس التفاعل مع الزوار، غير أنه أضيفت له تقنية التفاعل مع مجموعة من الأشخاص، وفهم ما يطرحه الجمهور من أسئلة، كما أنه يقترح على الناس رفع يدهم عند السؤال. وتكون الروبوتات مُتصلة بالإنترنت، وتُتيح للزوار استكشاف المتحف عن بُعد، وهي منصة روبوتية مُتنقلة ومُزودة بشاشة وكاميرا.

كما تم تقديم الروبوت سيرو Csiro في المتحف الوطني الأسترالي، وذلك للسماح للأشخاص غير القادرين على الوصول إلى المتحف، خاصةً الطلاب من المناطق الريفية في أستراليا أو كبار السن في دُور رعاية المُسنين لزيارته المتحف في أي وقت.

الروبوت نوريو في المركز الوطني للآثار بفرنسا:

تم تصميم الروبوت نوريو Norio، وذلك للسماح للأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة، وتم استخدام الروبوت في المركز الوطني للآثار بفرنسا، بالطابق الأرضي، وتُوجد قمرة قيادة يُمكن للزائر من خلالها عبر جهاز الكمبيوتر التحكم في الروبوت عن بُعد.

روبوت Norio، المركز الوطني للآثار بفرنسا

الروبوتات في متحف تيت ليلاً (تقنية عقب حلول الظلام):

كما تجلت تقنية وعبقرية استخدام الروبوتات في مشروع تم في متحف تيت بلندن، تحت مُسمى «عقب حلول الظلام» After Dark، ويتمثل المشروع في السماح للجمهور باستكشاف غرف المتحف أثناء الليل، واستغلال

تقنية After Dark، بمتحف تيت بلندن

سحر وجمال المكان ليلاً، وقد تمت هذه التقنية عبر توصيل بعض الأشخاص بالروبوتات الأربعة الموجودة بالمتحف.

الروبوتات تُحقق فاعلية في الاستخدام:

تُحقق الروبوتات عن بُعد مستوى أعلى من كفاءة الاستخدام، والتفاعل سهل التعلم والتذكر، وذلك لأنها تعتمد واجهة وسيطة مألوفة للمستخدمين، ويتم التحكم في الروبوت من خلال جهاز كمبيوتر أو حاسب لوحي، وتكون تقنية التشغيل عن بُعد سهلة وميسورة، وهي الآلية التي اعتادها معظم الجمهور مُنذ الطفولة.

الروبوت فيرجيل وخدمة التراث الثقافي بقلعة راكونيجي بإيطاليا:

تُعد قلعة راكونيجي أحد مواقع التراث الثقافي المهمة في إيطاليا، وتقع في مدينة بيدمونت، وكانت تُسمى «فيلا المسرات»، وكانت قديماً مكان لقضاء الإجازات لعائلة سافوي الملكية. وتحتوي على تراث ثقافي مهم من (أعمال فنية، وقطع أثاث، وملابس، ومقتنيات فنية أخرى مهمة)، غير أنها قد تكون مُعرضة للتلف؛ لذا كانت هناك ضرورة لصون هذا التراث في بعض القاعات، وفي الوقت نفسه إتاحته للعرض للجمهور. وقديماً كانت بعض القاعات غير متاحة للزيارة حفاظاً على المقتنيات. فتم التغلب على هذه المشكلة، وإتاحة مشاهدة المقتنيات الفنية خلال الزيارات، وذلك عبر

روبوت فيرجيل

جولة افتراضية باستخدام روبوت فيرجيل Virgil، والذي تم من خلاله عرض المقتنيات الفنية الموجودة بالقاعات، التي كان يتعذر زيارتها. وبالتالي تم حل مُشكلة إتاحة التراث الثقافي للجمهور.

هل تُصبح الخدمة الروبوتية بديلاً عن الإنسان:

تُقدم الخدمة الروبوتية الجيدة مفهوم التعاون المشترك والوثيق بين الإنسان والروبوت، فالروبوت يتولى دور المُتعاون عن بُعد، والذي يستكشف المناطق التي يتعذر الوصول إليها، في حين يتولى الإنسان نشاط سرد القصص كدليل مهم في المتحف، ويُعد الحفاظ على نشاط سرد القصص والذي يُؤديه الإنسان كدليل للمتحف أمراً أساسياً، نظراً لحقيقة أن الإنسان فقط هو من يُمكنه تقديم الجانب التفسيري للسرد القصصي.

تصميم الروبوت:

يتكوّن الروبوت من منصة روبوتية متنقلة، مُزودة بكاميرا تُرسل فيديو يتم عرضه للزوار على شاشة مُخصصة أو على الأجهزة الشخصية الخاصة بهم، وتستند عملية تصميم الروبوت إلى مُتطلبات مُحددة عِدة، فيجب أن يكون الروبوت غير مُزعج، ومتجانس مع السياق الذي سيتم إدخاله فيه، مع ضمان وضوح أقصى قدر من المقتنيات الفنية المعروضة.

تقييم أداء الخدمة الروبوتية:

لتقييم هذه الخدمة نحتاج لجمع البيانات الأولية، وعمل تغذية راجعة feedback من قِبل المُستخدمين، كما تتطلب الخدمة تدريب أمين المتحف على التعامل مع الروبوت، كما أن عليه أن يُواصل النشاط المعتاد لشرح مقتنيات المتحف للزوار، والذي يتضمن بدورهِ تفاعلاً مباشراً مع الجمهور.

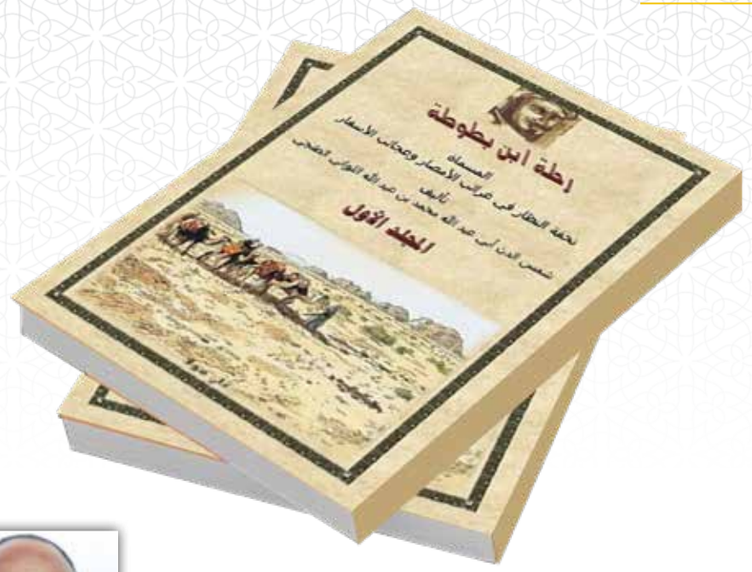

غرناطة في عيون ابن بطوطة

مولود محمد سوسي
كاتب – المغرب

لا يذكر تاريخ إسبانيا المسلمة، إلا ويقفز إلى الأذهان اسم «غرناطة» هذه الأخيرة التي حملت مشعل العلم والفن والمعرفة، وحملت لواء الجهاد ضد النصارى، بعد أن سقطت قواعد الأندلس، مثل طليطلة وقرطبة.. مما جعل حكام غرناطة، بني الأحمر (635-897هـ /1238-1492م)، محط اهتمام وتشجيع من طرف المسلمين، وكان الآلة المحركة لأقلام العلماء والرحالة والأدباء.. للكتابة عن غرناطة وعن جمالها وجهادها.

ومن بين هؤلاء الرحالة الكبير ابن بطوطة، الذي بز جميع الرحالة العرب والمسلمين القدماء، إذن، ما غرناطة في عيون ابن بطوطة من خلال رحلته الطويلة المسماة «تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأمصار».

قبل التعرّض إلى هذا الموضوع، يجدر بنا إعطاء ولو نبذة قصيرة عن حياة ابن بطوطة ورحلاته، وعن عصره، وعلاقة غرناطة بالقوى المجاورة لها.

أولاً) ابن بطوطة:

حياته ورحلاته وغرناطة في ق 8 هـ / 14 م

1. حياته:

هو أبو عبد الله ابراهيم اللواتي الطنجي، عرف أيضا ببلاد المشرق باسم «شمس الدين» ولد بطنجة يوم الاثنين 17 رجب 703[1]، 24 فبراير 1304م، نشأ بين

أهله وذويه في بسطة من العيش وطمأنينة بال، وشب في مسقط رأسه في محيط ديني، تعلم شيئاً من علوم الدين والفقه، لاسيما الفقه المالكي، ونحن لا نكاد نعلم شيئاً عن طفولته الأولى سوى لمحات خاطفة وردت في ثنايا رحلته السابقة الذكر، التي تشير إلى انشغال بعض أفراد أسرته في القضاء.

2- رحلاته:

قام ابن بطوطة بثلاث رحلات واسعة النطاق، جاب فيها معظم أجزاء العالم القديم المعروف، عدا القسم الأوروبي.

- الرحلة الأولى: 1325 إلى 1349م: قضى ابن بطوطة في هذه الرحلة 24 سنة، منطلقاً من موطنه طنجة قاصداً حج بيت الله الحرام، فمر بمراكش والجزائر وتونس وطرابلس الغرب ومصر، وساح في جزيرة العرب شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً، وتجوّل في أرجاء العراق وبلاد الشام والأناضول وأواسط بلاد الهند زمناً، ثم رحل إلى جنوبي الصين، وخلال هذه الرحلة الطويلة حج بيت الله الحرام ثلاث مرات.
- الرحلة الثانية: لما عاد ابن بطوطة إلى موطنه بعد غيبة قاربت الربع قرن، حن إلى السفر ثانية، فقام برحلة إلى الأندلس، فمر بطنجة وجبل طارق وغرناطة ثم عاد إلى فاس.
- الرحلة الثالثة: بعد أن استقر ابن بطوطة وقتاً قصيراً في فاس، حن مرة ثالثة إلى السفر، فعبر الصحراء الكبرى متجهاً إلى السودان الغربي، وظل يتجول في تلك الأنحاء مدة عامين، ومن هناك رجع إلى فاس عاصمة الدولة المرينية، وراح يقص على الناس أخبار رحلاته الطويلة، وما صادف خلالها من عجائب وغرائب.

3- غرناطة في القرن الـ8 هـ/ 14 م

قام ابن بطوطة برحلته إلى الأندلس أيام حكم الدولة المرينية للمغرب، خاصة أيام حكم أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبدالحق (731 هـ إلى 752 هـ)، وقد كان هدفه من هذه الرحلة المشاركة في الجهاد ضد المسيحيين في الأندلس[2].

حيث كانت غرناطة تعاني مضايقات وصعوبات من طرف القوى المجاورة: بنو مرين والمسيحيين: قشتالة وأراغون.

وفي إطار هذا الصراع على اكتساب النفوذ، فإن سياسة غرناطة كانت تتغير وتتبدل بكل حرص وحذر، حسب الظروف الخارجية المحيطة بها، فتارة تتقرب من قشتالة ضد المغرب، وتارة أخرى تتقرب من المغرب ضد قشتالة وأراغون، وتارة ثالثة تتقرب من ملوك أراغون ضد ملوك قشتالة أو العكس[3].

ثانياً: غرناطة في عيون ابن بطوطة:

إن الرجوع إلى المصادر والمراجع التي اهتمت بغرناطة، نجد أن المؤرخين والجغرافيين والشعراء والأدباء قدماء ومعاصرين، قد افتخروا بجمال غرناطة الفائق، فأبدوا جميعاً إعجابهم ببساتينها وجنانها ورياضها، فقد وصفها مسهب الحجازي قائلاً: «غرناطة وما أدراك ما غرناطة، حيث أدارت الجوزاء وشاحها، وعلق النجم أقراطه... »[4]. وابن بطوطة كغيره يناشد بجمال غرناطة بقوله « .. مدينة غرناطة قاعدة بلاد الأندلس، وعروس مدنها، وخارجها لا نظير له في الدنيا...»[5].

ويفهم من هذا النص، أن غرناطة كانت فعلاً قاعدة بلاد الأندلس، ومركز حكم بني الأحمر الذين عملوا جادين على الحرص على استقلالها ضد القوى المجاورة، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وأن غرناطة

كانت تتمتع بجمال طبيعي خلاب، من أنهار كنهر شنيل الذي أطنبت المصادر بذكر جماله، وبساتينها، وعيونها كعين الدمع التي كانت من المتنزهات المفتخر بها في غرناطة، وفي حقها قيل الكثير من شعر الأندلسيين، مثل شعر أبو البركات ابن الحاج البلفيقي، وهو شيخ لسان الدين بن الخطيب:

الأقل لعين الدمع يهمني بمقلتي لفرقة عين الدمع وقفا على الدم[6]

وبالرجوع إلى رحلة ابن بطوطة «تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار»، فإن ابن بطوطة قدم لنا وصفاً دقيقاً للمدن التي زارها، كمدن الشام والعراق والحجاز... وعرف عنه بلقائه السلاطين والملوك والأمراء ورجال الدين والشيوخ والأولياء...

إلا أن وصفه غرناطة كان وصفاً وجيزاً، وفي صفحات محدودة، إلا أن هذه الصفحات لا تخلو من قيمتها العلمية والتاريخية، فنجده يقيس أبعاد المسافات بين المناطق بالمقاييس المتداولة في ذلك الوقت، وهو الميل، فيذكر أن خارج غرناطة «مسيرة أربعين ميلاً»[7]، وبين غرناطة وجبل العقاب نحو «ثمانية أميال، وهو مجاور لمدينة ألبيرة»[8].

كما التقى ابن بطوطة جملة من فضلاء غرناطة من علماء مشهورين وبارزين في الأندلس، الذي تتلمذ عليهم جهابذة علماء الأندلس مثل: لسان الدين بن الخطيب، كما التقى رجال الدولة والسياسة..[9].

وكان لاجتماع ابن بطوطة في غرناطة بالعلماء في بستان أبي القاسم بن عاصم نقطة تحول كبيرة بالنسبة لهذا الرحالة، حيث سيلتقي مصادفة ابن جزي الذي كان سبباً في ظهوره... وثم التعرف إلى مولد ابن بطوطة من خلال سؤال ابن جزي لابن بطوطة عن مولده، فأجابه بأنه ولد بطنجة يوم الإثنين 17 رجب 703 هـ[10].

كما عرف ابن بطوطة بنزعته الدينية القوية، وهذه النزعة لعبت دوراً مهماً في رحلته التي تحفل بأنباء الشيوخ والمتصوفة والأولياء ورجال الدين وحكاياتهم[11].

وإلى جانب لقاء ابن بطوطة للعلماء ورجال الدين، فقد كشف النقاب عن حقيقة مهمة، كما علق على ذلك الدكتور عبدالهادي التازي، وتتمثل في وجود جالية إسلامية من خارج المنطقة تتعلق بطائفة من المسلمين الذين وردوا على الأندلس من جهات مختلفة من البلاد الإسلامية، كسمرقند وخراسان والهند... وأن هؤلاء استوطنوا الأندلس (غرناطة) لتشابهها مع بلادهم[12].

وهذا دليل أيضاً على أن الأمة الإسلامية في تلك الفترة تتمتع بروابط متينة، يتمتع فيها الأفراد والجماعات بالتعاطف والتعايش، وأن جميع البلاد الإسلامية مفتوحة للمسلمين جمعاء.

إن التجول بين صفحات رحلة ابن بطوطة، يجعلنا نقف على أن ابن بطوطة في كل بلد وصل إليها قام بلقاء السلطان أو الملك أو الأمير.

إلا أن ابن بطوطة منذ أن وطئت قدماه أرض الأندلس إلى رجوعه إلى المغرب، لم يذكر في رحلته سوى السلطان يوسف بن إسماعيل بن فرج أبي الحجاج (733- 755 هـ/ 1333 - 1345م) وتسلسل نسبه، ولم يذكر عنه شيئاً ماعدا ذكر اعتذار ملاقاة هذا السلطان لمرض حل به، وهذه الإشارة لا تتعدى ثلاثة أسطر[13].

ولم يقم ابن بطوطة بوصف سلاطين ابن الأحمر وإنجازاتهم المعمارية الكبيرة، كما عمل في وصفه لسلاطين الدول التي زارها.

ونخلص إلى القول: إن ابن بطوطة تناول الأندلس عامة، وغرناطة خاصة، بإيجاز شديد، وعلى الرغم من ذلك، فإن هذه الرحلة غنية بمعلوماتها القيمة. ومثلث هذه الرحلة للأندلس بالنسبة لرحالتنا نقلة مهمة في حياته، حيث ستكون سبب ظهوره على الساحة العلمية.

المصادر والمراجع

1. شمس الدين اللواتي الطنجي: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار: تحقيق عبدالهادي التازي، الرباط – المغرب – 1417هـ/1997م المجلد الأول ص 153.
2. ابن بطوطة: تحفة النظار المجلد 4 ص 211.
3. أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ص 243 و244.
4. ابن سعيد المغربي: نور الدين أبو الحسن علي بن موسى (ت685هـ/1286م) المغرب في حلى المغرب تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر 1964م ج2 ص 102.
5. ابن بطوطة، تحفة النظار: المجلد 4 ص220.
6. ابن بطوطة، تحفة النظار: الهوامش، المجلد 4 ص220.
7. ابن بطوطة، تحفة النظار: المجلد 4 ص220.
8. المجلد نفسه 4 ص221.
9. المجلد نفسه 4 ص223.
10. ابن بطوطة، تحفة النظار: المجلد 1 ص 13.
11. لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، دار الكتب العلمية: ج 3 ص 273.
12. ابن بطوطة، المجلد 4 ص227.
13. نفسه، المجلد 4 ص221.

المِزْوَحة المسْحُورة

شهرزاد العربي

كان «شان شاوو» شابّاً وسيماً، قويّ البنية، يقف يومه كله في دكان أبيه يساعده على بيع السمك، ورغم هذا كان الدَّخل قليلاً لا يكاد يكفي لسد جوع الأسرة، ولهذا لم يكن باستطاعة شان شاوو الزواج رغم إعجاب الفتيات به، اللاتي كن يواجهن رفض أهاليهن فكرة الارتباط بشاب معدم، ستذهب وسامته مع الوقت، ويبقى فقيراً لا يستطيع إعالة زوجته وأطفاله.

لكن والدته كانت دائماً تقول له:

ـ إنك لاتزال شابّاً، والفتيات معجبات بك.

وذات صباح جاء كبير الصيادين إلى والده وهو غاضب، وطالبه بسداد ما عليه من دين، وإلا فلن يزوّده بالسمك بعد اليوم، ولأن والد شان شاوو لم يكن معه شيئاً، فقد ترجَّى الدائن، إلا أن الأخير رفض إعطاءه سمكاً ليبيعه.

هنا تقدم شان شاوو من كبير الصيادين، وقال له:

ـ هل تقبل بي بحارّاً على مركبك نظير دينّ والدي؟

نظر كبير الصيادين إلى الفتى، فرأى بنيته القوية.. قبله على الفور، وطلب منه أن يأتيه في الفجر عند شاطئ البحر.

كانت رحلة الصيد التي خرج فيها شان شاوو رحلة مشؤومة، إذ هبّت عاصفة فحطَّمت المركب، وتشبث كل واحد بالحياة، وتمسك شان شاوو بأحد ألواح المركب المحطمة التي بعثرتها الأمواج هنا وهناك.

بعد ليلة مرهقة صارع فيها شان شاوو الموت المحقق، ألقت به الأمواج على جزيرة جميلة، وحين عاد إليه بعض قوته عاين المكان، فرأى على التّلة بيتاً جميلاً.

تحامل على نفسه حتى وصل إلى الباب، وبمجرد وصوله فُتح الباب من تلقاء نفسه، ليجد شاوو نفسه أمام فتاة جميلة، قالت له:

ـ أخيراً أتيت.. لقد انتظرتك كثيراً.

استغرب شان شاوو، وقال لها:

ـ لا أظن أنني قد رأيتك من قبل.

قالت الفتاة:

ـ ربما لم ترني من قبل، لكنني أعرفك منذ زمن بعيد.

وأخبرته أنها ابنة ملك البحر، وأنها كانت تأتي إلى بيته ليلاً لتتأمله وهو نائم.

ظنَّ شان شاوو أنه يحلم، لكنه عندما استيقظ في الصباح وجد الفتاة إلى جواره، وأكدت له أنه ليس في حلم، وأنها فعلاً ابنة ملك البحر، وأن هذه الجزيرة كانت قد طلبتها هدية من والدها لتستقبله فيها، ثم طلبت منه أن يظل مختبئاً وإلا قتله والدها.

أحبّ شان شاوو الفتاة كما أحبّته، وعاشا فترة سعداء جدّاً، وذات يوم قالت له:

إن اليوم عيد ميلاد عمتي، ويجب أن أكون موجودة، حتى لا أثير شكوك والدي.

شعر شان شاوو بالوحشة؛ لأنه لم يرد أن تتركه لحظة واحدة، فوعدته أنها ستعود مساء، ثم قالت له:

ـ إذا شعرت بالملل، يمكنك أن تفتح النافذة الشمالية أو الجنوبية أو الشرقية، لكن لا تحاول أبداً فتح النافذة الغربية!

بعد ذلك أعطته سيفاً مصنوعاً من اللؤلؤ، وقالت له:

ـ خُذْ هذا السيف المسحور، وإذا دهمك أي أحد، فما عليك سوى أن تقول: «أيها السيف المسحور اقطع رأس هذا الوحش»، وسيحميك هذا السيف من كل شرٍّ.

امتطت الأميرة حصانها المجنح، واختفت بين السحب، وبعد مدة بدأ شان شاوو يشعر بالملل، ففتح النافذة الشمالية، فرأى كل ما يوجد في العالم من جمال، ثم فتح النافذة الجنوبية فرأى كل طيور العالم، وقد اجتمعت عنده، ثم فتح النافذة الشرقية فرأى كل ثروات البحر.

كل هذه الروائع لم تستطع أن تنسيّه محبوبته وشغفه بها، ثم فتح النافذة الغربية، وقد نسي تحذير محبوبته له.

رأى شان شاوو كائنات بحرية غريبة على مركب غير بعيد من الجزيرة، ورأته الوحوش أيضاً؛ لأن السحر الذي كان يخفي الجزيرة قد زال مفعوله بفتح النافذة، فنزلت إلى الجزيرة للقضاء عليه، فتذكَّر السيف المسحور فصاح به:

ـ اقتل هذه الوحوش.

أما الأميرة التي كانت تحتفل بعيد ميلاد عمتها، فقد شعرت فجأة أن هناك خطراً أصاب شان شاوو، فامتقع لونها، وأحسَّت عمتها بذلك، فأعطتها مروحة سحرية، إذا هزَّتْها بقوة تهيّج أمواج البحر، وتحدث عاصفة كبيرة، فأخذتها وعادت مسرعة على ظهر حصانها المجنح إلى جزيرتها.

بعد أن قصَّ عليها شان شاوو ما كان من خرقه أمرها، سامحته على فعلته، ثم قالت له:

ـ علينا مغادرة الجزيرة في الحال؛ لأن والدي سيرسل من يقتصُّ لمقتل وحوشه.

وقبل أن يُغَادِرَا كانت آلاف من الكائنات البحرية تحاصر الجزيرة..

أراد شان شاوو أن يستسلم، لكن الفتاة منعته، وأخرجت المروحة السحرية وهزتها بقوة، فارتفعت الأمواج عالية، وأزاحت كل جنود ملك البحر، ثم قالت له:

ـ لِنَهْرِب الآن، لقد كسبنا المعركة، لكننا لم نكسب الحرب بعد.

وركبَا الحصان المجنح، واتَّجها إلى قرية شان شاوو، وفي الطريق قالت له:

ـ إذا عرف أبي أنك تزوجتني فلن يلاحقك.

فرد عليها شان شاوو:

ـ لكنني فقير معدم.

ابتسمت الفتاة، ثم نفضت شعرها، فتساقط منه اللؤلؤ والمرجان وكل ثروات البحر، ثم قالت:

ـ إذا لم يكن هذا كافياً، فسنطلب المزيد من والدي.

لكن شان شاوو رفض كل هذا، وآثر أن يعمل في دكان والده، وعندما ينقصهم السمك يخرج إلى البحر مع زوجته، التي كانت تغني أغنية عجيبة، فيجتمع حولها كثير من السمك، ويعود الزوج بالرزق الوفير.

وكانت بين الحين والحين تحرك المروحة، لتقول لعمَّتها أنها لاتزال تتذكرها وتشكرها على مساعدتها لتكون بجوار من أحبّت.

حضارات العصور الأولى في الغرب

وفاء داغستاني
كاتبة – سوريا

الحضارة الإغريقية

من العصر المبكر حتى القرن الخامس قبل الميلاد (1100 – 400 قبل الميلاد)،

بعد دراسة حضارتي مصر القديمة (وادي النيل) وبلاد الرافدين، نجد أن الحضارة المتقدمة التي تلتها في التسلسل التاريخي، والتي هي الحضارة الإغريقية، ظهرت في الغرب في جزر البحر المتوسط وسواحله الشرقية.

سكنت في هذه المنطقة شعوب وقبائل نزحت من المراعي المحيطة ببحر قزوين في آسيا الصغرى إلى شبه جزيرة البلقان وجزر بحر إيجة نحو عام 2000 قبل الميلاد، وفي عام 1000 قبل الميلاد، تم امتزاج هذه القبائل مع

بعضها، وأطلق على سكان بلاد اليونان والجزر المحيطة بها اسم الهيلانيين.

كان الإغريق في أول الأمر يعتمدون على الرعي، ولم تكن لهم حكومة، ومن ثم تعلّموا الزراعة، واستقروا في قرى، وخضعت كل قرية لرئيس، توسعت هذه القرى بالعمران، وأصبحت مدناً، وتكونت حكومات لهذه المدن، وكل مدينة كان لها جيشها وقوانينها وآلهتها.

وما سهّل على ذلك طبيعية البلاد في جعل كل مدينة دولة قائمة بحد ذاتها، قسمتها الجبال والوديان والخلجان إلى أجزاء منفصلة طبيعياً، واعتقد الإغريق أن لكل قوة من قوى الطبيعة إلهاً يوجهها، وجعلوا الآلهة على صورة البشر، وأهم هذه الآلهة: زيوس وأثينا وفينوس وإيزيس.....

كما اهتموا بالألعاب الرياضية الأولمبية والأدب والشعر والموسيقى.

تقسم الحضارة الإغريقية إلى قسمين: الأول حضارة بحر إيجة ومسينا.

أما القسم الآخر فهو حضارة بلاد اليونان نفسها، وتعرف بحضارة الإغريق.

أولاً- حضارة بحر إيجة (كريت ومسينا):

كشفت الحفريات في جزيرة كريت أواخر القرن العشرين، عن مدن في كريت ومسينا، فيها قصور وعمائر، كمدينة طروادة التي شيّدها الكريتيون في آسيا الصغرى.

إن حضارة بلاد اليونان كانت تسبق حضارة الإغريق، وترجع إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد، ومركزها كريت ومسينا.

الحضارة في كريت:

تميزت عمارتها بفن رفيع، وشيّدت في مدنها القصور، لكن هذه المدن لم تكن محصنة بأسوار، ما جعلها عرضة لهجوم قبائل الدوريون.

ومن هذه القصور: قصر الملك مينوس المبني من الحجارة، والذي يحتوي على عدد من الغرف ذات السقف المنخفض، وتقوم الأسقف على أعمدة ذات تيجان دورية، وزينت جدرانه بصور ملونة لحيوانات أسطورية.

يقوم طراز العمارة في هذا القصر على عدم التنظيم، من حيث وضع الغرف والدهاليز وفي مستويات الأرض.

ويتألف من طابق واحد في قسم منه، وطابقين في القسم الآخر، وتميز هذا القصر بطراز معماري متقدم من إنارة ووسائل لتصريف المياه.

الحضارة في مسينا:

انتقلت فنون العمارة من كريت إلى مسينا، مع اختلاف بسيط في الأسلوب التطبيقي، حيث استعان المسينيون بكتل حجرية ضخمة في تشييد عمائرهم، وقاموا بتحصين مدنهم بالأسوار.

ومن أبرز مكتشافات هذه المدينة هو أطلال قلعة مسينا .

أما عمارة المقابر الملكية، فقد بلغت شأناً عظيماً منذ عام 1300 قبل الميلاد، وهي تشبه مقابر المصريين في طيبة.

بقيت الحضارة الإيجية حتى القرن السادس قبل الميلاد، حين أغار عليها الدوريون من شمال البلقان، وأسسوا الحضارة الإغريقية على أنقاض هذه الحضارة.

ثانياً- الحضارة الإغريقية:

تعتبر الحضارة الإغريقية من أرقى الحضارات القديمة فكراً وسياسة وفناً، ظهرت هذه الحضارة شمال البحر المتوسط في موقع جغرافي متميز، ويحدها من الجنوب جزيرة كريت والبحر المتوسط، ومن الشرق بحر إيجة، ومن الغرب البحر الأيوني.

العوامل المؤثرة في الحضارة الإغريقية:

أولاً- من الناحية التاريخية:

كان الشعب الإغريقي في تلك الفترة يتكون من شعوب متفرقة عدة، تميز فيها فريقان: الأول الدوريون: وكان مركزهم في بلاد اليونان.

والأيونيون: استقروا في جزر بحر إيجة وساحل آسيا الصغرى الشرقي.

وبعد ذلك انتشر فريق من الإغريق إلى الجهة الغربية، وأسسوا مدناً في صقلية وجنوب إيطاليا، وكونوا ولايات مستقلّة لكل منها عاصمة وحكومة وجيش، مثل مدينة أثينا وكورتيا وأسبرطة.

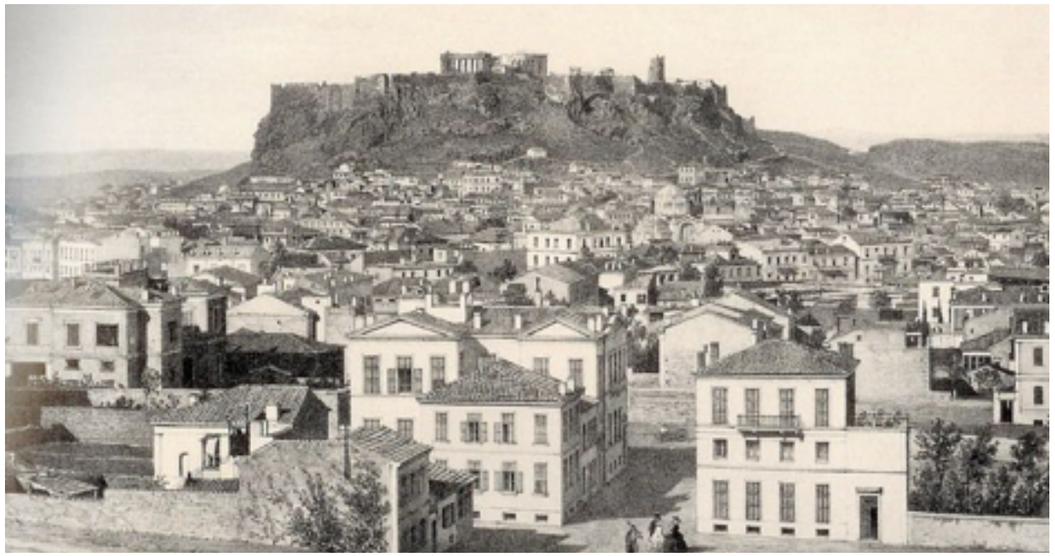

وكان رئيس الإغريق وقتها فيليب الثاني المقدوني، وبعد اغتياله عام 336 قبل الميلاد، حل مكانه ابنه الإسكندر المقدوني، وأصبح ملكاً على العالم الشرقي والغربي، ووحّد بين مصر واليونان، وامتدت الفتوحات إلى شمال الهند، حتى وصلت إلى آسيا الغربية.

ثانياً- المناخ:

تمتاز اليونان باعتدال مناخها، وصفاء جوّها، جمعت بين برودة الشمال، ودفء الجنوب، ما ساعد على ممارسة أعمالهم في الهواء الطلق، ومن هنا نشأ الاهتمام بالمباني العامة، إضافة إلى المعابد.

ثالثاً- عوامل جيولوجية:

تمتاز هذه البلاد بوجود الرخام والأحجار بكثرة، فاهتم الإغريق بجودة الأحجار للحصول على خطوط مستقيمة، وأسطح ملساء، فكانت هذه الظاهرة من أهم ميزات الحضارة الإغريقية في اليونان، بالإضافة إلى غنى غاباتها بالأشجار والأخشاب التي استخدموها في بناء الأسقف وأعتاب الأبواب والنوافذ، كما أضافوا طبقة من بياض الرخام إلى الجدران الحجرية للحصول على أسطح رخامية جميلة.

رابعاً- عوامل جغرافية:

إن شبه الجزيرة اليونانية محاط بالبحر من ثلاث جهات، امتدت الحضارة الإغريقية إلى جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا وآسيا الصغرى، وساعدت الجبال

الموجودة على تقسيم اليونان إلى مناطق نفوذ مختلفة.

خامساً- عوامل دينية:

كان الدين الإغريقي يعتمد على عبادة الأشخاص أو الظواهر الطبيعية، ولكل بلد عبادة معينة، وأعياد خاصة بها، وكان للدين تأثير كبير فيهم، وظهر بوضوح في معابدهم؛ لأنهم كانوا ينظرون للدين نظرة فلسفية عميقة،

وبسبب حب الإغريق للتوسع استطاعوا بناء العديد من المدن، وكانت مدنهم تتماشى مع حجم ونسب الإنسان، فهي صغيرة ساعدت كل مواطن ليكون له جزء في المشاركة في حياة المدينة، ومن فلاسفة ذاك العصر أرسطو، الذي وصف المدينة الكبيرة بأنها لا تستطيع توفير متطلبات الحياة لسكانها على الوجه الأمثل، ووصف صغر حجم المدينة بأنها تمكن السكان من سماع الخطيب في الأيغورا وكبيرة لدرجة تساعدهم على توفير أكبر عدد من المحاربين، وهو بذلك يعكس الفكر التخطيطي للإغريق السائد في ذلك العصر من أشهر مدنها مدينة أثينا:

ظهرت في الفترة 680 قبل الميلاد، سميت بمدينة الدولة تقع في الناحية الشرقية لأرض اليونان، نشأت دائرياً حول الأكروبولس ذات سور دائري يحيط بها، وله أبواب عدة للحماية.

ظهرت أثينا كقوة اقتصادية مسيطرة على اليونان، سكن فيها النبلاء والإقطاعيون والمزارعون والتجار والحرفيون والصناع والعبيد، ومن أشهر كتاب أثينا: أرسطو - أفلاطون - سقراط.

تنقسم المدينة إلى قسمين:

القسم الأول: يقع على التل، ويُعرف بالأكروبول أو المدينة العليا، والتي تعتبر حصناً للتل، بني حوله سور دفاعي لحماية المعابد الرئيسة وغيرها من المباني العامة.

أما القسم الثاني:

فقد بني أسفل القسم الأول، على منحدرات التلال التي استفاد منها الإغريق بإنشاء المسارح، ورابطوا بين القسمين بطريق متسع له درجات.

كان انعدام التخطيط في المدينة الإغريقية يعتبر وسيلة للدفاع عنها من اختراق العدو للسور الخارجي، ودعا أرسطو إلى تخطيط جزء من المدينة تخطيطاً هندسياً منتظماً، والجزء الآخر تخطيطاً عشوائياً، وبهذا يجمع بين الفن والجمال والأمن والأمان.

الأكروبولس في أثينا Acropolis

المدينة القديمة: تتكوّن من:

1- البارثينون parthinon المعبد الإغريقي القديم.

2- الأغورا Agora ومنطقة الإستوا Estoia (السوق القديم): الأيغورا هي عبارة عن ساحة السوق احتوت على المحال التجارية، وصالة اجتماعات، وقاعة الأنشطة، ومجلس المدينة، أما الإستوا فهي رواق من الأعمدة تحتوي على محال تجارية.

3- الأوديون (المسرح الصغير).

4- المسرح الكبير.

امتازت الحضارة الإغريقية في اجتذاب السكان من شتى أنحاء اليونان بوساطة ثلاث مؤسسات، هي:

المؤسسة الرياضية (الأولمبيا): بنيت عام 767 قبل الميلاد، حيث ابتكر الإغريق الألعاب الأولمبية التي كانت تقام كل أربع سنوات.

المؤسسة الدينية (دلفي).

المؤسسة الصحية (كروس).

وفي عهد الإسكندر الأكبر الذي كان مغرماً بإقامة المدن، وكان وقتها التخطيط الشبكي، حيث الشوارع خطوط مستقيمة ممتدة من الشمال للجنوب، ومن الشرق للغرب، بنى مدينة الإسكندرية في وقتها، وكانت عبارة عن قسمين، قسم عربي، والآخر إغريقي.

قدم لنا الإغريق بعض أروع مباني العالم القديم، التي أصبحت أساساً نشأت وفقه العديد من المدن بعدها، كالمعابد والمسارح والملاعب، وتميزت العمارة الإغريقية بطرزها الثلاثة، وهي النظام الدوري والنظام الأيوني والنظام الكورنثي، وتختلف عن أي عمارة سابقة من حيث دقة التفاصيل وجمال النسب وفق نظام هندسي دقيق في حساب الأبعاد والنسب، واستعملوا النسبة

الذهبية في عمارتهم، كما أكدوا التناظر التام، كما يظهر ذلك في معبد البارثينون.

مرت العمارة الإغريقية بثلاث مراحل، تميز كل منها بطراز معين، تمثل بالأعمدة والتيجان والنسب، إذ تختلف هذه الطرز في نسب قاعدة العمود إلى بدنه، وإلى التاج ونسبة قطر العمود إلى طوله، بالإضافة إلى الاختلاف في الزخرفة.

أقسام العمود:

1- القاعدة Stylobate.

2- العمود نفسه، ويسمى البدن Columns.

3- التاج Entablatrue.

أولاً- الطراز الدوري Doric:

يعد العمود الدوري أقدم طرز الأعمدة الإغريقية، وينسب إلى القبائل الدورية، ويتميز بالبساطة مع العظمة والمتانة، وقلة الزخارف، له تاج كبير غير مزخرف، ويبلغ ارتفاع بدنه نحو خمسة أمثال قطر أسفله، ولا توجد قاعدة للعمود، وقطر البدن كبير من الأسفل حتى الوسط، ثم يصغر باتجاه الأعلى، ويوجد في جسم العمود قنوات محفورة رأسياً، ويعلو العمود أسطوانة ثم التاج، وفوقه كتلة مربعة يرتكز عليها العتب، ومن أشهر المعابد التي بنيت وفق هذا الطراز معبد البارثينون.

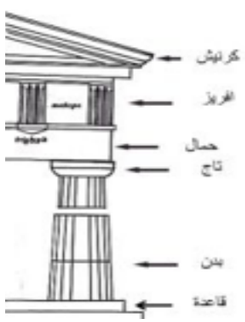

2- الطراز الأيوني Ionic:

ظهر هذا الطراز في أيونيا على يد الأيونيين، ويرتكز العمود على قاعدة تفصله عن الأرض، ويحتوي على تاج مزيّن بزخارف حلزونية، كما يرتفع بدنه برشاقة واضحة، ويبلغ ارتفاع بدنه من القاعدة نحو تسعة أمثال قطر أسفله، ويكون قطر البدن كبيراً من الأسفل حتى الوسط، ثم يصغر باتجاه الأعلى، ويوجد في بدن العمود أقنية محفورة نصف دائرية ذات رؤوس ملساء، عددها 24، ذات نهايات من الأعلى والأسفل.

أشهر المعابد التي بنيت وفق هذا الطراز:

معبد الإركزون Erechtheun.

5- الطراز الكورنثي Corinthion:

ينسب هذا الطراز إلى مدينة كورنث، وهو الأكثر شبهاً بالعمود الأيوني من حيث قاعدته السفلى، ويعد أرشق الأعمدة، حيث يبلغ ارتفاع بدنه نحو 10 أمثال قطر أسفله، ويتميز تاجه بكونه عبارة عن سلة تعلوها أوراق نبات الكونتوس، وقطر البدن يكون كبيراً من الأسفل حتى الوسط، ثم يصغر باتجاه الأعلى، وهذا النظام من الأعمدة لم يستخدمه الإغريق في عمارة المعابد، بل اقتصر استعماله على أبنية خاصة كالمقابر والنصب التذكارية والبوابات وأبراج الرياح، ومن المابد التي بنيت وفق هذا الطراز معبد ثولوس Tholos.

«معجم المصطلحات العمرانية في التراث الإماراتي»

يعدّ التراث العمراني في دولة الإمارات واحداً من عناصره التي نمت وتطورت وتأقلمت مع الظروف الجغرافية، الاقتصادية، والاجتماعية في محيطه، وحتى اليوم مازال العمران رغم تطوره يستعير بعض عناصر ذلك التراث الغني، وفي كتاب «معجم المصطلحات العمرانية في التراث الإماراتي» يضيء كاتباه على ذلك العمران.

سارة إبراهيم – مراود

تهدف الدراسة، لمعديها د. حمد بن صراي وأ. علي المغني، إلى توفير مصنّف جامع للمصطلحات والتراكيب والكلمات المعمارية التراثية في دولة الإمارات العربية المتحدة، وتوثيقها بعدد من الصور والرسومات والمخططات، وسد النقص في المعلومات المتعلقة بالموضوع، وذلك من خلال تمهيد يشمل معلومات حول التراث المعماري المحلي، وكتابة الألفاظ هجائياً، مع شرح وتتبع وحصر المرادفات المحلية.

يُستهلّ الكتاب، أحد مطبوعات معهد الشارقة للتراث 2019م، بطرح أنواع العمران في التراث الإماراتي،

وتقسيمات المساكن حسب البيئة: المسكن الصحراوي، الحضري، الجبلي، الزراعي، ولكل منها خصائصه العمرانية، فخيام البدو معروفة باستخدامها نسيجاً من وبر الإبل، والحضرية هي الشائعة في المدن، وتبنى من الجص والحجارة المرجانية، وذات تصاميم محددة، يتقدمها حصن الحاكم، والمسجد الجامع الكبير، وأهم مزاياها استخدام أخشاب الجندل والساج، وسقوفها من الباسجيل وجريد النخيل، وتجمل بنيانها الزخارف، وتبنى المساكن الجبلية المعروفة ببيت القفل من الصخور الجبلية واللُبن، وسقوفها من جذوع السدر أو السمر، تعلوها أوراق الصخبر، أما بيوت المقيظ الزراعية فهي التي تشيد قرب القرى وبساتين النخيل، ولها مواصفات عمرانية خاصة لتبريد أجواء ساكنيها، ويبدو جلياً استخدام منتجات النخيل في بنائها كالدعون والجريد والسعف.

ويأتي الكتاب على أنماط العمارة التقليدية، ويقسّمها إلى: «العمارة الدينية التقليدية»، ومن أمثلتها مسجدا المناعي والدليل في الشارقة، ومسجد رأس الخيمة الكبير. ثانيها «العمارة التعليمية»، كالمدرسة التيمية المحمودية في الشارقة، والمدرسة الأحمدية بدبي. وتعدّ الأسواق التقليدية مثالاً على «العمارة التجارية»، كذلك المقاهي، وتعد أبرز مصطلحاتها «حانوت، دكان، بسطة، قهاوي»، وكذلك الكبرة أو الجبرة أو الشبرة، وهي مكان بيع بضائع محددة. رابعاً «العمارة الخدمية»، وهي تلك التي تقضى فيها حوائج الناس، كالديوان، و«جتي»؛ أي رصيف الميناء، و«سبيتال»، وهو المستشفى، و«كرنتينه»؛ أي المحجر الصحي. وأخيراً العمارة الدفاعية والمستحكمات العسكرية التقليدية، ومنها الأسوار والحصون والأبراج والقلاع التي بنيت في المناطق الجبلية من الحجارة، وفي الواحات والصحراء من الطين واللبن والقش.

ويتطرق الكتاب في أحد أبوابه إلى «أخشاب وعيدان وجذوع وألواح التسقيف ومواد البناء»، ويقسمها إلى أربعة أصناف مشهورة، هي: الجندل وجريد النخل والقصب وجذوع النخل، موثقاً إياها بصور واقعية، والجندل هو أحد أنواع أشجار القرم، وبحسب الرواة، فإنها تنتشر عند مصبات الأنهار، وعندما تلتقي المياه العذبة بمياه المحيط في شرقي إفريقيا، وكانت تجمع كل عشرين جندلة في ربطة واحدة، تسمى «كورجة»، تحمل الأبوام الضخمة (السفن) ما يقارب 300 ربطة منها، وما يزيد على ذلك، بحسب أحجام البوم، حيث اعتمدت عليها منطقة الخليج في البناء، وأما «الدعون» فهي فرش من جريد النخل بسعفه أو من دونه، ترص بطريقة محددة لتستخدم في تسقيف البناء، وتعد جذوع النخل بعد تقطيعها، وتقشيرها أساسات كأعمدة خشبية في العرشان والخيام، و«الباسجيل» هي شرائح خشبية تؤخذ من شجر البامبو وهي سهلة الطيّ، فتصف على شكل طولي، ويوضع فوقها الجندل، واعتبرت الألواح الخشبية المستوردة من الهند بديلاً عن الجندل، بعد توقف استيراده من إفريقيا، وأخيراً أخشاب البليوت، وهي ألواح من الخشب المعالج.

وفي آخر أبواب الكتاب تفصيل بإسهاب لكل «الألفاظ والتراكيب والمصطلحات والمفردات العمرانية التقليدية»، وهي تقسيماً: العاملون في البناء، مواد الإنشاء والتعمير، أدوات البناء وآلاته، الوحدات والمكونات والمفردات والأجزاء والتراكيب العمرانية والإنشائية، بالإضافة إلى أنواع الوحدات السكنية في البيوت التقليدية.

وبذلك يفصّل الكتاب العمارة التقليدية في الإمارات، بحيث يعدّ واحداً من الكتب المهمة التي تؤرشف لهذه العمارة التي اندثرت بشكلها التقليدي، بفعل التمدن والتطور الحضاري، إلا ما تشهده بعض المحافل والمهرجانات التراثية منها إحياءً لها.

أرز نينغبو

نينغبو – مأخوذة من معنى «هايدينغ بانينغ»، المدينة التي تُرقى إلى مستوى اسمها، وإلى الهدوء والانسجام الأبديين اللذين هما أساس هذه المدينة القديمة. اشتهرت نينغبو لأول مرة بأرزها، وعلى الرغم من أن السنين قد تغيرت، إلا أن عطر الأرز الأنيق والرقيق في المدينة لا يبدو أنه تبدد أبداً، ولايزال منتشراً في شوارع وأزقة نينغبو، ومتغلغلاً في كل منزل بنينغبو.

الكاتب: عبدالقادر هاو زهي مياو
المترجمة: رنيم جينغ يي وانغ
المراجع: جمال بن علي آل سرحان

قبل سبعةِ آلاف عامٍ، ظهرت مستنقعات منخفضة من المياه، هذا المكان تسنده الجبال، ويطل على البحر، حيث توجد كثير من الأنهار والبحيرات، وتوجد الجبال العالية، والمياه العذبة، وفي البحر توجد الأسماك والروبيان. هاجر الأجداد الذين عاشوا على سفوح التلال والوديان إلى هذه الأرض الخصبة المثالية. زرعوا بذور الحبوب، وحرثوا التربة الجرداء، وحولوها إلى حقول خضراء، وزرعوا الأرز الكامل اللذيذ، وخلقوا ثقافة هيمودو الرائعة.

أصبحت مستنقعات الماضي نينغبو اليوم، حيث تجمع بين الطاقة الروحية للأرض والسماء، والأرز المنتج في نينغبو مملوء بالحبوب، ورائحته وطعمه رائعان للغاية، ولاتزال المسؤولية الممتازة لأرز جيانغنان، ومذاق نينغبو لا ينفصل بالفعل عن رائحة الأرز، كمصدر للأرز عالي الجودة، كان الغذاء الأساسي لشعب نينغبو عبارة عن مجموعة متنوعة من منتجات الأرز المغذية واللذيذة منذ العصور القديمة.

أرز نينغبو يصنع كعكة نينغبو. معظم المعجنات هنا مصنوعة من الأرز أو الأرز الدبق أو المسلوق، ومملوءة برائحة الأرز الرائعة عندما تقضمها.

معجنات نينغبو مختلفة في الساعة الرابعة عصراً.

بعد عيد تشينغمينغ، تتفتح أزهار أشجار الصنوبر على الجبل. يتم لف زلابية الأرز الدبق بحشوة السمسم،

وملفوفة بطبقة من مسحوق الذهب الذي تم جمعه من أزهار الصنوبر لصنع «زلابية زهر الصنوبر الذهبية» الحلوة. تؤكل الزلابية اللزجة الناعمة، ويرافق طعمُ الزلابية الحلوة رائحةَ أزهار الصنوبر بين الأسنان، وهو مذاق شعب نينغبو عندما كانوا أطفالاً.

في الصيف، تناول قضمة من كرات العصير الرمادي، هذه الوجبة الخفيفة الشفافة البنية، مصنوعة من القش والأرز فحسب، باردة وناعمة وليست لزجة. تحافظ كتلة عصير الرماد وقطرات الماء على شكل الأرز ودلالته، بالإضافة إلى مذاقة الرائع. عادة، يستخدم شعب فنغهوا في نينغبو «كرات العصير الرمادية» لعبادة أسلافهم، ما يعني أنه بعد حصاد ثمار العمل، لا ينسون تكريم أسلافهم.

في الشهر الثامن من التقويم القمري، يفوح عطر زهور الأوسمانثوس الحلوة في جميع أنحاء المدينة. لا يرغب سكان نينغبو القدامى في تقدير الأوسمانثوس فحسب، بل يريدون أيضاً جمعه وصنع أزهار أوسمانثوس الحلوة.

أما بالنسبة لفصل الشتاء، فيصبح بطل الرواية هو كعكة الأرز. يتم خفق الأرز مراراً وتكراراً على الملاط الحجري، ما يخلق الملمس اللزج الناعم لكعكة الأرز والطعم الحلو الذي ينتقل من جيل إلى جيل. من الصعب على الأجانب أن يفهموا كيف يمكن لشعب نينغبو الذين نشؤوا وهم يأكلون الوجبات الخفيفة وكعكات الأرز الطري أن يتحدثوا بلهجة نينغبو القوية. ربما في اللزوجة الناعمة، ذاب تدريجياً إحساس المثابرة والكرم.

لا تنتشر رائحة عطر الأرز، أو يرى على حافة أرض نينغبو فحسب، لكنه يحمل أيضاً تاريخاً يمتد لآلاف السنين ويسافر آلاف الأميال. بدأ وأبحر «طريق الحرير البحري» من نينغبو، ومنها انتشر الأرز عبر المحيط إلى اليابان وإلى جميع أنحاء العالم. سواء كانت حضارة نينغبو هيمودو هي التي صدمت العالم، أو كعك أرز نينغبو الشهير والمعجنات على غرار نينغ، عندما يتعلق الأمر بهذه الحضارة، يفكر الناس دائماً في نينغبو حيث الأرز العطري.

في وداع الخبير الكبير أحمد مرسي

د. منّي بونعامة
مدير التحرير
mini.abdelkader@yahoo.com

في وداع الخبير، والعالم والقامة العلمية العالية، والشخصية الوازنة، الأستاذ الدكتور أحمد علي مرسي، تقف الكلمات حائرة عاجزة عن وصف مرارة الفقد، ولوعة الفراق، وفداحة الخطب، فهو الأستاذ الجليل، والتاج والإكليل، شيخ علماء التراث وقطبه، ودوحته الغنّاء، وشجرته الوارفة الظلال.

ولعمري إن رحيله لخسارة فادحة لحقل التراث الثقافي، الذي أسهم فيه إسهامات كبيرة ومهمّة، حفظاً للتراث، وصوناً للهوية العربية على مدى عقود طويلة.

عرفت الراحل الكبير علماً وعالماً وعلّامة، وعلامة فارقة، من خلال إسهاماته العلمية القيّمة، التي رفد بها المكتبة العربيّة، وأثرى بها حقل الدراسات الفولكلورية، والتي من بينها: من مأثوراتنا الشعبية، الأغنية الشعبية، المأثورات الشفاهية (ترجمة)، الإنسان والخرافة، كان يا مكان.. احكِ لأولادك... وغيرها كثير.

كانت هذه المعرفة المبكرة لولوج عالم الخبير الدولي، من خلال القراءات الأولى، إيذاناً بمرحلة جديدة ومغايرة، بعد أن تعرّفت إليه عن قرب، حينما عمل مستشاراً في معهد الشارقة للتراث، وهنا توطدت علاقتي بالرمز الأعزّ، والأستاذ الكنز، من خلال اللقاءات المتكرّرة، وبخاصة تلك التي لم تكن مطبوعة بالطابع العملي الرسمي، وكان يخاطبني بثلاث منازل: (الابن، الأخ، الصديق)، وكان يشملني بعطفه، ويوجّهني بلطفه، وكنت كالمريد في حضرة الشيخ المربي، يغترف من بحره الزاخر غرفة يروي بها ظمأه، وينير بها دربه، ولكم أفدت من علمه ونصحه وتوجيهه!

ولكم اعتدنا منذ سنوات صباحاته الجميلة المفعمة بالحيوية والتفاؤل، والمترعة بالإحساس الدافئ الصادق، وهي صباحات جميلة ومرهفة وصادقة، وعميقة الدلالة، يستفتح فيها الخبير بقوله: «يصبحكم ويربحكم، وبين العباد ما يفضحكم»، ثم يشفعها بمثل من الأمثال الشعبية الأصيلة، ذات الدلالة القوية.

ثم جاءت من بعد ذلك سنون كالحات، انزوى فيها الخبير في ركن قصي، وانشغل برحلة العلاج شهوراً متوالية، كان فيها كالطود الشامخ، لا ينحني ولا يلين، ثم اشتد عليه المرض، وآلم جسمه، ومن حوله، قبل أن يكتب آخر سطر في مسيرة طويلة حافلة بالعطاء.. وأسلم مرسي الروح إلى باريها.

وما كَانَ قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكُ وَاحِدٍ
وَلَكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهَدَّمَا

رحمك الله يا أستاذنا الكبير، وإنا لفراقك لمحزونون.

and heritage institutions and heritage museums, as well as the tourism promotion. They also learn the methods and tools for preserving architectural heritage to ensure its preservation and sustainability, in addition to preserving and restoring manuscripts and documents.

These five programmes have received great turnout and fruitful interaction, which was culminated by accreditation of four professional qualifications, including (the 5th Level Certificate) by the National Qualifications Center, which is affiliating with the Ministry of Education in the UAE. These qualifications are: collecting, transcribing and preserving intangible cultural heritage, manuscript restoration and maintenance, administration of cultural and heritage institutions, marketing and museum guidance, while the fifth programme is on architectural heritage, which is locally accredited by the Government of Sharjah. There are other programmes that we look forward to accrediting them, such as the «Cultural Media» programme in cooperation with Al Qasimia University.

The Academic Administration at the Institute also offers a package of educational programmes and workshops that are consistent with the vision of the Institute and serve its objectives in introducing, preserving and safeguarding heritage. This is what prompted us to focus in this special issue on the efforts of the Institute in the field of education and training.

The issue presents various topics that highlight the richness of the Arabian cultural heritage in general and the UAE in particular, stressing the importance of caring for it, studying it, examining it and publishing it. It also includes other subjects of the world heritage, highlighting its richness and diversity.

The Educational Systems Programmes & Outputs

The Sharjah Institute for Heritage, since its inception, has been harmonizing the objectives and competencies in line with a firm strategic plan that aim at achieving the desired goals and delivering the Institute›s message to the target audience from researchers, scholars and others.

Since the education is a strong pillar and a solid foundation in the Institute›s policies, it harnessed all possibilities to foster this field through advanced educational programmes that touch on the major aspects of heritage. These programmes provide students and learners with the comprehensive knowledge of heritage, combining all the heritage components. Moreover, they offer students or learners a variety of heritage knowledge in the fields of intangible cultural heritage, methods of preserving and safeguarding it, modern methods of administrating cultural